الأستاذ الدكتور
مصطفى الجويني
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

أوساط البلاغة العربية

١٩٩٩

دار المعرفة الجامعية
٤ ش سوتير - الأزاريطة ت ٤٨٣٠١٦٣
٤٠ ش قنال السويس - الشاطبي ٥٩٧٣١٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

لم يكن المسلمون غازين ولا فاتحين حين انتشروا فى بقاع الدنيا شرقا وغرباً شمالا وجنوباً وأنهم حيثما حلّوا كانوا هداة داعين للإسلام الذى أضاء بنوره ظلمات الشرك وعماية الجهالة، وصار القرآن مشعل العقل والوجدان ودستور السلوك الإنسانى، ومن يؤرخ لعلوم الدين والدنيا فى البيئات العربية والبيئة الإسلامية العامة يجد أن هذا الدين كان منار كل نشاط علمى أو وجدانى أو سلوكى وطبيعى أن يحرص الموحدون على تعلم لغة القرآن وعلوم العربية وعلوم الدين. وصاروا هم المكتسبون للعربية والعرب أنفسهم فرسان العلوم العربية والدينية وفنون الأدب ودراسات الأخلاق والاجتماع، ويكفى عرض أسماء فحسب من بيئة أقصى المشرق فى التفسير : الطبرى والزمخشرى والرازى وفى العربية سيبويه وأبو على الفارسى والخطابى وفى الحديث البخارى ومسلم والترمذى وفى الأدب أعلام جمعت بين العربية والفارسية كالثعالبى والزمخشرى وأبى الفتح البستى ورشيد الدين الوطواط ومهيار الديلمى.

إذاً علينا أن نتتبع البلاغة العربية لا تتبعاً موضوعياً ولا زمنياً فإن مثل هذا الصنيع يغفل كثيراً من العوامل التى نحرص فى المجال العلمى على رصدها، وقد آثرنا الدرس البيئى للبلاغة لأن للبيئة عاملها الأكيد فى تشكيل ذوق الجماعة من ميراث وورثة، وحاضر اكتسبته ومواهب اختصت بها عبقريات مبدعيها وليس أمر هذا الدرس بالهين، فمن صعابه أن جذور هذا الدرس منبثة فى الروايات الأولى عن التفسير القرآنى واستشفاف معانيه وذوق أساليبه كما أنها تتناثر فى الروايات اللغوية عند الخليل ابن أحمد وفى الكتاب لسيبويه

ثم فى العديد من دراسات اللغة والنحو والصرف بعدها وذلك لأن الجميع كانوا مشغولين بالكشف عن خصائص النظم فى الأسلوب العربى وهندسة التركيب فيه، ثم كان للمبدعين شعراء وكتاباً دور فى الحديث البلاغى عن الصيغة وأبعادها التأثيرية، مما تحفل به كتب الأدب والمحاضرات والأمالى. وفى حجر الكلاميين نشأت البلاغة ونمت إذ كانت سلاحاً من أسلحة وضوح التعبير وقوة التأثير، أما الأصوليون من الفقهاء فوجدوا فى البلاغة وعلوم العربية أدوات معينة على استنباطهم الحكم الشرعى الصحيح.

وإذاً فالبلاغة نلتمسها فى مجالات اللغة والنحو والصرف والتفسير والكلام والأدب.

ومن اللافت أنه تكاد تتقارب السنون المحددة لبدايات التأليف البلاغى المدون فهو فى العراق فى أوائل القرن الرابع الهجرى وفى أقصى المشرق حوالى بداية الخامس وفى الشام فى حوالى السادس وفى مصر منذ الرابع الهجرى وفى الأندلس الرابع أما فى شبه الجزيرة العربية فلا تظفر بأى مبحث بلاغى إلا من القرن الثامن الهجرى كما كان لكل بيئة توفر وعناية على علم بلاغى بعينه وعلى معايير ذوقية ارتضاه مزاجها الفنى، وعلى أنواع أدبية برز أعلامهم فيها ولن يتهيأ لنا درس بلاغى تاريخى متعمق، ولا رصد تحليلى ذوقى يعزز قسمات الجمال وملامحه والمكونات له والمؤثرات فيه لن يتهيأ لنا ذلك كله إلا بعد أن تملأ فراغات النشاط البلاغى الراصد لكل بيئة إسلامية، وهذا عمل أجيال لا جهد واحد أو فرد وحيد، وحسبى الريادة أنه كان عونى وعليه توكلى.

أستاذ دكتور
مصطفى الصاوي الجويني

الفصـــل الأول

بيـــــئة العـــراق

طبقات فحول الشعراء

يتحدث ابن سلام حديثاً فنياً عن الشعر مرتباً فحول الشعر الجاهلى والإسلامى فى طبقات وفق عوامل الزمان والمكان وقبل ذلك الفن.

كتاب طبقات فحول الشعراء.

تأليف محمد بن سلام الجمحى (١٣٩ ـ ٢٣٨هـ)

شرحه محمود محمد شاكر، دار المعارف للطباعة والنشر.

وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان.

من ذلك اللؤلؤ والياقوت، لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره. ومن ذلك الجهبزة بالدينار والدرهم، لا تعرف جودتهما بلون ولا مس ولا طراز ولا وسم ولا صفة، ويعرفها الناقد عند المعاينة، فيعرف بهرجها وزائفها.

ومنه البصر بغريب النخل، والبصر بأنواع المتاع وضروبه واختلاف بلاده مع تشابه لونه ومسه وذرعه، حتى يضاف كل صنف إلى بلده الذى خرج منه. وكذلك بصر الرقيق، فتوصف الجارية فيقال : ناصعة اللون جيدة الشطب، نقية الثغر، حسنة العين والأنف، جيدة النهود، ظريفة اللسان، واردة الشعر، فتكون فى هذه الصفة بمائة دينار وبمائتى دينار ؟ وتكون أخرى بألف دينار وأكثر، لا يجد واصفها مزيداً على هذه الصفة وتوصف الدابة فيقال : خفيف العنان، لين الظهر، شديد الحافر، فتى السن، نقى من العيوب، فيكون

بخمسين ديناراً أو نحوها، وتكون أخرى بمئتى دينار وأكثر، وتكون هذه صفتها، ويقال للرجل والمرأة فى القراءة والغناء، أنه لندى الصوت والحلق، طل الصوت، طويل النفس، مصيب للحن، ويوصف الآخر بهذه الصفة، وبينهما بون بعيد. يعرف العلماء عند المعاينة والاستماع له، بلا صفة ينتهى إليها، ولا علم يوقف عليه. وأن كثرة المدرسة لتعدى على العلم به. فكذلك الشعر، يعرفه أهل العلم به.

مقدمة كتاب

«طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى»

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو محمد أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بُحيَرة القاضى أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحُباب الجُمحى قال أخبرنا أبو عبد الله محمدٌ بن سلاّم الجُمحىّ قال وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تَثْقَفُه العين ومنها ما تثقفه الوزن ومنها ما تثقفه اليد ومنها ما يثقفه اللسان من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يُعرَف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لا يَعْرِف جودتهما بلونٍ ولا مسسسق ولا طراز ولا حسٍ ولا صفة ويعرفها الناقد عند المعاينة فيعرف بهرجَها وستُّوقها ومفرَّغَها ومنه البصر بغير النخل والبصر بأنواع المتاع وضروربه واختلاف بلاده وتشابه لونه ومسِّه وذَرْعه حتى يضاف كل صنف منها إلى بلده الذى خرج منه وكذلك بصر الرقيق الجارية فيقال ناصعة اللون جيدة الشطْب نقية الثغْر حسنة العين والأنلف جيدة النُّهود طريفة اللسان واردة الشَّعْر فتكون هذه الصفة بمائة دينار وبمائتى دينار وتكون أخرى بألف دينار وأكثر لا يجد واصفها مزيداً عل يهذه الصفة، قال

ابن سلام وإن كثرة المُدَارسة تعين على العلْم من هذا ابتدأ قال محمد قال خلاَد بن يزيد الباهلى لخلف بن حيّان أبى مُحْرِزٍ ـ وكان خلاّد حسنَ العلم بالشعر يرويه ويقول ـ بأى شيء تَرُدُّ هذه الأشعارَ التى تُروى قال ص ٤ له هل تعلم أنت منها ما أنه مصنوع لا خير فيه قال نعم قال أفتعلم فى الناس مَنْ هو أعلم منك بالشعر ؟ قال : نعم . قال فلا تُنْكِر أن يعرفوا من ذلك ما لا تعرفه أنت قال ابن سلام وقال قائل لخلف إذا سمعتُ أنا بالشعر واستحسنتهُ فما أبالى ما قُلتَ فيه أنت وأصحابك فقال له : إذا أخذتَ أنت درهماً فاستحسنتَه فقال لك الصرّافُ أنه ردىء هل ينفعُك استحسانُك له وكان ممن هجّن الشعر وأفسده وحَمَلَ كلّ غُثاءٍ محمدْ بن اسحاق مولى آل مَخْرَمة ابن المطلب بن عبد مناف وكان من علماء الناس بالسيِّر فنقل الناس عنه الأشعار وكان يعتذر منها ويقول : لا عِلْمَ لى بالشعر إنّما أُوتَى به فأَحْمِلُه ولم يكن ذلك له عُذراً فكتب فى السيرِ من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط وأشعار النساء فضلا عن أشعار الرجال ثم جاوز ذلك إلى عادٍ وثمودَ أفلا يَرْجِعُ إلى نفسه فيقول مَنْ حَمَلَ هذا الشعر ومَنْ أدّاه منذُ ألوفٍ من السنين والله يقول: ﴿ وأنّه أهْلَكَ عاداً الأولى وثمودَ فما أبقى﴾ وقال فى عاد: ﴿ فهل ترى لهم مِنْ باقيةٍ ﴾، وقال: وعاداً وثمودَ والذين مِنْ بعدِهم لا يعلمُهُم إلا الله﴾ قال يونس بن حبيب: أوّل من تكلم بالعربية اسماعيلُ بن ابراهيم وأخبرنى يسْمَع بن عبد الملك سمع محمدَ بن علىّ هو ابن حُسَيْن يقول قال أبو عبد الله لا أدرى أرفَعَه أم لا وأظنّه قد رَفَعَه أولُ مَنْ تكلّم بالعربية ونسىَ لسان أبيه اسماعيلُ بن إبراهيمَ وأخبرنى يونس عن أبى عمرو قال : العرب كلها ولدُ اسماعيل إلا حْميَر وبقايا جُرْهُم وكذلك يروى أن إسماعيل جاد؟؟؟ وأصهرَ رليهم ولكن العرّبية التى عنَى محمدٌ بن علىّ هو اللسان

الذى نزل به القرآن وقال أبو عمرو بن العلاء ما لسان حِمْيَرٍ وأقاصى اليمين ص ٥ بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا قال محمد ولم يجاوز أبناءِ نزاو فى أنسابها وأشعارها عدنان اقتصر وأعلى مَعَدٌّ ولم يَذْكر عدنانَ جاهليٌّ قطر غير لبيد فى بيت قال :

فإنه لم تجِدْ مِنْ دُونَ عَدْنانَ واليا

وقد يروى لعباس بن مرداس بيت فى عدنان .

دعكُّ بنَّ عدنانَ الذين تلعَّبوا بمذحِجَ حتى طُرِدوا كُلَّ مَطْرَد فما فوق عدنان أسماء لا تؤخذ إلا عن الكتب والله أعلم بها وإنما معدّ بإرزاء موسى بن عُمْرانَ عليه السلام أو قبله قليلاً فكيف لعادٍ وثمودَ . وكان لأهل البصرة فى العربية قدْمة بالنحو وبلغاتِ العرب والقريب عناية وكان أول مَنّ أسّسَ العربية وفتح بابها وانتهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤليٌّ وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل وكان رجلَ أهل البصرة وكان عَلَوَيَّ الرأ. قال يونس هم ثلاثة : الدُّول من حنيفة ساكن الواو والدِّيلُ فى عبد القيس ساكنة الياء والدؤل فى كنانة رهط أبى الأسود وإنما قال ذلك حين اضطرب كلام العرب فقلبت السليقية فكان سراةُ الناس يلّحنون فوضعَ باب الفاعل والمفعول والمضارع وحروف الجر والرفع والنصب فى الجزم.

وكان من أخذ ذلك عنه يحيى بن يَعْمَر وهو رجلٌ من عَدْوَان كان فى عِداد بنى ليث وكان مأمونا عالما بما يأتى يَروى عنه الفقه عن أبى عمروٍ وابن عباس وروى عنه قتادة واسحاق بن سُويد وغيرهما من العلماء وأخذ ذلك عنه أيضاً ميمون الأقرنُ وعنبسة الفيل ونصر بن عاصم الليثىّ وغيرهم أخبرنا أبو خليفة أخبرنا ص ٦ ابن سلاّم قال أخبرنى يونس بن حبيب قال

قال الحجاج لابن يَعْمَر السَمَعَنى أَلحَنُ قال الأمير أفصحُ الناس قال يونس وفي ذلك قال أتسعمنى أَلحَنُ قال حرفًا قال أين قال فى القرآن قال ذلك أشنعَ فما هو قال تقول : «إنْ كان آباؤكمْ وأبناؤكم» إلى قوله «أحبُّ إليكُمْ من الله، تراها بالرفع، كأنه لما طال عليه الكلام نسي ما ابتدأ به قال يونس فقال له الحجاج لا جَرْمَ لا تسمعُ لنا لحنًا أبدًا فألحنه بخراسان وعليها يزيد بن المُهلّب وأخبرنى أبى قال كتب يزيد بن المهلّب إلى الحجاج إنّا لقينا العدو ففعلنا واضطررناهُم إلى عُرْعُرَةِ الجبل فقال الحجاج مالابن المُهلّب ولِهذَا الكلام فقيل له أنّ ابن يعمرَ هناك فقال فذاك إذًا.

ثم كان من بعدهم عبد الله بن أبى اسحاق الحضرميّ فكان أول مَنْ بعج النحو ومدَّ القياس والعِلَل وكان معه أبو عمرو بن العلاء ويعتى بعده بقاء طويلا وكان ابنُ أبى اسحاق أشدَّ تجريدًا للقياس وكان أبو عمرو أوسَعَ عِلْمًا بكلام العرب ولغاتها وكان بِلالُ بن أبى بُردة جمع بينهما بالبصرة وهو يومئذٍ والٍ عليها ولاّه خالدُ بن عبد الله القسريّ زمنَ هشامِ بن عبد الملك قال يونس قال أبو عمرو فغلبني ابنُ أبى اسحاق بالهمز فنظرت فيه بعد ذلك وبالغت فيه. وكان عيسى بنُ عُمرَ أخذ عن ابن أبى اسحاق وأخذ يونس عن أبى عمرو بن العلاء وكان معهما مسلمةُ بن عبد الله بن محارب الفهريّ وكان ابن أبى اسحاق ابن أبى اسحاق وعلْمه قال هو والنحو سواء وهو الغاية قال فأين علْمُه منْ علْم الناس اليومَ قال لو كان فى الناس اليومَ لا يعلم إلا علمَه لضَحكَ منه ولو كان فيهم مَنْ له ذهنُه ونفاذه ونظرُه كان أعلمَ الناسِ قال وقلتُ أنَا ليُونُس هل سمعت من ابن أَبى اسحاق شيئًا قال نعم قال قلت هل يقول أحدٌ الصديق يعنى السويق قال نعم عمرو بن تميم يقولها وما تريد إلى هذا عليك بباب من النحو يَطْرد وينْقاس قال ابن سلام قال وسمعتُ

يونسَ يقول لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ كله ولكن ليس أحدٌ إلا وأنت آخذٌ من قوله وتارك قال وأُخذَ على الفرزدق شيءٌ في شعره فقال : أين هذا الذى يُجرِّر خُصيّيه لا يُصلحُه يعني ابن أبي اسحاق . أخبرنا ابن سلامٍ قال أخبرني يونس أنَّ أبا عمرو بن العلاء كان أشدَّ تسليماً بالعرب وكان ابنُ أبي اسحاق وعيسى بن عمر يَطْفان عليهم وكان عيسى يقول : أساءَ النابغة في قوله (في أنيابها السم ناقعْ) يقولُ : موضعها ناقعاً وكان يختار السم والشهدُ وهي عُلْويه أخبرنا أبو خليفة أخبرنا محمد بن سلام قال وأخربني يونس أنَّ ابنَ أبي إسحاق قال للفرزدق في مديحه يزيدَ بن عبد الملك :

مُستَّقبلين شمال الشأمِ تضرِبُنا ∴ بحاصبٍ كنديف القطن منثورِ
على عمائِمنا تُلقَى وأرحلُنا ∴ على زواحِف تُزَجّى مُخُّها سهم رير

قال ابن أبي اسحاق أسأتَ إنما هي ريرٌ وكذلك قياس النحو في هذا الموضع وقال يونس والذى قال جائزٌ حَسَنٌ فلما ألحوُّا على الفرزدق قال زواحف تُزجيها مما سير قال ثم ترك الناسُ هذا ورحبوا إلى القول الأول وكان يُكثِرُ الردَّ على الفرزدق فقال فيه :

فلو كان عبدُ الله مَوْلَى هَجَوْتُهُ ∴ ولِكنَّ عبد اللهِ مَوْلَى مَوَاليا

ردَّ الياء إلى الأصل وهي أبياتٌ لو كان هذا البيتُ وَحْدَه تركه ساكتاً وهو مولى آل الحضرَميّ وهم حُلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف والحليف عند العرب مولى ومن ذلك قول الراعي :

جزى اللهُ مولانا غنياً ملامةً

وقال الأخطل لجرير :

أَتَشْتُمُ قوماً أَثَّلومك بنهشك .·. ولَوْلاهُمُ كُنْتُم كعُكْلٍ مواليا

و؟؟؟ حلف الرباب لسعد. وكان عيسى بن عمر إذا اختلفت العرب فزِع إلى النصّب وكان عيسى بن عمرو بن أبى اسحاق يُقْرنان ﴿ يا ليتنا نُرَدُّ ولا نُكذِّبَ بآياتِ ربنا ونكونَ مِنَ المؤمنينَ ﴾ وكان الحسن وأبو عمرو بن العلاء ويونس يرفعون نكذبُ ونكونُ قلت لسيبويه كيف الوجه عندك قال الرفع قلتُ فالذين قرأوا بالنصب قال سمعوا قراءة ابن أبى اسحاق فاتبعوه وكان عيسى بن عُمر يقرأ « الزانيةَ والزانيَ ، والسارقَ والسارقةَ، وكان ينشد يا عَدِيًا لَقَلْبِكَ المُهْتاجُ.

وكان يقرأ ﴿ هؤلاء بناتى هُنَّ أطهرُ لكُم ﴾ فقال له أبو عمرو بن العلو، هؤلاء بنىّ هُمْ ماذا قال عشرين رجلا فأنكرها أبو عمرو وكان أبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عُمر يقرآن ﴿ يا جبالُ أَوِّبى مَعَهُ والطيرَ ﴾ ويختلفان في التأويل كان عيسى بن عمر يقول على النداء كقولك يا زيدُ الحارثُ والحارثَ جميعاً إذا نصب كأنه قال ادْ حارثاً وقال أبو عمرو بن العلاء لو كانت علىالنداء لكانت رفعاً ولكنها على إضمار وَسَخَّرْنَا ... الطيرَ كقول على أثر هذا ﴿ ولسليمان الريحَ﴾ أى سخَّرْنا الريح قال يونس وقال ابن أبى اسحاق فى بيت الفرزدق :

ص ٩ : وعضُّ زمانٍ يا ابنَ مروانَ لم يَدَعْ .·. من المالِ إلا مُسْحَتاً أو مُجلَّفُ

ويروى أيضاً مجرّ المجرَّف الذى تجرّ فيه السنة وتشرمه والمجلف الذى صيّرته جلْفاً وللرفع وجه وقال أبو عمرو بن العلاء لا أعرف لها وَجْهاً وكان يونس لا يعرف لها وَجْهاً قلتُ ليونس لعل الفرزدق قالها على النصب ولم يأبه وقال كان ينشدُ على الرفع وأنشدْ فيها رؤبةُ بن العجّاج على الرفع وتقول

العرب سَحَبَتهُ واسْحَتَه يقرأ بهما جميعاً فى القرآن وأخبرنا أبو خليفة أخبرنا ابن سلام قال أخبرنى الحارث البنانى أخبرنا أبى الحجاب أنه سمع الفرزدق ينشد

فيا عَجَبًا حتى كُلَيْبٌ تَسبُّنى

كأنّه جعل غايةَ فخفض قال ابن سلام ثم كان الخليل بن أحمد وهو رجلٌ من الأزْد من فراهيدة يقول هذا رجل فراهيدى وكان يونس يقول فرهودى مثلِ فردوسى واستخرج من العروض واستنبط منه ومِنْ علمه ما لم يستخرج أحدٌ ولم يسبق إلى علمه سابقٌ.

رجعٌ إلى الشعر وقول العلماء فيه ، قال فتقلنا ذاك إلى خَلَفًا ابن حيّان أبى مُحْرِزٍ الأُحمر أجمَعَ أصحابُنا أنه كان أفرسَ الناسِ ببيت شِعْرٍ وأصدقه لسيانا كنّا لا نبالى إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً أن لا نسمعه من صاحبه وكان أبو عبيدة والأصمعى من أهل العلم واعلم مَن ورد علينا من غير أهل البصرة المفضّل بن محمد الضَبىٌّ الكوفىٌّ ففصّلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمُخَضْرمين فنزلناهم منازلهم واحتججنا لكل شاعر بما وجدناك من حجة وما قال فيه العلماء وقد اختلف الرواة فيهم فنظر قومٌ من أهل العلم بالشعر والنفاذ فى كلام العرب والعلم ف يالعربية إذا اختلف الرواة وقالوا بآرائهم ص١٠ وقالت العشائر بأهوائها فلا ينفع الناسَ فى ذلك إلا الرواية عن مَنْ تقدّم فاقتصرنا فى هذه على فحول الشعراء الإسلاميين للاستفتاء عن فحول شعراء الجاهلية بطبقاتى المؤلفة فى ذلك ورتبت هذا المؤلف على عشر طبقات كل طبقة تجمع أربعة من فحول شعراء الإسلام وكان الشعر فى الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون وقال ابن

عوف عن ابن سيرين قال : قال عمر بن الخطاب كان الشعرُ علم قوم لم يكن لهم علم أصحَّ منه فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزوا فارس والروم ولَهِيَتْ عن الشعر وروايته فلما كثُر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يئلوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب فألفوا ذلك وقد هلك من العرب مَنْ هلك بالموت والقتل فحفظوا أقلَّ ذلك وذهب عنهم منه أكثره وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول وما مُدِحَ به هو وأهل بيته فصار ذلك إلى بنى مروان أو ما صار منه قال يونس ابن حبيب قال أبو عمرو بن العلاء ما انتهى إليكم مما قالتْ العرب إلا أقلُّه ولو جاءكمْ وافراً لجاءكم عِلْمٌ وشعرٌ كثيرٌ ومما يدل على ذهاب العلم وسقوطه قلةُ ما بقى بأيدى الرواة المصححين لطرفه وعبيد والذى صحَّ لهما قصائد بقدر عَشْرٍ وإن لم يكن لهما غيرهن فليس موضعهما حيثُ وُضِعَا من الشهرة والتقدمة وإن كان ما يُروى مِنَ الغثاء لهما فليسا يستحقان مكانهما على يأفواه الرواة ونرى أنَّ غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير غير هذا الذى نالهما من ذلك أكثر وكانا أقدمَ الفحول فلعل ذلك لذلك فلما قلَّ كلامُهما حُمِلَ عليها حِملٌ كثير ولم يكن ص ١١ لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل فى حادثة وإنَّما قُصِّدت القصائد وطُوِّلَ الشعرُ على عهد عبد المطلب وهاشم ابن عبد مناف وذلك يدل على إسقاط عادٍ وثمودَ وحِميَرَ وتُبَّعٍ ومن قديم الشعر الصحيح قولُ العنبَرِ بن عمرو بن تميم وكان مجاوراً فى بَهْراء فرابه ريب فقال :

قد رابنى من دَلْوِىَ اضطرابُها ∴ والنامىُ فى بَهْراء واغترابُها

إن لا تَجِىءْ مَلْئَى يجىءُ قُرابُها

أخبرنا أبو خليفة أخبرنا ابن سلام قال أخبرني أبو مُحْرز واصلُ بنُ شبيب المنَافيّ قال كان سعْدٌ ومالكٌ ابنا زيد مناة بنِ تميم وكان سعد أسودَهُما وكان مالكٌ تَرْعِيّ يَعْزُب في الإبلِ فتزوج مالكٌ النوّارَ بنتَ جَلّ بن عديّ بن عبد مناة بن أُدّ وهم عديّ وتميم ويقال للئيم تَيّمٌ ويقال للتيم تيمٌ عديّ وهما من الرِباب وكانت امرأةَ زَوْلةً جزلة فلما اهتداها مالكٌ خرج سعد بالإبل فعْزب فيها ثم أوردها لِظِمْئِها وهو مُشْتَمِلٌ يزاولَ سَقْيَها ولا يرفعه فقال:

يظلُّ يومَ وِرْدِها مُزَعْفَرَا ∴ وهي خناطيلُ تجوسُ الخُضرا

فقالت النوار لمالك ألا تسمع ما يقول أخوك قال بلى قالت فأجبْ فقال ما أول قالت قُلْ:

أوردَها سعدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ ∴ ما هكذا توردُ يا سعدُ الإبلُ

فولدت له حنظلة الأغرّ وفيه بيت تميم وشرفها. ومما يروى من قديم الشعر قولُ دويه بن زيد بن نهر حسين حضره الموت :

اليومَ يُبنَى لِقـــــرونٍ بيتُه ∴ لو كان للدهر بلى أبليتُهُ

أو كان قِرْني واحداً كفنيتُهُ ∴ يا ربَّ نَهْبٍ صالحٍ حَوَيتُهُ

ص ١٢ ورُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيتُهُ

وقال أعصرُ بن سعد بن قيس بن عيلان وهو مُنَبِّه أبو باهلة وغَنِيّ والطفاوة:

قالت عُمَيْرةُ ما لِرأسِكَ بعدما ∴ نَفِدَ الزمـــانُ أتى بلونٍ مُنْكَرِ

أعُمَيْرَ إنّ أباكَ شـــيبٌ رأسَه ∴ كرُّ الليالي واختلافُ الأعْصُرِ

وبهذا البيت يسمى أعْصُر وقال قوم يَعْصُر وليس بشيء.

ومنهم المُستوغِرُ بن ربيعة بن كعب بن سعد وبقي بقاءً طويلا حتى قال :

ولقد سَئِمْتُ من الحياةِ وطُولِها ∴ وازدَدْتُ من عددِ السـنين مئينا

مائةٌ أتتْ مِنْ بعدهـا مائتانِ لي ∴ وازددتُ من عدد الشهور سنينا

هل ما بقي إلا كما قد فاتنا يومٌ تكرُ وليةٌ تحدُونا

قوله بَقَى يريد بَقِيَ وفَنَى وهما لغتان لطيء وقد تكلمت بهما العرب وهما في السنة طيء أكثر. وقال زهير بن أبي سُلَمى :

تَرَبَّعَ صارَةَ حتى إذا ما ∴ فنى الدُّحْلاَنُ عنه والإضاءُ

أنشد فيها يونس وأنشدني له عبد الله بن ميمون المرّمى :

إذا ما المرءُ صمٌ فلم يُنَاجَى ∴ وأودى سَمْعُهُ إلا نداءَ

ولاعبَ بالعشىِّ بنى نهيه ∴ كفِعْلِ الهرِّ يَحْترش الغطاءَ

يُلاعِبُهم ووُدُّوا لو سقُوهُ ∴ مِنَ الذِّيفَانِ مُتْرَعةً ملاءَ

فلا ذاق النعيمَ ولا شرابًا ∴ ولا مُسقى من المرض الشفاء

ومنهم زهير بن جناب الكلبيّ كان قديماً شريف الولد وطال عُمْره فقال :

أَبَنيَّ إنْ أَهْلِكْ فإنِّي قَدْ بَنَيْتُ لكم بَنِيَّهْ ∴ من كل ما نال الفتى قد نلته إلا التحيه

وَجَعَلْتُكم أبناءَ ساداتٍ زِنادُكم وَرِيَه ∴ والموتُ خيرٌ للفتى وليهلِكَنْ وبه بَقِيَّة

مِنْ أن يرى الشيخُ البَجَالُ وقد يُهادى بالعَشِيّ.

وقال جزيرة الأبرش :

ربما أوفيت في علمٍ ∴ ترفعن ثوبي شمالات
في فتوّ أنا ربّهم ∴ من كلال غزوة قالوا
ليت شعر ما أماتهم ∴ نحن أولجنا وهم باتوا

وقال امرؤ القيس :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حذام

وهو رجل من طيء لم نسمع شعره الذي بكى فيه ولا شعراً غيراً هذا البيت الذي ذكره امرو القيس

وكان أول من قصّد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل قتلته بنو شيبان وكان اسم المهلهل عدياً وإنما سمّي مهلهلا مهلهلة ؟؟؟ كهلهلة الثوب وهو اضرابه واختلافه من ذلك قول النابغة :

أتاك بقول هلهل النسج كاذب

وزعمت العرب أنه كان يتكثر ويدّعي في قوله بأكثر من فعله وكان شعراء الجاهلية في ربيعة أولهم المهلهل والمرقّشان وسعد بن مالك وطرفة بن العبد وعمرو بن قميئة والحارث بن حلزة والمتلمس والأعشى والمسيّب بن علس ثم تحول في قيس فمنهم النابغة الذبياني وهم يعدون زهير بن أبي سلمى منعبد الله بن غطفان وابنه كعباً ولبيد والنابغة الجعدي والحطيئة والشمّاخ ومزرّد وخيراش بن زهير ثم آل ذلك إلى تميم فلم يزل فيهم إلى

اليوم كان امرؤ ص ١٤ القيس بن حجر بعد مهلهل ومهلهل خاله وطرفة وعبيد وعمرو بن قميئة والمتلمس فى عصر واحد. وكان من الشعراء من يتألّه في جاليته ويتعنّت في شعره ولا يستبّهر بالفواحش ولا يتهكم فى الهجاء ومنهم مَنْ كان ينعى على نفسه ويتعّر ومنهم امرؤ القيس والأعشى وكان الفرزدق أقول أهل الإسلام في هذا الفن وكان جرير مع إفراطه ف يالهجاء يعف عن ذكر النساء كان لا يُشبّب إلا بامرأة يملكها. قال ابن سلام فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيمها ومآثرها استقلّ بعض العشائر شِعْرَ شعرائهم وما ذهب مِنْ ذكر وقائهم وكان قومٌ قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمنْ له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم ثم كانت الرواة بعدُ فزادوا فى الأشعار وليس يُشكِلُ على أهلِ العلم زيادة ذلك ولا ما وضع المولّدون وإنما عضل بهم أن يقول الرجلُ من أهل بادية مِنْ ولد الشعراء أو الرجل ليس مِنْ ولدهم فيشكل ذلك بعض الإشكال .

طبقات ابن سلام المتوفى سنة ٢٣١هـ

قسم ابن سلام الشعراء تبعاً للمبادىء الآتية :

(١) **الزمان** : فجعل منهم مجموعتين، جاهليتين وإسلاميين، وهذا تقسيم لم يكن منه مفر لأنه يتفق وطبائع الأشياء فقد جاء الإسلام ثورة روحية ومادية في حياة العرب كان لها آثارها البعيدة فى كل مظاهر نشاطهم.

(٢) **المكان** : وذلك لأن ابن سلام عندما وزع الشعراء بين الجاهلية والإسلام وقسم هؤلاء وأولئك إلى طبقات، نظر فوجد أن هناك شعراء لم يصبحوا شعراء للعرب كافة بل ظلوا متصلين كل بقريته وهم ما يمكن أن نسميهم (بالشعراء الإقليميين) فجمعهم فى باب شعراء القرى: مكة المدينة والطائف واليمامة والبحرين ـ وهذه الظاهرة من مخلفات الروح الجاهلية، روح الإقليم والقبيلة.

(٣) **الفن الأدبى** : فمن الشعراء الأصليين من انفرد بفن بذاته وهم لم يقصدوا إلى ذلك الفن بل سبقوا إليه بدوافع من حياتهم، وهؤلاء هم أصحاب المراثى متمم به نريدة والخنساء وأعشى باهله وكعب بن سعد الغنوى.

ولقد فطن ابن سلام بذوقه الأدبى السليم إلى أن هؤلاء الشعراء ليسوا كغيرهم ممن صدروا عن فن بل هم إنسانيون قالوا الشعر لشفاء نفوسهم مما تجد، وأفرد لهم باباً خاصاً فلم تأت مراثيهم مدحاً للميت فحسب بل عبارة عن ألمهم هم لفقد ذويهم حتى أن المديح نفسه ليلونه الأسى، وإذاً فابن سلام أدخل فى إطارى الزمان والمكان تقسيمه للشعراء على أساس من النقد الأدبى.

يفتتح ابن سلام كتابه ببيان ما ينبغى للناقد من ثقافة، فإذا كان ما سبقه من عصور يعتمد النقد فيه على الذوق وحده فإنه فى عصر ابن سلام يفتقر إلى القواعد والأصول يقول : ((للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات)) ويبين أن كثرة المدارسة للشعر هى التى تعين على معرفة هذه الصناعة وقواعدها ومقاييسها، وبهذه التربية الأدبية الذوقية يستطيع الناقد الأدبى أن يحكم على الأثر الفنى.

ويتعرض ابن سلام فى كتابه لمسألة خطيرة فى الأدب العربى وهى مسألة الشك فى الشعر الجاهلى وهل الأشعار المنسوبة لأناس موغلون فى القدم مثل عاد وثمود وحتى آدم صحيحة؟ والكلام فى الشعر الموضوع كان طبيعياً جداً فى عصر ابن سلام، فى عصر كادت تنتهى فيه الرواية وأقبل فيه العلماء على تدوين الشعر ليسلموه إلى الأجيال المقبلة.

ثم يتناول طبقات الشعراء فكرتها التطور النقدى فى القرن الأول الهجرى حين بدأ الناس يناضلون بين الشعراء ووجد جرير والفرزدق والأخطل وتعصبت لكل شاعر قبيلته ومجموعة من عشاق فنه.

ولذلك نظن أنه فى توزيعه للشعراء على الطبقات أو الفصائل، لم يبتكر هذا التصنيف للشعراء وإنما تأثر فيه بأساتذة سبقوه من اللغويين أشار إليهم ولعل فصله التام بين شعراء الجاهلية والإسلام ينبه إلى فطنته إلى أن لكل زمان ظروفه وأحواله التى يرتبط بها الشعراء ولذلك لم يكن يتصور الموازنة بين شاعرين اختلفا فى الزمن والعصر الذى عاشا فيه، بل وفى تقسيمه الشعراء الجاهليين إلى بادين وحاضرين هو مؤمن بأثر البيئة فى الشعراء وهو فى حصره الطبقات على وحدهم مؤمن بأثر الشعر الجاهلى.

ثم هو لم يفتح للعباسيين باباً فى كتابه جرياً مع ذوق اللغويين المحافظ الذى لم يكن يعتد بالشعر المحدث ونلحظ فى المجموعتين الجاهلية والإسلامية أن ابن سلام لم يسلك فيهما جميع الشعراء وإنما اكتفى بالممتازين منهم. ولم يوضح أساس اختياره لم اختارهم ولا أساس وضع الشاعر فى طبقة بعينها لكنه مع ذلك يلحظ فى هذا السبيل فى الشاعر كثرة شعره ومعالجته للفنون المختلفة مع الجودة الفنية وترى ابن سلام عادة يقتصر على وضع الشاعر فى طبقته مع ذكر أهم قصائده، وقد تند عنه بعض إشارات فى وصف فنه وحين يعرض للشعراء ناقداً يذكر رأيه ورأى العلماء فى كل شاعر فيم أجاد وفيم لم يجد ويوازن بين الشعراء .

ولابن سلام نظرات صائبة سديدة فى كتابه فهو يعلل سهولة شعر عدى بأنه كان يسكن الحيرة ومراكز الريف فكان لذلك لين اللسان سهل المنطق، وكتعليله قلة الشعراء بالطائف بأن الشعر إنما يكثر بالحروب التى بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج، أو بين قوم يغيرون ويغار عليهم ولم يكن من ذلك شيء فى ثقيف.

ما الجديد عند ابن سلام هل أتى بجديد غير ما أتى به سابقوه ومعاصروه، أم خاصة فى الأفكار التى خاصة فيها غيره اللغويين والرواه بل لأنه أول من نظم البحث فى هذه الأفكار وعرف كيف يعرضها ويبرهن عليها ويستنبط منها حقائق أدبية فى كتابه طبقات الشعراء .

هل كتاب الطبقات واحد أم مصنفان؟ (تاريخ النقد الأدبى عند العرب لطه إبراهيم لكتابه بحوث عن الجو النقدى الذى كان من صداه لطبقات الشعراء لابن سلام: (فى الكلام عن جمع اللغة ورواية الشعر وبدء حركة التدوين) :

(١) الفهرست لابن النديم (تراجم الرواة والعلماء واللغويين)..

(٢) كتاب المزهر للسيوطى (تطور جمع اللغة والتدوين فيها - وجمع الشعر...)

(٣) تاريخ آداب العرب للرافعى (عن الرواية)

(٤) فى الأدب الجاهلى للدكتور طه حسين عن عوامل الشك والانتحال فى الأدب العربى.

(٥) ضحى الإسلام جـ٢ (الحركة الثقافية فى البصرة والكوفة ومدارس الرواية واللغة).

قيمة كتاب ابن سلام :

(١) هو صورة لحياة النقد منذ نشأ فى الجاهلية إلى أوائل القرن الثالث وصورة للأذواق والعقول التى تناولته.

(٢) الكتاب وثيقة من أقدم وثائق النقد المدونة التى أفاد منها الأدباء والنقاد.

ملاحظات على كتاب طبقات الشعراء لابن سلام :

(١) كل طبقة أربعة وهم عشر طبقات جاهلية وإسلاميين لماذا هذا بالتحديد؟ أصحاب المراثى منفصلين لم ينظمهم فى طبقة وهى نقطة غير مفهومة فلم أصحاب المراثى دون الغزل أو الوصف أو الهجاء أو غير ذلك من أغراض ؟ حاول ابن سلام أن يؤرخ اللغة العربية فى أوائل عهودها تلك العهود البعيدة من إسماعيل بن إبراهيم وحمير وجرهم وطبيعى أن معلوماته ومعلوماتنا عن هذه المرحلة الظنية لا يمكن التعويل عليها كثيراً ولكن المعجب من أمر هذا الرجل أنه تنبه لهذا المعنى تنبهاً كبيراً وحاول أن ينقد الأخبار التى وصلت إليه عن تلك العهود البعيدة

فى اللغة العربية فهو يذكر مثلا أن القصائد قصدت على عهد المطلب وهاشم بن عبد مناف، ومعنى هذا أن مرحلة تقصيد القصيدة ليست بعيدة فالمدة هى جيلان وهذا الرأى هو ما اعتمده المستشرقون حين حاولوا التأريخ للقصيدة العربية، فنيكلسون يبدأ تاريخ الشعر الجاهلى من مائة سنة وخمسين قبل البعثة اعتماداً على إشارة كهذه لابن سلام.

(٢) مما يذكره ابن سلام أن اللسان الذى نعنيه حين نتكلم عن اللغة العربية هو اللسان الذى نزل به القرآن وإذاً فقد كانت مراحل أخرى من اللغة العربية غير هذا اللسان، ونجد إشارات لهذا فى الروايات القديمة من مثل قول أبى عمرو بن العلاء من رجال القرن الثانى الهجرى (ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلسانه ولا عربيهم بعربيتنا). ومن ثم يسقط الروايات المناسبة أشعاراً لأمم قديمة مثل عاد وثمود وحمير وتبع ويرى أن هذه عهود متطاولة فى القدم ومن الراجح أن تلك الأمم كانت تتكلم لهجات أخرى وكانت لها طريقتها فى نظم الشعر.

(٣) مما يتناوله ابن سلام بالتأريخ أيضاً عناية البصريين بالعربية والنحو ولغات العرب وهى نقطة طريفة فى تسلسل دراسة البصرة فى نحو اللغة العربية منذ وضع أبى الأسود الدؤلى للنحو فيما يقال :...

مما فى المقدمة أيضاً : تنبيه ابن سلام إلى أن للشعر صناعة وثقافة لا يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات يريد أن يشير بذلك إلى مرحلة التخصص التى كانت قد ظهرت فى الدراسات العربية فأصبح للشعر صناعة وثقافة ومن الطريف أنه يشبه هذه الصناعة والثقافة بصناعات وثقافات الفنون الأخرى : حتى الفنون المادية كاستخراج اللؤلؤ مثلا وصناعة الجواهر

وأيضاً الشعر مثله كمثل أى من هؤلاء له خبرته وله معاييره التى يثقف بها الشعر وينقده، وهنا تظهر فى الكتاب كلمة نقد بهذا المعنى الاصطلاحى وإن كان من الجائز أن تكون قد درجت فى الاستعمال قبل ذلك بمدة وهو يذكر أناساً ممن برعوا فى صناعة الشعر ونقده مثل خلف الأحمر وأضرابه ويذكر أبا عبيده والأصمعى وهؤلاء كلهم بصريون، ومن الكوفة يذكر المفضل الضبى.

ما هى عوامل الوضع والانتحال فى الشعر العربى كما صورها ابن سلام فى كتابه ؟ :

(١) العامل الأول : كتاب السير مثل محمد بن إسحاق وهؤلاء كانوا رجالا لا علم لهم بصناعة الشعر ونقده، كانت تنقل إليهم الأشعار فيروونها على علاتها فيأخذها الناس عنهم وابن سلام يسخر من هؤلاء كثيراً ويذكرهم بآيات فى القرآن يستفاد منها أن تلك الأمم السابقة قد هلكت وعفت آثارها فليس لهم من باقية....

(٢) ضياع جزء كبير من الثروة الشعرية حين تشاغل العرب عن الشعر وروايته بالجهاد وغزو فارس والروم فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يئلوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب فألفوا ذلك وقد هلك من العرب مَنْ هلك بالقتل... فاضطروا لعوامل كثيرة أن يتزيدوا، وأن يضعوا بدل الذى ضاع.

(٣) رغبة بعض العشائر ممن قلت وقائعهم وأشعارهم أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسنة شعرائهم.

(٤) الرواة أنفسهم مثال حماد وخلف الشيبانى وهؤلاء اتخذوا الرواية صناعة وكانت تدر على الكثيرين منهم المال ومن هذا الطريق دخل الوضع والكذب في الرواية. ويروى ابن سلام شواهد هذا الوضع الكثير فى شعر عدى بن زيد وحسان وشعر الأسود بن يعفر وهو جاهلى. ويشير هنا بصدد هذا الوضع إلى أن الكوفة كانت لا تتحرى ولا تتحرز فى رواية الشعر فهم قد يروون للشاعر الواحد مائة وثلاثين قصيدة على حين لا يصحح له البصريون ثمانين أوحو إليها (راجع هذه المسألة بالتفصيل فى تاريخ آداب العرب للرافعى جـ١).

وهذا النقد لأخبار القدماء وتحكيم العقل فى الأخبار المروية ظاهرة لها شأنها فى تاريخ العقلية العربية وكان ابن سلام فى هذه الطلعة فى البحث الأدبى العربى وعليه اعتمد الباحثون فى العصر الحديث فأحيوا آراءه التى أصبحت جزءاً من الطريقة العلمية فى البحث الأدبى على يد الدكتور طه حسين وغيره من باحثى الجامعة.

وننتقى من تراث الجاحظ البلاغى والنقدى هذه الرسالة فى أخلاق الكتاب والتى تدخل فيما يعرف اليوم بآداب المهنة وهو منحى طريف فى البحث البلاغى والنقدى ثلاث رسائل لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٢٥هـ)، نشر يوشح فنكل، القاهرة ١٣٤٤هـ المنطقة السلفية

رسالة أخلاق الكتاب :

..... ومع ذلك إن منهج الكتابة بنى على أنها لا يتقلدها إلا تابع، ولا يتولاها إلا مَنْ هو فى معنى الخادم. ولم نر عظيماً قط تولاها بنفسه أو شارك كاتبه فى عمله... وكل كاتب محكوم عليه بالوفاء، ومطلوب منه الصبر على

اللأواء، وتلك شروط مقنوعة عليه، ومحفة مستكلمة لديه. وليس للكاتب... اشتراط شيء من ذلك، بل يناله الاستبطاء عند أول الزلة وأن أكدى ويردك العدل بأول هفوة وإن لم يرحن تجب للعبد استزادة السيد بالشكوى، والاستبدال بما إذا اشتهى. وليس للكاتب تقاضى فائته إذا أبطأ، ولا التحول عن صاحبه إذا التوى. فأحكامه من أحكام الأرقاء، ومحله من الخدمة محل الأغبياء. ثم هو مع ذلك في الذروة القصوى من الصلف، والمنام الأعلى من البندخ٢ وفي البحر الطامى من التيه والسرف. يتوهم الواحد منهم إذا عرض جبهته، وطول ذيله، وعقص على خده صدغه، وتحدث الشابورتين على وجهه، أنه المتبوع ليس التابع، والمليك فوق المالك. ثم الناس فيهم إذا مطىء مقعد الرئاسة، وتورك مشورة الخلافة، وحجزت السلة دونه وصارت الدواة أمامه، وحفظ من الكلام فتيقه، ومن العلم ملحه، وروى لبزرجمهر أمثاله، ولأردشير عهده، ولعبد الحميد رسائله، ولابن المقفع أدبه، وصير كتاب مزدك معدن علمه، ودفتر كليلة ودمنه كنز حكمته، أنه الفاروق الأكبر في التدبير، وابن عباس في العلم بالتأويل، ومعاذ بن جبل في العلم بالحلال والحرام، وعلي ين أبي طالب في الجرأة على القضاء والأحكام، وأبو الهنديل العلاف في الجر والطفرة، وابراهيم بن سيار النظام في المكامنات (كذا بالأصل) والمجانسات، وحسين النجار في العبادات والقول بالإثبات، والإصمعي وأبو عبيدة في معرفة اللغات والعلم بالأنساب، فيكون أول بدوه الطعن على القرآن في تأليفه، والقضاء ص ٤٣ عليه بتناقضه.

ثم يظهر فيه ظرفه بتكذيب الأخبار، وتهجين من نقل الآثار، فإن استرجع أحد أصحاب الرسول ﷺ فقل عند ذكرهم شدقه، ولوى عن محاسنهم كشحه وإن ذكر شريح جرحه، وإن نعت له الحسن استثقله، وإن

وصف له الشعبى استحمقه، وإن قيل له ابن جبير استجهله، وإن قدم عنده النخعى استصغره. ثم يقطع ذلك من مجلسه بسياسة أردشير بابكان، وتدبير أنوشروان، واستقامة البلاد لآل ساسان. فإن حذر العيون، وتفقده المسلمون رجع بذكر السنن إلى المعقول ومحكم القرآن إلى المنسوخ، ونفى مالا يدرك بالعيان، وشبه بالشاهد الغائب. ولا يرتضى من الكتب إلا المنطق، ولا يحمد إلا الواقف ولا يستجيد منها إلا السائر.

هذا هو المشهور من أفعالهم، والموصوف من أخلاقهم.

ومن الدليل على ذلك أنه لم ير كاتب قط جعل القرآن سميره، ولا علمه تفسيره، ولا التفقه فى الدين شعاره ولا الحفظ للسنن والآثار عماده. فإن وجد الواحد منهم ذاكراً شيئاً من ذلك لم يكن لدوران فكر به طلاقه ولا المحبة منه حلاوة، وإن آثار الفرد منهم فى السعر فى طلب الحديث والتشاغل بذكر كتب المتفقهين، واستثقله أقرانه واستوخمه آلافه وقضوا عليه بالأديان فى معيشته، والحرفة فى صناعته، حين حاول ما ليس من طبعه ورام ما ليس من شكله.

قال الزهرى لرجل : أيعجبك الحديث ؟ قال : نعم. قال : أما أنه لا يعجب الفحول من الرجال ولا يبنه إلا أناثهم. ولئن وافق هذا القول من الزهرى فيهم مذهباً إن ذلك لبين فى شمائلهم، مفهوم فى إشاراتهم.

وسئل ثمامة بن أشرس يوماً وقد خرج من عند عمرو بن سعده فقيل له: يا أبا معن ما رأيت من معرفة هذا الرجل، من فهمه؟ فقال: ما رأيت قوماً.

ص ٤٤ نظرت طبائعهم عن قبول العلوم، وصغرت هممهم عن

احتمال لطائف التمييز فصار العلم سبب كهلهم، والبيان علم ضلالتهم، والفحص والنظر حايد عنهم، والحكمة معدن شبههم أكثر من الكتاب.

تأويل مشكل القرآن

تحقيق السيد أحمد صقر

(٢١٣هـ ـ ٢٧٦هـ) طبع عيسى البابى الحلبى

ابن قتيبة من أسرة فارسية كانت تقطن مدينة مرو ولسنا نعرف عن نسبه أكثر من أنه «عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم المروزى» وقد ولد فى سنة ٢٢٣ فى أواخر خلافة المأمون وقد اختلف المؤرخون له فى تعيين المدينة التى ولد بها فقال السمعانى والقفطى أنه ولد ببغداد وقال ابن النديم وابن الأنبارى وابن الأثير أنه ولد بالكوفة وقد اتفقوا على أنه نشأ ببغداد التى كانت تموج حينئذ بأعلام العلماء فى كل فن : أما ابن قتيبة فقد هاله التيار الفلسفى الذى غمر الكتابة والكتاب فى عصره ومن هنا ألف كتابه أدب الكاتب الذى ظفر بأمرين : النقد العنيف من الكاتب، والاهتمام بالشرح والتعليق من جانب آخر.

أدب الكاتب لابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيورى ت ٢٧٦هـ) ط مطبعة الوطن البهية بمصر، سنة ١٣٠٠هـ.

(قال أبو محمد) عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى (أما بعد) حمداً لله بجميع محامده والثناء عليه بما هو أهله (والصلاة) على رسوله المصطفى وآله فإنى رأيت أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين ومن اسمه متطرين ولأهله كارهين أما الناشىء منهم فراغب عن التعليم

والشادى تارك للازدياد والمتأدب فى عنفوان الشباب ناس أو متناس ليدخل فى جملة المجدودين ويخرج عن جملة المحدودين فالعلماء مغمورون وبكثرة الجهل مقموعون حين خوى نجم الخير وكسدت سوق البر وبارت بضائع أهله وصار العلم عاراً على صاحبة والفضل نقصاً وأموال الملوك وقفاً على النفوس والجاه الذى هو زكاة الشرف يباع بيع الخلق وآضت المروات فى زخارف النجد وتشييد (ص٣) البنيان ولذوات النفوس فى اصطفاق المزاهر ومعطات الندمان ونبذت الصنائع وجهل قدر المعروف وماتت الخواطر وسقطت همم النفوس وزهد فى اللسان الصدق وعقد الملكوت فأبعد غايات كاتبنا فى كتابه أن يكون حسن الخط قويم الحروف، وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتاً فى مدح قينه أو وصف كأس، وأرفع درجات لطيفنا أن يطالع شىء من تقويم الكواكب وينظر فى شىء من القضاء وحد المنطق ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف معناه وعلى حديث الرسول ﷺ بالتكذيب وهو لا يدرى من نقله قد رضى عوضاً من الله ومما عنده بأن يقال فلان لطيف وفلان دقيق النظر يذهب إلى أن لطف النظر قد أخرجه عن جملة الناس وبلغ به علم ما جهلوه فهو يدعوهم الرعاع والغناء والغمر وهو لعمر الله بهذه الصفات الأولى وهى به أليق لأنه جهل وظن أن قد علم فهاتان جهلتان ولأن هؤلاء جهلوا وعلموا أنهم يجهلون (ولو أن) هذا المعجب بنفسه الزارى على الإسلام برأيه نظر من جهة النظر لأحياه الله بنور الهدى وتاج اليقين ولكنه طال عليه أن ينظر فى علم الكتاب وفى أخبار الرسول ﷺ وصحابته وفى علوم العرب ولغاتها وآدابها فنصب لذلك وعاداه وانحرف عنه إلى علم قد سلمه له ولأمثاله المسلمون وقل فيه المناظرون له ترجمة تروق بلا معنى واسم يهول بلا جسم فإذا سمع الغمر والحدث الغر قوله الكون والفساد

وسمع الكيان والأسماء المفردة والكيفية والكمية والزمان والدليل والأخبار المؤلفة راعه ما سمع وظن أن تحت هذه الألقاب كل فائدة وكل لطيفه فإذا طالعها لم يحل منها بطائل إنما هو الجوهر يقوم بنفسه والعرض لا يقوم بنفسه ورأس الخط النقطة لا تنقسم والكلام أربعة أمر وخبر واستخبار ورغبة ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب وهى الأمر والاستخبار والرغبة وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر والآن حكم الزمانين مع هذيان كثير والخبر ينقسم إلى تسعة آلاف وكذا كذا مائة من (ص٤ الوجوه فإذا أراد المتكلم أن يستعمل بعض تلك الوجوه فى كلامه كانت وبالا على لفظه وقيداً للسانه وعيا فى المحافل وغفله عند المتناظرين. (ولقد بلغنى) أن قوماً من أصحاب الكلام سألوا محمد بن الجهم أن يذكر لهم مسألة من حد المنطق حسنة لطيفة فقال لهم ما معنى قول الحكيم أول الفكرة آخر العمل وأول العمل آخر الفكرة فقالوا التأويل فقال لهم مثل هذا الرجل قال إنى صانع لنفسى كذا فوقعت على السقف ثم انحدر فعلم أن السقف لا يكون إلا على حائط وأن الحائط لا يقوم إلا على أس وأن الأس لا يقوم إلا على أصل ثم ابتداء فى العمل بالأصل ثم بالأس ثم بالحائط ثم بالسقف فكان ابتداء تفكره آخر عمله وآخر عمله بدء فكرته فأية منفعة فى هذه المسألة وهل يجهل أحد هذا حتى يحتاج إلى إخراجه بهذه الألفاظ الهايله وهكذا جميع ما فى هذا الكتاب ولو أن مؤلف حد المنطق بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائق الكلام فى الدين والفقه والفرائض والنحو لعدّ نفسه من البكم أو يسمع كلام رسول الله ﷺ وصحابته لأيقن أن للعرب الحكمة وفصل الخطاب فالحمد لله الذى أعاد الوزير أبا الحسن أيده الله من هذه الرذيلة وأبانه بالفضل وحياه بخيم السلف الصالح ورداه رداء الإيمان وغشاه بنوره وجعله هدى فى الضلالات ومصباحاً فى الظلمات وعرفه ما ختلف فيه المختلفون على سنن الكتب والسنة فقلوب الخيار به متعلقة ونفوسهم إليه مائلة وأيديهم إلى الله فيه مظان القبول ممتدة وألسنتهم بالدعاء له شافعة يهجع ويستيقظون ويغفل ولا يغفلون وحق لمن قام لله مقامه وصبر على الجهاد صبره ونوى فيه نيته أن يلبسه الله لباس الضمير ويرديه رداء الحمل ويصور إليه مختلفات القبول ويسعده بلسان الصدق فى الآخرين فإنى رأيت كثيراً من كتاب أهل زماننا كسائر أهله قد استطابوا الدعة واستوطئوا مراكب العجز وأعفوا أنفسهم من كدا النظر وقلوبهم من تعب التفكير حين نالوا الدرك بغير سبب وبلغوا البغى بغية ألم ولعمرى كان ذلك فأين همة النفس وأين الأنفة من مجانستهم البهائم وأى موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه (ص٥) بعض الخلفاء لنفسه

وارتضاه أسره فقرأ عليه يوماً كتاباً فى الكتاب ومطرنا مطراً كثر عنه الكلاء فقال له الخليفة ممتحناً له وما الكلاء فتردد فى الجواب وتعثر لسانه ثم قال لا أدرى فقال سل عنه، ومن مقام آخر في مثل حاله قرأ على بعض الخلفاء كتاباً ذكر فيه حاضر طي فصحفه تصحيفاً أضحك منه الحاضرين، ومن قول آخر فى وصف برذون أهداه وقد بعثت به إليك أبيض الظهر والشفتين فقيل له لو قلت أرثم ألمظ قال فبياض الظهر ما هو قالوا لا ندرى قال إنما جهلت من الشفتين ما جهلت من الظهر ولقد حضرت جماعة من وجوه الكتاب والعمال العلماء لجلب الفيء وقتل النفوس فيه وإخراب البلاد والتوفير العائد على السلطان بالخسران المبين وقد دخل عليهم برجل من النخاسين ومعه جارية ردت عليه بسن شاغبة زائدة فقال تبرأت إليهم من الشفا ردوها على بالزيادة فكم فى فم الإنسان من سن فما كان فيهم أحد عرف ذلك حتى أدخل رجل منهم سبابته فى فيه يعد بها عوارضه فسال لعابه وضم رجل فاه وجعل يعدها بلسانه فهل يحسن بمن ائتمنه السلطان على رعيته وأمواله فرضى بحكمه ونظره أن يجهل هذا من نفسه وهل هو فى ذل إلا بمنزلة من جهل عدد أصابعه ولقد جرى فى هذا المجلس كلام فى ذكر عيوب الرقيق فما رأيت أحد منهم يعرف فرق ما بين الوكع والكوع والحنف من الفدع ولا اللمى من اللطع فلما أن رأيت هذا الشأن كل يوم إلى نقصان وخشيت أن يذهب رسمه ويعفو أثره جعلت له حظاً من غايتى وجزءاً من تأليفى فعملت لمغفل التأديب كتباً خفافاً فى المعرفة وفى تقويم اللسان واليد يشتمل كل كتاب منها على فن وأعفيته من التطويل (ص٦) والتثقيل لأنشطه لتحفظه ودراسته إن فاءت به همته وأقيد عليه بها ما أضل من المعرفة واستظهر له بإعداد الآلة لزمان الأدلة أو لقضاء الوطر عند تبين فضل النظر وألحقه مع كيلال الحد وييس الطينة بالمرهفين وأدخله وهو الكودن فى مضمار العتاق وليست كتبنا هذه لمن لم يتعلق من الإنسانية إلا بالجسم ومن الكتابة إلا بالاسم ولم يتقدم من الأدوات إلا بالقلم والدواء ولكنها لمن شدى شيئاً فعرف الصدر والمصدر والحال والظرف وشيئاً من التعاريف والأبنية وانقلاب الياء عن الواو والألف عن الياء وأشباه ذلك ولابد له مع كتبنا هذه من النظر فى الأشكال لمساحة الأرضين حتى يعرف المثلث القائم الزواية والمثلث الحاد والمثلث المنفرج ومساقط الأحجار والمربعات المختلفات والقسى والمدورات والعامودين ويمتحن معرفته بالعمل فى الأرضين لا فى الدفاتر فإن المخبر ليس كالمعاين، وكانت العجم تقول من لم يكن عالماً بإجراء المياه وحفر فرض المشارب وردم ما لمهاوى ومجارى الأيام فى الزيادة والنقص ودوران الشمس

ومطالع النجوم وحال القمر فى استهلاله وأفعاله ووزن الموازين وزرع المثلث والمربع والمختلف الزوايا ونصب القناطر والجمهور والدوالى والنواعير على المياه وحال أدوات الصناع ودقائق الحساب كان ناقصاً فى حال كتابته ولابد له مع ذلك من النظر فى جمل الفقه ومعرفة أصوله من حديث رسول الله ﷺ وصحابته كقوله البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه والخراج بالضمان وجرح العجاء جبار ولا يغلق الرهن والمنحة مردودة والعارية مؤداه والزعيم غارم ولا وصية لوارث ولا قطعة فى ثمر ولا كثر ولا قود إلا بحديده والمرأة تعاقل الرجل إلى ثلث دينه ولا تعقل العاقلة عمداً ولا عبداً ولا صلحاً ولا اعترافاً ولا طلاف فى إغلاق والبيعان بالخيار ما لم يتفرقا والجار أحق بصحبة والطلاق بالرجال والعدة بالنساء وكنهيه فى البيوع عن المخابرة والمحاقلة والمداينة والمعاومة والثنايا وعن ربح ما لم يضمن وبيع ما لم يقبض وعن بيعتين فى بيعة وعن شرطين فى بيع وعن بيع وسلف وعن بيع الغرر وبيع المواصفة وعن الكالى بالكالى وعن تلقى (ص٧) الرقبان فى أشباه لهذا إذا هو حفظها وتفهم معانيها وتدبرها أغنته بإذن الله تعالى عن كثير من إطالة الفقهاء ولابد له مع ذلك من دراسة أخبار الناس وتحفظ عيون الحديث ليدخلها فى تضاعيف سطوره متمثلا إذا كتب ويصل بها كلامه إذا حاور ومدار الأمر على القطب وهو العقل وجودة القريحة فإن القليل معهما بإذن الله كاف والكثير مع غيرهما مقصر ونحن نحب لمن قبل عنا وائتم بكتبنا أن يأدب نفسه قبل أن يأدب لسانه ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه ويصون مروءته عن دناءة الغيبة وصناعته عن شين الكذب ويجانبه قبل مجانبته اللحن وخطل القول وشنيع الكلام ورفث المزح «وكان» رسول الله ﷺ ولنا فيه أسوة حسنة يمزح ولا يقول إلا حقاً ومازح عجوزاً فقال إن الجنة لا يدخلها عجوز (وكانت) فى على عليه السلام دعابة (وكان) ابن سيرين يمزح ويضحك حتى يسيل لعابه وسئل عن رجل فقال توفى البارحة فلما رأى جزعوا السائل قرأ ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ﴾ (ومازح) معاوية الأحنف بن قيس فما روى مازحان أوقر منهما قال له معاوية يا أحنف ما الشيء الملفلف فى البجاد قال له السخينة يا أمير المؤمنين أراد معاوية قول الشاعر :

أو الشيء الملفف في البجاد رطب اللين وأراد الأحنف أن قريشاً تأكل السخينة وهي حساء من دقيق يتخذ عند غلاء السعر وعجف المال وكلب الزمان (فهذا) وما أشبهه مزح الأشراف وذوى المروءات فأما السباب وشتم السلف وذكر الأعراض بكبير الفواحش فمما لا ترضاه لخساس العبيد وصغار الولدان وتستحب له أن يدع في كلامه التقفير والتعقيب كقول يحيى بن يعمر لرجل خاصمته امرأته إن سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها وكقول (ص٨) عيسى ابن عمر ويوسف بن عمر بن هبيرة يضربه بالسياط والله إن كانت إلا أنياباً في سيفاط قبضها عشاروك (فهذا) وأشباهه كان يستثقل والأدب غض والزمان زمان وأهله يتحملون فيه بالفصاحة ويتنافسون في العلم ويرونه تلو المقدار في درك ما يطلبونه وبلوغ ما يؤملون فكيف به اليوم من انقلاب الحال وقد قال رسول الله ﷺ إن أبعضكم إلي الثرثارون المتفيهقون المتشدقون (ويستحب له) إن استطاع أن يعدل بكلامه عن الجهة التي تلزمه مستثقل الأعراب ليسلم من اللحن وقباحة التقعير فقد كان واصل بن عطاء سلم نفسه للثغة إخراج الراء من كلامه وكانت لثغته على الراء فلم يزل يرودها حتى انقادت له طباعه وأطاعه لسانه فكان لا يتكلم في مجالس التناظر بكلمة فيها راء وهذا أشد وأعثر مطلباً مما أردناه وليس حكم الكتاب في هذا الباب حكم الكلام لأن الإعراب لا يقبح منه شيء في الكتاب فلا يثقل وإنما يكره فيه وحشي الغريب وتعقيد الكلام كقول بعض الكتاب في كتابه إلى العامل فوقه وأنا محتاج إلى أن تنفذ إلي جيشاً لجبا عرمرماً كقول آخر في كتابه «عضب عارض ألم ألم فأنهيته عذراً وكان هذا الرجل قد أدرك صدراً من الزمان وأعطى بسطة في العلم واللسان وكان لا يشان في كتابته إلا بتركه الألفاظ السهلة ومستعمل المعاني وبلغني أن الحسن بن سهل أيام دولته رآه يكتب وقد رد عن هاه الله خطأ من آخر السطر إلى أوله فقال ما هذا فقال طغيان في القلم وكان هذا الرجل صاحب جد وأخا ورع ودين لم يمزح بهذا القول ولا كان الحسن أيضاً عنده من يمازح (وتستحب له أيضاً) أن يترك ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه وأن لا يعطى خسيس الناس رفيع الكالم ولا رفيع الناس وضيع الكلام فإني رأيت الكتاب قد تركوا تفقد هذا من أنفسهم وخلطوا فيه فليس يفرقون بين من يكتب إليه فرأيت في هكذا وبين من يكتب إليه فإني رأيت كذا ورأيك إنما يكتب بها إلى الأكفاء والمساوين ولا يجوز أن

يكتب بها إلى الرؤساء والأساتذة لأن فيها معنى الأمر ولذا للتنصيت ولا يفرقون (ص٩) بين من يكتب إليه وأنا فعلت ذلك وبين من يكتب إليه ونحن فعلنا ذلك ونحن لا يكتب بها عن نفسه إلا أمراؤنا لأنها من كلام الملوك والعظماء قال الله عز وجل ﴿ إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾ وقال ﴿ إنّا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ وعلى هذا الابتداء خوطبوا في الجواب فقال تعالى حكاية عمن حضره الموت ﴿ رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت ﴾ ولم يقل ربى ارجعنى وربما صدر الكاتب كتابه بأكرمك الله وأتقاك فإذا توسط كتابه وعدد على المكتوب إليه ذنوباً له قال فلعنك الله وأخذاك فكيف يكرمك الله ويلعنه ويخزيه فى حال وكيف يجمع بين هذين فى كتاب (وقال) أبرويز لكاتبه فى تنزيل الكلام (إنما الكلام أربعة) سؤالك الشيء أو سؤالك عن الشيء وأمرك بالشيء وخبرك عن الشيء فهذه دعائم المقالات أن التمس إليها خامس لم يوجد وإن نقص منها رابع لن تتم فإذا طلبت فاسجح وإذا سألت فأوضح وإذا أمرت فاحكم وإذا أخبرت فحقق (وقال أيضاً) وأجمع الكثير مما تريد فى القليل مما تقول يريد الإيجاز وهذا ليس بمحمود فى كل موضع ولا بمختار فى كل كتاب بل لكل مقام مقال ولو كان الايجاز محموداً فى كل الأحوال المجردة الله فى القرآن، ولم يفعل الله ذلك ولكنه أطال تارة للتوكيد وحذف تارة للايجاز وكرر تارة للإفهام وعلل هذا مستقصاه فى كتابنا المؤلف فى تأويل مشكل القرآن وليس يجوز لمن قام مقاماً فى تحضيض على حرب أو حمالة بدم أو صلح بين عشائر أن يقلل الكلام ويختصره ولا لمن كتب إلى عامه كتاباً فى فتح أو استصلاح أن يوجز ولو كتب كاتب إلى أهل بلد فى الدعاء إلى الطاعة والتحذير عن المعصية كتاب يزيد بن الوليد إلى مروان حين بلغه عنه تلكؤه فى بيعته أما بعده فإنى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاعتمد على أيتهما شئت لم يعمل هذا الكلام فى أنفسها عملها فى نفس مروان ولكن (ص١٠) الصواب أن يطيل ويكرر ويعيد ويبدى ويحذر وينذر (هذا) منتهى القول فيما نختاره للكاتب فمن تكاملت له هذه الأدوات وأمده الله بآداب النفس من العفاف والحلم والصبر والتواضع للحق وسكون الطائر وخفض الجناح فهذا المتناهى فى ذرى المجد الحاوى قطب السبق الفائز بخبير الدارى إن شاء الله تعالى.

وقد تناول (ابن قتيبة) فى كتابه «أدب الكاتب» الأبواب الآتية :

ونقتبس هنا من فصول هذا الكتاب :

كتاب فى إقامة الهجاء

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (قال أبومحمد) الكتاب يزيدون فى كتاب الحرف ما ليس فى وزنه ليفصلوا بالزيادة بينه وبين المشبه له وينقصون من الحرف ما هو فى وزنه استخفافاً واستغناء بما أبقى عما ألقى إذا كان فى الكلام دليل على ما يذحفون والعرب كذلك يفعلون يحذفون من اللفظة والكلمة نحو قولهم لم يك وهم يريدون لم يكن ولم أبل وهم يريدون لم أبال ويختزلون من الكلام ما لا يتم الكلام على الحقيقة إلا به استخفافاً وإيجازاً إذا عرف المخاطب ما يعنون كما قال ذو الرمة ووصف حيرا :

فلما ليس الليل أو حين نصبت ∴ له من خذا آذانها وهو جانح

خبرت عن الأصمعى أنه قال أراد أو حين أقبل الليل نصبت آذانها وكانت مسترخية والليل مائل على النهار فحذفت وقال النمر بن تولب :

فإن المنية من يخشها ∴ فسوف تصادفه أينما

أراد أينما ذهب أو أينما كان فحذف ومثل هذا كثير فى القرآن والشعر وربما لم يمكن الكتاب أن يفصلوا بين المتشابهين بزيادة ولا نقصان فتركوهما على حالهما واكتفوا بما يدل على متقدم الكلام ومتأخره مخبراً عنهما نحو قولك للرجل لن يغزو وللاثنين لن يغزوا وللجميع لن يغزوا فلا يفصل بين الواحد والاثنين والجميع وإنما يزيدون فى الكتاب فرقاً بين المشتبهين حروف المد اللين وهو الواو والألف والياء لا يتعدونها إلى غيرها ويبدلونها من الهمزة ألا ترى أنهم قد أجمعوا على ذلك فى كتاب المصحف واجتمعوا عليه فى أبى جاد وأما ما ينقصون للاستخفاف فحروف المد اللين وغيرها.

رأى فى أدب الكتاب لابن قتيبة

وفيات الأعيان

والناس يقولون : إن أكثر أهل العلم يقولون : إن أدب الكاتب خطبة بلا كتاب، وإصلاح المنطق كتاب بلا خطبة، وهذا فيه نوع متعصب عليه، قام أدب الكاتب قد حوى من كل شيء، وهو مفنن وما أظن حملهم على هذا

القول إلا أن الخطب طويلة، والإصلاح بغير خطبة، وقيل : إنه صنف هذا الكتاب لأبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المعتمد على الله بن المتوكل على الله الخليفة العباسي، وقد شرح هذا الكتاب أبو محمد بن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ) ... ونبه على مواضع الغلط منه، وفيه دلالة على كثرة إطلاع الرجل، وسماه «الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب».

* شرح أدب الكاتب : وقد تناول هذا الكتاب بالشرح كثيرون منهم الجواليفي الذى أهدى كتابه إلى الوزير عبيد الله بن يحيى بن اخاقان لأبى منصور موهوب بن أحمد الجواليقى.

عنيت بنشره مكتبة القدس سنة ١٣٥٠هـ

وقوله (فالحمد لله الذى أعاذ الوزير أبا الحسن أيده الله من هذه الرذيلة وأبانه بالفضيلة وحياه بخيم السلف الصالح ورواه رداء الإيمان وغشاه بنوره وجعله هدى فى الضلالات ومصباح فى الظلمات وعرفه ما اختلف فيه المختلفون على سنن الكتاب والسنة).

يعنى بالوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان كاتب المتوكل لأنه عمل له هذا الكتاب فاصطنعه وأحسن صلته.

* الرسالة العذراء لإبراهيم بن المدبر (ت ٢٧١هـ)

يقلم الدكتور زكى مبارك ـ مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٣١ يعول الكاتب كثيراً على من سبقه فى التعرض للفن الكتابى وبخاصة الجاحظ.

* الكامل فى اللغة والأدب للمبرد (ت ٢٨٥هـ)

طبع المكتبة التجارية (مصطفى محمد ١٣٦٥هـ)

يعد كتاب الكامل من أنفس كتب المحاضرات فى أدبنا العربى ويحفل بأبواب ذات قيمة فى تناول النص الأدبى من كافة وجوهه وتحليله تحليلا ذوقياً يعكس الذوق العربى الأصيل ويكفى هنا أن نشير فحسب إلى بابه فى التشبيهات.

كان ثعلب معاصراً للمبرد وهو رأس للمدرسة الكوفية فى النحو فى عصره وله كتابة قواعد الشعر الذى يعرض فيه لفن الشعر عرضاً يمتزج فيه النقد بالبلاغة.

* قواعد الشعر ـ أبي العباس أحمد ثعلب ـ ت ٢٩١هـ

تعليق عبد المنعم خفاجى ـ طبع مصطفى البابى الحلبى سنة ١٩٤٨م.

يقول ثعلب قواعد الشعر أربعة: أمر ونهى وخبر واستخبار. ويمثل لها بنصوص من الشعر ثم يدخل فى فنون الشعر من التشبيه الجيد وجيد المدح والمبالغة .. والرجل ذو حس أدبى رقيق فى تخيله للنصوص. والكتاب يجمع إلى الفنون الأدبية التى يعالجها الشعر دروب التعبير التى بها يحس الشعر ولم يتخط ثعلب فى اختياراته العصر الأموى على حين نجد معاصره المبرد يستشهد بشعر المحدثين وكذلك صنع ابن المعتز.

يكشف ابن المعتز عن حركة التجديد فى عصره ورأيه فيها وهو الشاعر المبدع ودافعه إلى هذا المؤلف الذى يعد أسبق كتب البلاغة تأليفاً وإن كان البديع هنا ليس محدداً تحديد المتأخرين كالسكاكى ولكنه يشمل جميع علوم البلاغة.

* البديع لعبد الله بن المعتز الخليفة العباسى (ت ٢٩٦هـ)

تحقيق عبد المنعم خفاجى ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى ـ ١٩٤٥

يقول عبد الله بن المعتز فى المقدمة : قد قدمنا فى أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا فى القرآن واللغة وأحاديث رسول الله ﷺ وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذى سماه المحدثون البديع ليعلم أن بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقبلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر فى أشعارهم فعرف فى زمانهم حتى سمى بهذا الاسم فأعرب عنه ودلَّ عليه ثم إن حبيب ابن أوس الطائى من بعدهم شغف به حتى غلب عليه وتفرع منه وأكثر منه فأحسن فى بعض ذلك وأساء فى بعض وتلك عقبى الإفراط وثمرة الإسراف وإنما كان يقول الشاعر هذا الفن والبيتين فى القصيدة وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع وكان يتحسن ذلك منهم إذا أتى نادراً ويزداد حظوة بين الكلام المرسل.

تعليق : لم يرد ابن المعتز أن يقعد قواعد وإنما نحت المصطلح البديعى أو المحسن اللفظى رسم خطيين متوازيين أحدهما لشعر الطبع والثانى الشعر المصنوع.

ونسجل هنا ما كتبه كراتشيوفسكى فى مقدمة لكتاب البديع

مقدمة ابن المعتز

(١) يُعدُّ كتاب البديع لابن المعتز المتوفى ٢٩٦هـ من الكتب الأصيلة الأولى فى البحث البلاغى ويشير ابن المعتز نفسه فى مقدمته إلى سبقه بجمع أنواع البديع.

(٢) ألّفَ الكتاب سنة ٢٧٤ هـ وسن مؤلفه لا تعدو السابعة والعشرين عاماً.

(٣) ينم الكتاب عن ثقافة أدبية واسعة فهناك الكثير من آى القرآن وأحاديث الرسول وصحابته وتابعيه وأشعار الجاهلية والإسلام وأقوال الإعراب ونحن نلمح صورة من هذا الجمع للنص الأدبى فى كتب الجاحظ كالبيان والتبيين والحيوان ... الخ ولكن ترتيب هذه النصوص عند ابن المعتز يسير وفق خطة تتحدث عنها فيما بعد.

(٤) بحث ابن المعتز يعود على سؤال ثار حوله الجدل فى الحياة الأدبية فى عصره : هل مذهب الصنعة البديعة كما بدأه بشار ومسلم وأبو نواس وبلغ به القمة أبو تمام مقبول أو مرفوض عند الناقدين قوم ذهبوا إلى استهجانه كلية وآخرون تعصبوا له تعصباً . وابن المعتز يجيب بأن البديع مقبول عند المتقدمين لأنه لم يكن مقصودا إليه وهو عند المتأخرين مرفوض لأنهم قصدوا إليه وأسرفوا فى استخدامه ولعل بديع ابن المعتز فى رأينا هو أول بحث بلاغى يشير إلى أن مِنْ أوجه الإعجاز القرآنى ما فيه من ألوان البديع.

(٥) والأبواب التى يضعها البديع عند ابن المعتز بعضها مما يدخل فى علم البيان بمعناه الاصطلاحى المتأخر كأبواب الاستعارة والكناية مثلا. ولكن هكذا سبق الرواة إلى تسمية فنون البلاغة العربية بديعاً. حكى لنا ذلك الجاحظ فى كتابه «البيان والتبيين» وعدّد لنا أعلام هذه المدرسة البديعية كابن هرمة والعتابى ومسلم والنمرى ... الخ.

(٦) يثور سؤال حول منهج ابن المعتز وليكن هذا السؤال مداره باب الاستعارة: هل هو يراعى العنصر الأدبى فى إيراد الشواهد يعنى يبدأ بأبلغ النصوص فما دونها وهكذا أم هو يراعى العنصر التاريخى بحيث يبدأ بالنص المتقدم زمناً فالحديث فالأحدث وهكذا نجده يبدأ نصوصه بالقرآن الكريم فالحديث ويجىء الشعر الجاهلى فى تأليفه بعد ذلك بمسافة ولا نستطيع هنا أن نقول أن العنصر التاريخى ملتزم ولكن الأقرب أن نقول أنه يراعى الناحية الأدبية من حيث أن القرآن يجىء فى المرتبة الأولى يليه الحديث. ومن ناحية ثانية نجده يلتزم إيراد الشعر الجاهلى فشعر المخضرمين فالإسلاميين فالمحدثين وهذا ترتيب تاريخى. وإذاً فهو يمزج بين عنصرى الأدب والتاريخ مزجاً والمنطق هنا غير واضح تماماً.

(٧) يحشد ابن المعتز حول الباب البديعي شواهدوفيرة من النصوص الأدبية لا يحلل صورها البيانية وإنما هو يكتفى بالتفسير اللغوى والإشارة السريعة أحياناً إلى موطن اللون البلاغي وكأنه يجعل من كتابه معرضاً للنصوص الأدبية تنطق بذاتها عن ألوانها البلاغية.

(٨) ونلمح فيما يورده ابن المعتز من النصوص الأدبية ذوقاً أدبياً رفيعاً يختار روائع النص الأدبي التي يتضمنها باب بلاغي ما . ثم يتبعه كما نرى في باب الاستعارة بما يستقبح من النصوص في هذا الباب عينه وهو بهذا يعرض صورتين متقابلتين إحداهما جميلة تجذب والأخرى قبيحة تنفر. فتربية ابن المعتز للذوق الأدبي تربية عملية تقوم على أساس من الخبرة بالنصوص الأدبية جيدها ورديئها، جيدها ليحتذى ورديئها ليتجنب.

(٩) ويكون من الطبيعي أن تبحث في كتاب ابن المعتز وهو من أوائل ما ألف في البحث البلاغي عن التأثير الأجنبي فيه. لقد عاش ابن المعتز في عصر وفد فيه التيار الثقافي الأجنبي على الحياة الأدبية العربية نلمح صوره هكذا واضحة في كتب الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ وكما قلنا فبديع ابن المعتز مؤلف سنة ٢٧٤هـ ومع هذا نلتمس هذا الأثر الأجنبي في الكتاب فلا نجده اللهم إلا في اللالتزام بترتيب معين في جمع النصوص الأدبية حول باب بلاغي بعينه أما غير ذلك فعربي خالص.

(١٠) ونخلص إلى أن لكتاب ابن المعتز قيمة أدبية خطيرة حين نرصد مثلا بحوث إعجاز القرآن وحين نذكر أنه جمع وضبط مصطلحات البديع حتى عده البلاغيون مؤسس البديع في البلاغة العربية وأفاد من جهوده قدامه وأبو هلال ومن تلاهما ثم أن ابن المعتز بحكم أنه شاعر مبدع يميل إلى الطابع الأدبي وينفر من التكلف حاول أن يبعد عن مجال الإنتاج الأدبي زخرف الصنعة المتكلفة حين رأى إفراط الشعراء المعاصرين له في البديع. وإعتبارهم هذا الزخرف هو القيمةالكبرى الجمالية فدلّهم على أن من النص الأدبي القديم ما جاءت فيه هذه الألوان نادرة الوقوع ولكنهاً في أعلى منزلة لأنها غير مقصود إليها. وهو إلى هذا كله من أقدم ما وصلنا من البحوث البلاغية المنظمة التي تعتمل في المحل الأول على النص الأدبي دون غيره والدراسة الأدبية الواعية تجعل من النص الأدبي قصدها الأول والأخير.

أدب الكتاب

تأليف أبي بكر محمد بن يحيى الصولى (ت ٣٣٥هـ وقيل ٣٣٦هـ)

نسخه وعنى بتصحيحه وتعليق حواشيه : محمد بهجة الأثرى

ونظر فيه علامة العراق : السيد محمود شكرى الألوسى

ط. المطبعة السلفية بمصر . القاهرة ١٣٤١هـ

ص ١١ : من مقدمة مصحح الكتاب : الأثرى

أدب الكتاب : ومن الناس من يقول أدب الكاتب. وقد ألفه زمن الراضى بالله كما يفهم مما كتبه فى باب ما يتكاتب به الناس اليوم. وهو مع صغر حجمه قد احتوى على فوائد جمة ومباحث مهمة جديرة بالتقدير.

أدب الكتاب للصولى

الجزء الأول

ص ٢٠ : .... هذا كتاب ألفناه فيما يحتاج إليه أعلى الكتاب درجة وأقلهم فيه منزلة وجعلته جامعاً لكل ما يحتاج إليه الكاتب، حتى لا يقول فى جميعه إلا عليه. وجزأته ثلاثة أجزاء، فى أول كل جزء منها ــ مع ترجمته ــ ذكر ما فيه من الأبواب، ليقرب على طالبه ما يريده منه. وهذا الكتاب هو المستحق أن يسمى «أدب الكتاب» على الإيجاب لا على الاستعارة، وعل يالتحصيل لا على التمثيل. فإنى رأيت من صنف مثل هذا الكتاب ونسبه هذه النسبة ولم يحصل له منه إلا تسميته دون تجسيمه، وتعميته دون إيضاحه وتقريبه من المعنى الذى ألبسه إياه ونسبه إليه.

ص ٢١ : فضل الكتابة... (حتى ص ٢٨)

ص ٢٦ : قال أبو بكر : وأنما ذكرت هذا الفصل لأرغب أهل هذه الصناعة الشريفة فى الإقبال عليها، وإنفاق بعض العمر فى طلبها، فإنها من أجل ما كد فيه الفكر وقطعت به الأيام.

ص ٢٨ : ما روى فى أول من كتب الكتاب بالعربى (حتى ص ٣١)
ص ٣١ : أصل كتاب بسم الله الرحمن الرحيم وابتداؤه (حتى ص ٣٢)
ص ٣٢ كيف يفتتحون كلامهم ليبارك لهم فيما يحاولون (حتى ص ٣٤)
ويؤجروا عليه، لعله يعرض بابن قتيبة فقد قالوا
ولم ينصفوا أن كتابه خطبة بلا كتاب
ص ٣٥ حذف الألف من بسم الله وما ذكر من حذف السين. (حتى ص ٣٦)
ص ٣٦ رسوم الكتاب فى كتابتهم بسم الله الرحمن الرحيم
ص ٣٦ أما بعده وما جاء فيها (حتى ص ٣٩)
ص ٣٩ تصدير الكتب وما يقع فيها (حتى ص ٤١)
ص ٤١ ولا يكاتب بالتصدير الإمام ولا ولى عهده ولا وزيره. فأما الإمام فيكتب بالتصدير إلى كل من خاطبه من عامل حرب وخراج وقضاء فى الكتب المدونة المنعوتة بالعهود والعقود وجباية الفيء والحمول والنفقات والإقطعات والإمارات والفتوح وما جرى هذا المجرى ويبدأ بنفسه ولا يخاطب الإمام أحداً من هذه الطبقات بدعاء لهم فى التصدير إلا ولى عهده فإنه يدعى له بعد التصدير بالحفظ
ص ٤١ والحياطة.
ص ٤١ مقـــال الخـــط (حتى ص ٤٥)
قال يحيى بن خالد الدرمكى «الخط صورة روحها البيان» ويدها السرعة وقدمها التسوية، وجوارحها معرفة الفصول «وقال أبو دلف» القلم صائغ الكلام مفرغ ما يجمعه العلم». وقال إقليدس «الخط هندسة روحانية وإن ظهرت بآداة جسمانية». أخذه النظام فقال «الخط أصل فى الروح وإن ظهر بآلة الجسد».
ص ٤٢ ومن فضل حسن الخط أن يدعو الناظر إليه أن يقرأ. وإن اشتمل على لفظ مرذول ومعنى مجهول وربما اشتمل الخط القبيح على بلاغة وبيان

وفوائد مستظرفة فيرغب الناظر عن الفائدة التى هو محتاج إليها لوحشة الخط وقبحه.

ص ٤٦ ما قيل فى حسن الخط المنظوم (حتى ص ٥٢)

ص ٥٢ ما قيل فى قبح الخط (حتى ص ٥٣)

ص ٥٣ الوصاية بإصلاح الخط وآلاته (حتى ص ٥٧)

ص ٥٦ ويستقبح أن ينقطع دعاء فيقع أوله فى آخر السطر وبعضه فى أول السطر الآخر وكذلك الكنية والمضاف وغير ذلك، وما عمل بعضه فى بعض، وما جعل اسماً واحداً وهو اثنان فى الأصل، وذلك مثل أعزه الله فى الدعاء، وعبد الله فى الأسماء، وغلام زيد فى الإضافة، وتأبط شراً فى العامل بعضه فى بعض، وخمسة عشر فيما جعل الاسمان اسماً واحداً، ومعدى كرب وحضرموت وآيادى سبأ ويد الدهر ويد المسند وهو الدهر أيضاً ص ٥٧ وشذر مذر.

ص ٥٧ ما قيل فى النقط والشكل والخط الدقيق (حتى ص ٦١)

كره الكتاب الشكل والإعجام إلا فى المواضع الملتبسة من كتب العظماء إلى من دونهم فإذا كانت الكتب ممن دونهم إليهم ترك ذلك فى الملتبس وغيرهم. إجلالا لهم عن أن يتوهم عنهم الشك وسوء الفهم، وتنزيهاً لعلومهم وعلو معرفتهم عن تقييد الحروف ولولا أن الذى حددناه من ذلك فى كتاب الرئيس إلى تابعه يجرى مجرى الزيادة فى الإيضاح له، ونفى الارتياب عنه، وإيجاب الحجة عليه فيما يأمر به وينهى عنه، لكان الأحسن ألا يستعمل فى الحالتين معاً وقد رأى قوم أن تكون كتبهم بأكبر الخطوط وأجلها، واختارو الشكل والإعجام فيها.
وحكوا عن بعض الخلفاء أنه تأذى من إخلاء

ص ١٢٠ المقبلة بالكتاب ونسخه (حتى ص ١١٢)
ص ١٢٣ المشق في الكتاب
ص ١٢٣ يقال مشق في الكتاب يشق شقاً إذا أسرع
الكتابة والمشق في اللغة تأثير الشيء بسرعة...
ص ١٢٣ الزلف (حتى ص ١٢٤)
ص ١٢٣ يقال زلف في ترابه يزللف فيها زلفاً إذا تجاوز
من شيء إلى شيء وهو في حق اللغة القرب
مما تريد
ص ١٢٤ فضض الكتاب (حتى ص ١٢٥)
ص ١٢٥ السحاة
تقول سحوت الكتاب أسحوه سحواً وسحويه
أسماه سحياً والواو أكثر وسحيت بالتشديد
أسحي تسحية ومعنى سحيت قشرت.
ص ١٢٦ تتريب الكتاب وتطيينه
ص ١٢٦ المحو في الكتاب (حتى ص ١٢٧)
ص ١٢٧ عرض الكتاب (حتى ص ١٣٩)
يقال عرضت الكتاب أعرضه عرضاً إذا أمررته
على طرفك بعد فراغك منه لئلا يقع فيه خطأ
ص ١٢٩ اللحن في الكتاب (حتى ص ١٣٣)
ص ١٣٥ التعليم في الكتاب
ص ١٣٥ يقال علمت في الكتاب أعلم تعليماً إذا وقعت
فيه خطأ تعرفه به ويعرفه غيرك
ص ١٣٥ الإملاء (حتى ص ١٣٦)
ص ١٣٦ طي الكتاب ودرجه (حتى ص ١٣٨)
ص ١٣٦ أدرج الكتاب معناه أسرع طيه
ص ١٣٨ درس الكتاب وسرده
درس الكتاب والقرآن يدرسه درساً إذا قرأه قراءة
متصلة بعضها ببعض أو في أثر بعض...
وكذلك سرد الكتاب يسرده سرداً شبيه بقوله

درسه درساً ودرع مسرودة بعضها يتلو بعضاً
حتى تتم...

ص ١٣٩	الخاتم وسببه وما قيل فيه	(حتى ص ١٤٣)
ص ١٤٣	العنوان	(حتى ص ١٤٧)
ص ١٤٥	قال بعض الكتاب السلام لمخاطبة الجليل وإلى مخاطبة الأدنى فالأجل يكتب من فلان بن فلان إلى فلان	
ص ١٤٦	ابن فلان والنظراء ومن دون يكتبون لأبي فلان من فلان	
ص ١٤٨	المقادير التي يكتب فيها من القراطيس	(حتى ص ١٤٩)
ص ١٤٩	وقد كره الناس الظهور وأمر بترك استعمالها في النسخ وإنشائها فكيف في المكاتبة وقيل هي تفسد النيات، وتذيع الأسرار بما في باطنها، وتشعث الخطوط، وتفض من سمر الدولة، وتحقر من قدر المعنى أكثر مما يقدر منها من الارتفاق والقيمة بينها وبين النقي	
ص ١٥٠	الدعاء في المكاتبة وترتيبه والزيادة والنقص فيه	(حتى ص ١٥٦)
ص ١٥٦	تحرير الكتاب	(حتى ص ١٥٩)
ص ١٥٦	قال أبو بكر: تحرير الكتاب خلوصه كأنه خلص من النسخ التي حرر عليها، وصفا عن كدرها. وقال الله تعالى: ﴿ إني نذرت لك ما في بطني محرراً ﴾ قال المفسرون جميعاً خالصاً لبيت المقدس لا تشغله بغير خدمته. وقال بعض الكتاب: ليس الكتاب كل وقت	(حتى ص ١٣٣)
ص ١٥٧	على غير نسخه، ويحرر بصواب، وكل أوان، لأنه ليس أحد أولى بالإناة والروية وتوخي الاغترار من كاتب يعرض عقله، وينشر بلاغته، فينبغي له أن يعمل النسخ ويخمرها ويقبل عفو القريحة ولا يستكرها، ويعمل على أن جميع الناس له أعداء، علماء بكتابة متفرغون	

له، منتقدون عليه. وقال آخر أن الابتداء بنظم الكلام ونثره فتنة تروق وحدة تعجب. فإذا سكنت القريحة، وعدل التأمل، وصف النفس، فليعد النظر، وليكن فرحه بإحسانه مساوياً لفحه بإساءته...

وكان قلم ابن المقفع يقف كثيراً فقيل له في
ص ١٥٨ ذلك فقال : «إن الكلام يزدحم في صدرى فيقف قلمى لتحيره»

والكتاب يتصفح أكثر من الخطاب لأن الكاتب يعى والمخاطب مشافه مضطر، ومن يرد عليه كتابك ليس يعلم أسرعت فيه أم أبطأت، وإنما ينظر أصبت أم أخطأت، أو أحسنت أم أسأت. فابطاؤك غير قادح في إصابتك، كما أن إسراعك غير مصيب على غلطك. ووصف بعض الكتاب النسخ فقال ينبغي أن يصحبها الفكر إلى استقرارها ثم تستبرأ بإعادة النظر فيها بعد اختمارها، وتوسع الفصول بين سطورها، ثم تحرر على ثقة تصحبها، وتتأمل بعد التحرير من أولها إلى آخرها.

من زيد في دعاء المكاتبة لدفشكر

ص ٢٢٢ وقال سعيد بن جبير لا خير فى القبالة وإنما كرهوها لأنها بيع ثمر لم يخلق بعد ولم يبد صلاحه وزرع نابت لم يحصد ومن قبل أن يزرع فهذا هو الغرر المنهى عنه

ص ٢٢٢ ما يفضل من المال (حتى ص ٢٢٤)

ص ٢٢٤ مكاتبة المسلم وغيره (حتى ص ٢٢٥)

ص ٢٢٥ ما فى الإنسان وغيره (حتى ص ٢٢٦)

ص ٢٢٦ الأطعمة (حتى ص ٢٢٨)

ص ٢٢٨ مدح الإيجاز فى ابتداء المكاتبة والجواب (حتى ص ٢٣٦)

ص ٢٣٤ وقال بعض الكتاب أكثر حيل الكاتب فى بلاغته يقصد شيئاً فيأتى بغيره ويدرجه فيه. قال محمد بن يحيى الصولى ومن ذلك ما حدثنا الحسين بن فهم قال حدثنا عبد الله بن أحمد ابن يوسف عن أبيه قال دخلت على المأمون وفى يده كتاب ورد من عمرو بن مسعده وهو يردد النظر فيه مرات ثم قال لى أظنك قد أفكرت فى تردادى النظر فى هذا الكِتاب قلت قد أفكرت فى ذلك قال أنى عجبت من بلاغته واحتياله لمراده كتب «كتابى إلى أمير المؤمنين أعزه الله ومن قبلى من قواده وأحفاده فى الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم» ألا ترى يا أحمد إلى إدماجه الخلة فى الأجناد وإعفاء سلطانه من الإكثار ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر

ص ٢٣٦ مكاتبة الأحزان (حتى ص ٢٣٧)

ص ٢٣٨ ذكر الحساب (حتى ص ٢٤٣)

ص ٢٣٨ قال الصولى بم نرد بذكر الحساب أن نذكر الضرب والقسمة والمعاملة أنما أردنا أن نذكر

نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر

تحقيق محمد عيسى منون ـ المطبعة الوطنية ١٩٣٤

وجد المؤلف أن الناس عنوا بالشعر من جهات: العروض ـ اللغة ـ الغريب ـ المعانى، ولم يجد أحداً قد عنى بعلم جيده ورديئه ومن هنا فإنه هدف من كتابه إلى وضع مقياس يتميز جيد الكلام من رديئه ذلك لأن هذا المبحث أحق المباحث الشعرية بالعناية

جواهر الألفاظ

لقدامة بن جعفر

يقول فى مقدمة كتابه :

الحمد لله حق حمده، والصلاة على محمد وآله من بعده (١)

قال قدامة بن جعفر :

هذا كتاب يشتمل على ألفاظ مختلفة، تدل على معانى متفقة مؤتلفة، وأبواب موضونة، بحروف مسجعة مكنونة، متقاربة الأوزان والمبانى، متناسبة الوجوه والمعانى توتق أبصار الناظرين، وتروق بصائر المتوسمين. وتتسع بها مذاهب الخطاب، وينفسح معها بلاغة الكتاب، لأن مؤلف الكلام البليغ الفصيح، والفظ المسجع الصحيح، كناظم الجوهر المرصع، ومركب العقد الموشح: يعد أكثر أصنافه، ليسهل عليه اتفاق رصفه وائتلافه، وقد ألف للألفاظ غير كتاب فقيل : أصلح الفاسد، وضم النشر، وسد الثلم، وأسا الكلم. فوزن أصلح الفاسد مخالف لوزن ضم النشر. وكذلك سد وأسا. ولو قيل: أصلح الفاسد وألف الشارد، وسدد العائد، وأصلح ما فسد، وقوم الأود، أو قيل: صلح فاسده ورجع شارده ـ : لكان فى استقامة الوزن واتساق السجع عِوض من تباين اللفظ، وتنافى المعنى والسجع.

وسأذكر ما يختار ويستحسن من الخطاب وقصد إبلاغه بالمعنى إن شاء الله تعالى.

---

(١) فى النسخة الموصلية هذا الافتتاح : «بسم الله الرحمن الرحيم، واستفتح الله خير الفاتحين، والحمد الله، وصلى الله على محمد المصطفى، وعلى آله الطاهرين الطيبين، هذا كتاب ... الخ.

وأحسن البلاغة: الترصيع، والسجع، واتساق البناء، واعتدال الوزن، واشتقاق لفظ من لفظ، وعكس ما نظم من بناء، وتلخيص العبارة بألفاظ مستعارة، وإيراد الأقسام موفورة بالتمام، وتصحيح المقابلة بمعانى متعادلة، وصحة التقسيم باتفاق المنظوم، وتلخيص الأوصاف بنفى الخلاف، والمبالغة فى الرصف بتكرير الوصف، وتكافؤ المعانى فى المقابلة، والتوازى، وإرداف اللواحق، وتمثيل المعانى.

فالترصيع : أن تكون الألفاظ متساوية البناء، متفقة الانتهاء، سليمة من عيب الاشتباه، وشين التعسف والاستكراه، يتوخى فى كل جزءين منها متواليين، أن يكون لهما جزآن متقابلان: يوافقاهما فى الوزن ويتفقان فى مقاطع السجع، من غير استكراه ولا تعسف، كقول بعضهم : «حتى عاد تعريضك تصريحاً، وصار تمريضك تصحيحاً» فهذا أحسن المنازل ثم بعده اتساق البناء والسجع. كقول النبى ﷺ لجرير بن عبد الله البجلى : «خير الماء الشبم وخير المال الغنم، وخير المرعى الأراك والسلم : إذا سقط كان لجينا، وإذا يبس كان درينا، وإذا أكل كان لبيناً» (١)

ثم اعتدال الوزن كقوله : «اصبر على حر اللقاء، ومضض النزال، وشدة المصاع، ودوام المراس».

ولو قال : على حر الحرب، ومضض المنازلة، وشدة الطعن، ومداومة المراس ـ لبطل رونق التوازن : لأن اللقاء والنزال والمصاع والمراس بوزن واحد، فى الحركة والسكون والزوائد، ومثله قوله : «إذا كنت لا تؤتى من نقص كرم، وكنت لا أوتى من ضعف سبب، فكيف أخلف منك خيبة أمل، أو عدولا عن اغتفار زلل، أو فتوراً عن لم شعث أو إصلاح خلل» فجعل نقصاً بإزاء ضعف، وكرماً بإزاء سبب، وعدولا بإزاء فتور، مناسبة فى التقدير وموازنة فى البناء ولو جعل مكان كرم سماحة، ومكان سبب شكراً، لبطل التوازن.

واشتقاق لفظ من لفظ كقوله : «العذر مع التعذر واجب» وكقوله : «لا ترى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطا».

---

(١) ذكر ابن الأثير فى النهاية هذا الحديث بلفظ : «إذا أخلف كان لجينا وإذا سقط كان درينا، وإذا أكل كان لبينا» واللجين بفتح اللام وكسر الجيم الخبط وذلك أن ورق الأراك والسلم يخبط حتى يجف، ثم يدق حتى يتلجن أى يتلزجج. والدرين حطام المرعى تناثر وسقط على بأرض. واللبين الذى يدر اللبن ويكثره يعنى أن النعم إذا رعت الأراك والسلم غزرت ألبانها.

وقيل لرجل: ما عندك فى النكاح؟ فقال: « ما يقطع حجتها، ولا يبلغ حاجتها» وعكس اللفظ كقوله: «اشكر من أنعم عليك، وأنعم على من شكرك» وكقوله: « إن من خوفك لتأمن خير ممن آمنك حتى تلقى الخوف» وكقول عمرو بن عبيد: «اللهم أغننى بالفقر إليك، ولا تفقرنى بالاستغناء عنك» وقال آخر لرجل كان يحسن إليه: «أسأل الذى رحمنى بك أن يرحك بى» والاستعارة كقول بعضهم ـ وهو يصف رجل ـ: «هو أملس، ليس فيه مستقر بخير ولا بشر» ووصف آخر بالمنع فقال: «هو مشجب من أين جئته وجدت لا» ووصف ابن المعتز القلم فقال : «يخدم الإرادة، ولا يمل الزيادة، ليسكت واقفاً، وينطق سائراً، على أرض بياضها مظلم، وسوادها مضىء» وتوفير تمام الأقسام: هو أن يأتى بالأقسام مستوفاه لم يخل بشىء منها ومخلصة لم يدخل بعضها فى بعض. كقوله: «فإنك لم تخل فيما بدأتنى من مجد أثلته، وشكر تعجلته، وأجر ادخرته» وتصحيح المقابلة : أن يأتى بمعانى يراد التوفيق بينها وبين معان آخرى فى المضادة: فيأتى فى الموافقة بالموافقة، وفى المضادة بالمضادة كقوله: «أهل الرأى والنصح، لا يساويهم ذووا الأفن والغش، وليس من جمع إلى الكفاية الأمانة، كمن جمع إلى العجز الخيانة» وإذا تؤملت هذه المقابلات وجدت فى غاية المعادلة: لأنه جعل بإزاء الرأى الأفن، بإزاء النصح والغش، وفى مقابلة الكفاية العجز، وفى مقابلة الأمانة الخيانة. وقوله: «ولو أن الأقدار إذا رمت بك من المراتب إلى أعلاها، بلغت بك من أفعال السؤدد إلى ما وازاها ـ «لو أذنت ماعيك مراقيك وعادلت النعمة عليك النعمة فيك، ولكنك قابلت سمو الدرجة بدنو الهمة، ورفيع الرتبة، بوضيع الشيمة، فعاد علوك بالاتفاق، إلى حال دنوك بالاستحقاق، وصار جناحك فى الانهياض، إلى مثل ما عليه قدرك فى الانخفاض، ولا لوم على القدر إذا أذنب فيك فأناب، وغلط بك فعاد إلى الصواب» وإذا تؤملت أجزاء هذا الكلام وجدت متقابلة تقابل تعديل فى الموافقة والمضادة ومثله قوله: «شكرتك يد نالتها خصاصة بعد نعمة، وأغناك الله عن يد نالت ثروة بعد فاقة».

وصحة التقسيم : أن توضع معان يحتاج إلى تبيين أحوالها، فإذا شرحت أتى بتلك المعانى من غير عدول عنها، ولا زيادة عليها ولا نقصان منها كقوله: «أنا واثق بمسالستك فى حال، بمثل ما أعلم من مشارستك فى أخرى : لأنك إن عطفت وجدت لدنا، وإن غمزت ألفيت شثنا».

وتلخيص الأوصاف ~~كقوله~~ : «حلقت به أسباب الجلالة غير مستشعر فهيا ~~سرة~~ وبرامت به أحوال الصرامة غير مستعمل معها لسطوة، وهذا مع زمانه فى غير حصر، ولين من غير خور، فمن تمام الجلالة أن تزول عنها النخوة، ومن كمال الصرامة أن تتصفى من السطوة، من خلوص لزماته أن لا تكون مع

حصر، ومن فضل لين الجانب أن يكون من غير خزر، وقوله: «مواعد لم تشن بمطل، ومرافد لم تشب بمن، وبشر لم يمازجه ملق، وود لم يخالطه مذق».

والمبالغة: أن يذكر المعنى بما لو اقتصر عليه لكان كافياً فيما قصد له، فلا يقتصر على ذلك حتى تؤكد معانيه، وتعتمد المبالغة فيه، مثل قول أعرابي دعا ربه فقال: «اللهم إن كان رزقي نائياً فقربه، وإن كان قريباً فيسره، أو ميسراً فعجله، أو قليلا فكثره، أو كثيراً فثمره».

والتكافؤ كقوله: «كدر الجماعة خير من صفو الفرقة» لأنه لما قال كدر قال صفو، ولما قال الجماعة قال الفرقة، وقوله: «فكان اعتدادي بذلك اعتداد من لا تنضب عنه نعمة غمرتك، ولا يمر عليه عيش يحلو لك» وقوله: «إنما هو مالك وسيفك، فازرع بهذا من شكرك واحصد بهذا من كفرك» وكقوله بعضهم - وقد قيل له إنك لسيد لولا جمود يدك فقال: «ما أجمد في الحق، ولا أذوب في الباطل» وكقوله: «إن كنا أسأنا في الذنب فما أحسنت في العفو».

والإرداف: أن تراد الدلالة على معنى فلا يؤتى باللفظ الخاص بالدلالة على ذلك المعنى بنفسه بل بلفظ هو ردفه وتابع له ضرورة ليكون في ذكر التابع دلالة على المتبوع وهو في الأشعار وبلاغة الإعراب كقول أعرابياً: «له نعم قليلات المسارح، كثيرات المبارك، إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك» وإنما أرادت أن أبله تبرك بفنائه ولا تسرح ليقرب عليها نحرها لضيوفه، فقد اعتادت منه هذه الحالة، وإنما أرادت أن تصفه بالجود والكرم، فأتت بمعان هي إرداف ولواحق من غير تصريح بما أرادت بعينه.

والتمثيل: أن يراد الإشارة إلى معنى فتوضع ألفاظ تدل على معنى آخر وذلك المعنى وتلك الألفاظ مثال للمعنى الذى قصد بالإشارة إليه والعبارة عنه.

كما كتب يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد حين تلكأ عن بيعته: «أما بعد فإني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيتهما شئت والسلام» فلهذا التمثيل من الموقع ما ليس له لو قصد للمعنى بلفظه الخاص: حتى لو أنه قال مثلا «بلغني تلكؤك عن بيعتي فإذا أتاك كتابي هذا فبايع أولا» لم يكن لهذا اللفظ من العمل في المعنى بالتمثيل لما قدمه.

فهذه المعاني مما يحتاج إليه في بلاغة المنطق، ولا يستغني عن معرفتها شاعر ولا خطيب.

فأما ما يعاب الكلام به فسأذكره إن شاء الله تعالى.

(١) باب
فى معنى أصلح الفاسد، وضده

يقال : أصلح الفاسد، وحصد المعاند، وأقام المائد، وقوم الحائد، ورد الشارد، ولمّ الشعث، وكف الحدث، ورم ما شد وانتكث، وضم النشر، وجانب الشر، والأشر، ورم الرث، ووصل ما قطع واجتث، وجمع الشتات، وهجر الظلم والإعنات، وأعاد المنهدم، وداوى السقم، وأسا الكلم، ورتق الفتق، ورقع الوهى والخرق، وشعب الصدع، ورأب القطع، ورأب الثأى، ورتق الوهى، وحاص الشق، وألحم الفتق، وسد الثلمة، وكشف الغمة، وسد الفرج، وسكن الرهج، وأقام الأود، وطمس الكفر والعند، وسد الخلل، ورد الخجل، وثقف الخطل، وعدل الميل، ونفى الوجل، وأقام الصعر والصور، وثقف الزيغ والزور.

ويقال: أصابه وصم، وقصم، وفصم، وحطم، وهشم، وهزم، وكلة الكسر.

وفى الحديث : «إن لخديجة رضى الله عنها فى الجنة لبيتاً من لؤلؤة : لا وصم فيها، ولا قصم، ولا فصم»

ويقال : أنهر الفتق، وفتق الرتق، ووسع الخرق، وأوصد الرتاج والغلق.

ويقال : استوسع الوهى، واستنهر الثأى، وظهر البغى، واستعلى الغى، وكثرت الغارة والسبى.

ويقال : كثر الفساد، وظهر العناد، واستعلى المراد، ووهى الشعب، واشتد الرعب، ودارت رحى الحرب.

ويقال : استقام المائل، وأمن السابل، وأمنت الغوائل، وارتدع الجاهل، وانشعب الصدع، وسكن النقع، وزال الروع، وعم النفع، وانتظم الشمل، واستحصف الحبل، وانجبر الوهن، واستفاض الأمن، وذهب الحزن، وانبتر الشجن، وانحسم الداء، وانكشف البلاء، واندمل الداء العياء، واعتدل الميل، وذهب الوجل، وثقف القاسط، وأرضى الساخط.

ويقال : أصخات الفتنة بعد الصمم، وصحت الدولة بعد السقم

ويقال : هدأت الفتنة، وزالت المحنة، وسكنت الدهماء، وأرت الظلماء، وخبت نار الهيجاء، ووضعت الحرب أوزارها، وأخمدت البأساء أوارها، وركدت ريح البلاء، وانقشعت سحائب الأواء، وانحسمت مادة الضراء، ونزعت كوامن الشحناء.

ويقال : قوم صعره، وثقف صورة، وسوى زيغه، وعدل ميله، وأقيم توْده

والتواؤه، وثقف أمته وانثناؤه.

ويقال : هو على تسديد مختلفة، ومداواة معتله.

(٢٠٨) باب
بلاغـــــة المنطـق

البيان والبلاغة، والذرابة، والذلافة، والفصاحة، والخطابة.

وهو لسن، لقن، لحن، مفوه، مدره، خطيب، مصع، ذرب، مقول، فصيح، مسحل، ذلق، مسلق، طلق.

ويقال: لا يطاق لسانه، ولا يقاوم بيانه، ولا ينزف بحره، ولا يدرك غوره، ولا يسبر قعره، ولا يعرف سبره، ولا يخاض عمره، ولا يلحق شأوه، ولا يدرك مهله.

عذب الكلام، طيب الخطاب، حلو المحاورة، قويم القول، زلق المنطق، مطبق المفصل، مذرب مقصل.

بحره زاخر، ونهره دافق، لا يتتعتع، ولا يتنطع، يتدفق ولا يتشدق، ويترفق ولا يتفيهق.

ويقال : سكوته كلام، ولسانه حسام، ولا يطاق ولا يرام، لسانه فصيح، طليق ذرب، ذليق، قد لقن الصواب، ولقى فصل الخطاب، قد ذللت له سبل البلاغة، ومهدت له مذاهب الخطابة، لا يؤوده صعبه، ولا يكده وعره، ولا يفدحه غريب، ولا يشذ عنه عجيب، قد أيد بالتوفيق، ووفق للصواب، وأمد بمحاسن الخطاب، ووشح بالجزالة، وسدد بالأصالة، ووفق بالإصابة، وللإصابة أيضاً، وسخرت له وجوه الخطابة.

ويقال: كلام بين المناهج، سهل المخارج، والمبادىء، دمث المباني، والمتالى أيضاً، رقيق الحواشي، مطرد السياق، حسن الاتفاق، متفق القرائن، متسق النظام، معتدل الالتئام، مستمر الرصف، معتدل البناء، صحيح المعنى، ظاهر الفحوى، معروف المغزى، معناه ظاهر فى لفظه، ومغزاه تابع لقوله، وفحواه يتلو نطقه، وأوله دال على آخره، وباطنه شاهد على ظاهره، ووارده تابع لصادره، بمثله تستمال القلوب، وتستعطف الأهواء، وترد القلوب النافرة، والنفوس المتنكرة، والآراء المتغيرة، والأهواء المختلفة، والأبصار المنزوية، وبمثله ينال الدرك، وتحاز الآمال، وتحوى

الأمانى، وتدرك المطالب، ويبلغ النجح، ويتألف الشارد، ويرد النافر، ويصلح الفاسد، وتجتلب القلوب، وتستجلب الأهواء، وتفلق الصخور الجاسية، وتعطف القلوب القاسية.

لسان خلاب، ملاق، مذاع، خداع، عذب، حلو، لذيذ المنطق، معسول الكلام. حسن النظام، عذب العذبة، سلس الأسلة، شحيذ الشباة، أصيل الأصالة، محصل الحصاة، دقيق الغرار، مرهف الذلق، مذلق الحواشى، مطرف الطرف، مقول، مقصل، مسحل، مسلق، معلق، مصقع، مصدع، مصدح، مفصح، موضح، مصرح، ملخص، مبين، مشرح، شحشح.

كتاب الموازنة يين أبى تمام والبحترى

أبى القاسم الجسن بن بشر بن يحيى الآمدى

طبع محمد على صبيح

ـ ولقد أدرجناه هنا لأن فيه هذا الجانب الذى كان يستحسنه الآمدى من ضروب التشبيهات والاستعارات المستحسنة والتى يرى فيها طبع الأدب العربى الأصيل والذى تمثل فى شعر البحترى وتمرد عليه.

«النكت فى إعجاز القرآن»

للرمانى (أبو الحسن على بن عيس الرمانى) (٢٩٦هـ ـ ٢٨٦هـ)

ـ هو المعتزلى الذى ولد سنة ست وتسعين ومائتين من الهجرة بمدينة سامرا أو ببغداد ونشأ نشأة فقيرة واشتغل بطلب العلم واستعان على كسب قوته بالوراقة وأخذ اللغة والنحو على جماعة من شيوخ العلم مثل أبى بكر ابن دريد وأبى بكر السراج والزجاج وتخرج فى الكلام على يد أستاذه المعتزلى ابن الأخشيد.

ويعد كتابه «النكت» مثيراً لنقد قوى بسبب أن من وجوه الإعجاز القرآنى عنده ما يدخل فى باب البديع والذى كان إمامه الشاعر أبو تمام.

«إعجاز القرآن»

للباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣هـ

ـ هو أبو بكر : محمد بن الطيب ين حمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلانى أو ابن الباقلانى ـ ولد بالبصرة ولم يعين أحد من المؤرخين عام ولاداع وقد تلقي العلم على أعلامها ثم رحل إلى بغداد فأخذ من علمائها ثم اتخذها داراً لإقامته حتى قضى نحبه فقيها ولم يذكر أحد كذلك متى رحل إليها أول ما رحل ولا متى اتخذها مستقراً.

وقد أتيح للباقلاني أن يتتلمذ لطائفة من العلماء الذين جمعوا بين العلم والعمل.

ويعد كتابه «إعجاز القرآن» ذا منزع طريف فى موازنته بين القرآن وكلام الرسول ﷺ والصحابة وفحول الشعر الجاهلى والإسلامى وقد تعرضنا له فى مباحثنا الأخرى. تحقيق السيد أحمد صقر طبع دار المعارف.

«المجازات النبوية»

ـ الشريف الرضى ـ تعليق محمود مصطفى

مطبعة مصطفى البابى الحلبى سنة ١٩٣٧م.

ـ أراد به المؤلف ـ بعد أن لقى كتابه الأول «تلخيص البيان فى مجازات القرآن» استحسانًا وقبولا أن يسير على نفس النهج فيستخرج الاستعارات اللطيفة كاشفًا بذلك عن أسرار الإعجاز القرآنى والبلاغة النبوية ومتبعًا فى ذلك وسيلة الترقى من الفهم إلى الذوق بالتفسير اللغوى لفهم المعنى ثم التحليل الأدبى لذوق النص القرآنى أو الحديثى.

«تلخيص البيان فى مجازات القرآن»

تصنيف الشريف الرضى

تحقيق محمد عبد الغنى حسن عيسى البابى الحلبى ـ القاهرة ١٩٥٥

«التشبيهات»

لابن أبى عون

يعد كتاب «التشبيهات لابن أبى عون من الكتب الفريدة فى الأدب العربى التى جمعت الصور الفنية فى التراث الشعرى العربى وصنفها تصنيفاً يمكن لمحه من عرضنا لفهرست كتابه ولعل ابن ظافر فى كتابه «غرائب التشبيهات على عجائب التشبيهات» لم يطلع على كتاب التشبيهات لابن أبى عون وذلك لسببين :

أولهما : أن ابن عون كان مغموزاً فى دينه فلعل كتابه أخفى وطوته يد النسيان إلى زمان متأخر

ثانيهما : أن ابن عون توفى فى القرن الرابع وابن ظافر فى القرن السابع وبمقارنة كتابيهما نجد أن الثانى يستشهد على نطاق واسع لشعراء كثيرين سابقين ومعاصرين من جميع البيئات الإسلامية مشرقها ومغربها.

فهرست أبواب «التشبيهات» لابن أبي عون

«البرهان فى وجوه البيان»

أبو الحسن اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب

تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثى

طبعة جامعة بغداد سنة ١٩٦٧

الكتاب لمؤلف من فقهاء الشيعة وكتابه صدى لكتاب الجاحظ «البيان والتبيين» حاول ترتيب مسائله البلاغية مثل صنيع أبى هلال العسكرى واختار بخاصته ما يتصل بالفن الكتابى مثل صنيع ابن المدبر والكتاب مثال لامتزاج البلاغة العربية بمنطق وفلسفة أرسطو ومحاولة مزج البلاغة العربية بالبلاغة اليونانية مما يقابل فى الشعر صنيع قدامة بن جعفر

«كتاب الأقصى القريب فى علم البيان»

تأليف زين الدين أبى عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمرو التنوخى

أحد أعيان المائة السابعة للهجرة النبوية

مطبعة السعادة سنة ١٣٢٧هـ

وزين الدين فى كتابه «الأقصى القريب» نجد آثارات من النحو اليونانى فى علم المعانى وهو فى هذا المؤلف ينتمى إلى هذه المدرسة البلاغية الأدبية التى تعنى بالشواهد وتحليلها كما تعنى بالتنظير. جامعاً بين اتجاهين الاتجاه المنطقى والاتجاه الأدبى.

الفصـــل الثاني

أقصى المشـــــرق

« الألفاظ الكتابية »

لعبد الرحمن بن عيس الهمزاني الكاتب

طبع ونشر ـ محمود توفيق سنة ١٩٢٥م

رأى الهمزاني أن الكتاب في عصره يتكلفون اللفظ الغريب والكلمة الوحشية لبيان ارتفاعهم عن العامة هذا فريق، وفريق آخر يضيق لديه القول في معاني ما يكتب فإذا عثر على تعبير لم يغير في معناه، فقام الهمزاني بتسهيل السبيل أمام الفريقين فجمع العبارات القريبة والأساليب الأدبية في المعاني المتفقة أو المتقاربة وتلقتها من دواوين الأدب وبطون الكتب للكتاب والأدباء.

مثال : باب في التفضيل. ويقال: هو أبصر ذى عينين وأسمع ذى أذنين وأبطش ذى يدين وأجود ذى كفين وأمشى ذى رجلين وأبلغ ذى لسان وأعف ذى مقول وقس على ذلك.

«كتاب الألفاظ الكتابية»

لعبد الرحمن بن عيسى الهمزاني

اعتنى بضبطه وتصحيحه الأب لويس شيخو اليسوعي ط٧

مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٩٨م

ص ١٧ ترجمة عبد الرحمن الهمزاني (نقلا عن إحدى النسخ الثلاث للكتاب التي حصل عليها الناشر.

هو عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمزاني كاتب بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي كان شيخاً صالحاً متعبداً من أهل البيوتات القديمة. (ووجدت في معجم الأدباء ما نصه : كان الشيخ إماماً في اللغة والنحو ذا مذهب حسن وكان كاتباً سديداً شاعراً فاضلا كاتب ابن أبي دلف العجلي له مصنفات قليلة. كلها كثيرة الفائدة منها كتاب «الألفاظ الكتابية » وهو صغير لا يستغني عنه طالب الكتابة) قال الصاحب بن عباد: لو أدركت عبد الرحمن بن عيسى مصنف كتاب الألفاظ لأمرت بقطع يده. فسأل عن السبب فقال : جمع شذور العربية الجذلة في أوراق يسيره فأضاعها في أفواه صبيان المكاتب. ورفع عن المتأدبين تعب الدروس والحفظ الكثير والمطالعة الكثيرة الدائمة وكانت وفاة الهمزاني سنة ٣٢٠هـ (٩٣٣م) وقيل غير ذلك والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة مؤلف الكتاب

الحمد لله الذى جعل توفيقنا لحمده نعمة مضافة منه لنا إلى سائر نعمه وصلى الله على محمد صفوته من خلقه وعلى آله الطاهرين. قال عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمزاني الكاتب : الصناعات مختلفات. ولها درجات متفاوتات. فمنها ما يرفع أهله ويشرفهم ويغنيهم عند المساجلة والمكاثرة عن كرم المناسب. وشرف المناصب. ومنها ما يضع المحترفين له أشد الضعة ويخملهم أقبح الخمول حتى لا يكونوا لأحد ممن سواهم نظراء فى منزلة. أو أكفاء فى معاشرة. وإن كان لبعضهم قديم يذكره أو أب معروف يعتزى إليه. وقد قال سيد المسلمين وإمام المتقين. أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه : قيمة كل امرىء ما يحسنه وقال : الناس أبناء ما يحسنون. وهذه الكتابة من أعلى الصناعات وأكرمها وأسمعها بأصحابها إلى معالى الأمور وشرائف الرتب. فهم بين سيد ومدبر سيادة وملك وسائس دولة ومملكة.

وبلغت بقوم منهم منزلة الخلافة وأعطتهم أزمة الملك. والمتصرفون فيها فى الخط منها بين متعلق بالممالك مضاء ونفاذا. وبين متنكس فى الحضيض نقصا وتخلفاً. ومن آفاتها على ذوى الفضل منهم أن المتأخر فيها لا يمتنع من إدعاء منزلة المتقدم فيها بل لا يعفيه من إدعاء الفضل عليه. والمتقدم لا يقدر على تثبيت نقص المتخلف فى كل حال من الأحوال أو مشهد من المشاهد لدروس أعلام هذه الصناعة وقلة من يرجع إليه فيها. إلا إذا اتفق حضور متميز وأمكن قرب محصل. وهيهات أن يكون ذلك فى كل وقت وأوان.

ووجدت من المتأخرين فى الآلة قوماً أخطأهم الاتساع فى الكلام. فهم متعلقون فى مخاطباتهم وكتبهم باللفظة الغريبة والحرف الشاذ ليتميزوا بذلك من العامة ويرتفعوا عند الأغبياء عن طبقة الحشو. والخرس والبكم أحسن من النطق فى هذا المذهب الذى تذهب إليه هذه الطائفة فى الخطاب. وألفيت آخرين قد توجهوا بعض التوجه وعلوا عن هذه الطبقة ، غير أنهم يمزجون ألفاظاً يسيرة قد حفظوها من ألفاظ كتاب الرسائل بألفاظ كثيرة سخيفة من ألفاظ العامة استعانة بها وضرورة إليها لخفة بضاعتهم ولا يستطيعون تغيير معنى بغير لفظه لضيق وسعهم. فالتكلف والاختلال ظاهران فى كتبهم

ومحاوراتهم إذ كانوا يؤلفون بين الدرة والبعرة في نظامهم. فجمعت في كتابي هذا لجميع الطبقات أجناساً من ألفاظ كتاب الرسائل والدواوين البعيدة من الاشتباه والإلتباس السليمة من التقعير. المحمولة على الاستعارة والتلويح. على مذاهب الكتاب وأهل الخطابة دون مذاهب المستغربين والمتفاصحين من المتأدبين والمادبين المتكلفين. البعيدة المرام على قربها من الأفهام. في كل فن من فنون المخاطبات. فالتقته من كتب الرسائل وأفواه الرجال وعرصات الدواوين ومحافل الرؤساء. ومتخذه من بطون الدفاتر ومصنفات العلماء فليست لفظه منها إلا وهي تنوب عن أختها في موضعها من المكاتبة أو تقوم مقامها في المحاورة إما بمشاكلة أو بمجانسة أو بمجاورة. فإذا عرفها العارف بها وبأماكنها التي توضع فيها كانت له مادة قوية وعوناً وظهيرا. فإن كتب عدة كتب في معنى تهنئة أو تعزية أو فتح أو وعد أو وعيد أو احتجاج أو جدل أو شكر أو استبطاء أو اعتذار أو عهد من عهود الولاة والحكام أو تأسيس جماعة أو تشبيب بحاجة أو مطلب أو موافقة أو صدر دستور أو حكاية حساب أو كتاب ضمان أو غير ذلك أمكنه تغيير ألفاظها مع إفاق معانيها. وأن يجعل مكان: (أصلح الفاسد): لم الشعث. ومكان (لم الشعث) رتق الفتق وشعب الصدع. وهذا قياس فيما سواه من أبواب ألفاظ هذا الكتاب. وإن تعد به حسن المعنى لم يعدم من ألفاظه ما هو من بناء الكلمة. ولا غنى بالكاتب البليغ ولا الشاعر المفلق ولا الخطيب المسقع عن الاقتداء بالأولين والاقتباس من المتقدمين.

واحتزاء مثال السابقين فيما اخترعوه من معانيهم وسلكوه من طرقهم. كأن الأول لم يترك للآخر شيئاً. فمن أخذ منهم معنى بلفظه فقد سرقه، ومن أخذه ببعض لفظه فقد سلخه، فمن أخذه عارياً وكساه من عنده لفظاً فهو أحق به ممن أخذ منه. والمقل من الألفظ يعجز عن تغيير معنى عن صورته ونقله عن حليته. ومن كان كذلك لم تكمل آلته ولم تجتمع أداته وكان النقص لازماً له. واللفظ زينة المعنى. والمعنى عماد اللفظ. ولكن مما يحمد من التأليف والنظم أن يكون كما قلت: تزين معانيه وألفاظه وألفاظه زاينات المعاني فإذا كانت الألفاظ مشاكلة للمعاني في حسنها والمعاني موافقة للألفاظ في جمالها وانضاف إلى ذلك قوة من الصواب وصفاء من الطبع ومادة من الأدب وعلم بطرق البلاغات ومعرفة برسوم الرسائل والمكاتبات كان الكمال وبالله التوفيق.

عرض أبواب الكتاب

- باب بمعنى أصلح الفاسد.
- باب في معنى صلح الشيء.
- باب معنى لا يستطاع إصلاح الأمر.
- باب اعوجاج الشيء.
- باب بمعنى سلك طريقته.
- باب الفحص عن الأمر.
- باب في اللوم.
- باب في التوبة.
- باب التمادى في الضلال.
- باب العفو.
- باب الجزاء.
- باب الزلة والخطأ.
- باب اللؤم.
- باب أسماء النار.
- باب في الحقد والضغينة.
- باب الغيظ.
- باب إسكان الغيظ.
- باب الثلب والطعية.
- باب المدح.
- باب البعد وما يجانسه.
- باب في قرب المسافة والخطوة.
- باب في التقصير.
- باب في الجد والسعي.
- باب في انتظام الأمر.
- باب التواتر وضده.
- باب التباس الأمر.
- باب وضوح الأمر.
- باب اعتياص الأمر وصعب المرام.

- باب فى انقياس الأمر.
- باب فى كرم المحيد والأصل.
- باب فى الشرف والتسامى.
- باب النسب.
- باب القرابة.
- باب الانتساب.
- باب التجربة.
- باب الرجوع من السفر.
- باب الفقر.
- باب الاستغناء.
- باب فى الطمع.
- باب القناعة.
- باب النوال والصلة.
- باب أمرات الأشياء.
- باب قولهم هو حقيق أن يفعل كذا.
- باب إظهار العداوة.
- باب المعارضة والموارية.
- باب فى المباراة والمكاثرة.
- باب فى الكذب.
- باب القلة والكثرة.
- باب الخطار بالنفس.
- باب المنع والعوائق.
- باب الذريعة.
- باب حسم الفساد.
- باب التجهيز.
- باب تطهير الناحية.
- باب فى مبادىء الأمر.
- باب مضاء الأيام.
- باب فى استقبال الأيام.

ـ باب المصير.
ـ باب الشجاعة.
ـ باب في الفرسان.
ـ باب في ذكر الأولياء وأنصار الدين.
ـ باب في ذكر الأعداء.
ـ باب في احتشاد القوم.
ـ باب الجيران.
ـ باب الأشراف.
ـ باب أجناس الشوائب.
ـ باب الخوف.
ـ باب تسكين الخوف.
ـ باب بمعنى وضع الشيء في درج الآخر.
ـ باب توقع الأمر.
ـ باب في وقوع أمر حاصل من غير توقع.
ـ باب إثبات الأمر.
ـ باب الرجوع عن العدو.
ـ باب أجناس العطش.
ـ باب المجاعة.
ـ باب خفض العيش والرفاهية.
ـ باب التنجيه.
ـ باب بمعنى أصل الشر.
ـ باب الغبار.
ـ باب العدو.
ـ باب الإسراع.
ـ باب التباطؤ.
ـ باب الشخوص.
ـ باب الزحف.
ـ باب الإعجال وضده.
ـ باب التفرض بالأمر.

ـ باب الإضرار إلى صنيع الشيء.
ـ باب الولوع.
ـ باب الحلم.
ـ باب الملالة.
ـ باب فعل الشيء أولا وآخراً.
ـ باب أجناس القوم.
ـ باب الهر.
ـ باب بمعنى فلان شر الناس.
ـ باب في التفضيل.
ـ باب التكوين والخلق.
ـ باب السخاء.
ـ باب البخل.
ـ باب المس والتصورات والجنون.
ـ باب القتل.
ـ باب الطلب.
ـ باب التمكين والتوطيد.
ـ باب ضعف الأمر وانحلاله.
ـ باب رجوع الأمر إلى أهله.
ـ باب الاعتصام .
ـ باب الاستغاثة.
ـ باب في الصحبة.
ـ باب الذب عن الشيء.
ـ باب الاستباحة وانتهاك الحمى.
ـ باب المأثم.
ـ باب أجناس التواضع وارتكاب المنكر.
ـ باب النزاهة.
ـ باب العار.
ـ باب المذمة والاحتكار وإباء الطبع.
ـ باب الشفقة.

ـ باب الخسارة.
ـ باب فى أسماء الحرب وأماكنها تستعمل فى الرصائف.
ـ باب اشتعال الحرب.
ـ باب المحاربة
ـ باب خمود نار الحرب.
ـ باب الزلازل والفتن.
ـ باب المصالحة.
ـ باب سل السيف.
ـ باب فى غمد السيف.
ـ باب الانحراف.
ـ باب الحب.
ـ باب الإكفاء
ـ باب ثقل الأمر.
ـ باب الهمة والنهوض بالعمل.
ـ باب الكف عن الأمر.
ـ باب الإسعاف.
ـ باب الخيبة.
ـ باب الانتهاز.
ـ باب المفاجأة.
ـ باب الاحتراز وشحذ الرأى.
ـ باب التكبر.
ـ باب خذل المتكبر.
ـ باب الاستخزاء.
ـ باب الاضطلاع.
ـ ما يختلف قوله مع اختلاف الرتب.
ـ باب الانتفاع والربح.
ـ باب التعميم.
ـ باب التمهيد.
ـ باب الإرشاد.

ـ باب المبالغة والإفراط.
ـ باب انتهاج المسلك.
ـ باب القهر.
ـ باب التعاون والتناصر وباب فى ضد ذلك.
ـ باب الجهل.
ـ باب أجناس العقل.
ـ باب الاطمئنان إلى الغير والثقة بهم.
ـ باب الأمر والنهى.
ـ باب انتشار الخبر.
ـ باب بلوغ الخبر وانتظاره.
ـ باب فى حسن السيط وطيب الذكر.
ـ باب فى حسن المنظر.
ـ باب فى قبح المنظر.
ـ باب الشوق.
ـ باب الحزن والامتعاض.
ـ باب أجناس السرور.
ـ باب بمعنى شاركه فى حزنه.
ـ باب فاجأته النوائب.
ـ باب دوام السعد.
ـ باب بمعنى أتى ما يوافق الظن به.
ـ باب انكشاف البلية.
ـ باب القطع.
ـ باب الامتلاء.
ـ باب بمعنى خلاصة الشيء.
ـ باب التشابه فى السن.
ـ باب بمعنى أطلق الأسير.
ـ باب التحصين والمناعة والمحاصرة.
ـ باب المماطلة.
ـ باب فى كرم الطباع.

- باب الانقياد وسهل الخلق.
- باب فى شراسة الخلق.
- باب العزم على الشيء.
- باب المقام والمنزل.
- باب لبس السلاح.
- باب المناقدة.
- باب المحاكمة.
- باب السمة.
- باب فى الدعاء بدوان النعم.
- باب الدعاء بالخير.
- باب الدعاء بالشر.
- باب الأمراض والعلل.
- باب الحميات وأجناسها.
- باب القيام من الأمراض.
- باب الغرور والانخداع والعصيان.
- باب الاستيطان.
- باب العهد والميثاق.
- باب القسم.
- باب فى نكث العهد.
- باب فى الاتفاق على الأمر الذى يكره.
- باب التموين.
- باب المكافأة.
- باب كفاف العيش.
- باب الطعن والتصريح.
- باب الفصاحة.
- باب البلاغة ومدح البليغ ووصف كلامه.
- باب الفيء.
- باب الإفراط فى الكلام.
- باب الاكتساب والنتيجة.

- باب عاقبة الأمر.
- باب السير إلى الحرب.
- باب بمعنى لا أفعل ذلك أبداً.
- باب المفازة والمسافة.
- باب بمعنى نحو.
- باب بمعنى جاء في أمر فلان.
- باب المغنى.
- باب السياق.
- باب الفصل بين الشيئين.
- باب بمعنى اعمل بحسب ما قيل لك.
- باب الرسم.
- باب الوارث والخلف.
- باب القسمة والتجزئة.
- باب أجناس المعاني والأغفال من الأرض.
- باب ما علا من الأرض.
- باب الصعود.
- باب أجناس الجبال.
- باب النصر.
- باب رفع الشأن.
- باب البلوغ إلى أوج الأمر وأقصاه.
- باب النباهة.
- باب الرتب والمعاني.
- باب الخمول وسقوط الشأن.
- باب سلامة النية.
- باب فساد النية.
- باب كتمان السر.
- باب إذاعة السر.
- باب اكتشاف السر.
- باب أخذ الأمر بأوائله.

ـ باب أخذ الشيء بأجمعه.
ـ باب الأزواج.
ـ باب السكران.
ـ باب بمعنى فلان مجرب في الأمر ومدرب.
ـ باب الغفلة والغباوة.
ـ باب الرضا بحكم الله.
ـ باب أجناس الروائح.
ـ باب الأخلاق.
ـ باب الاحتفاء والاكرام.
ـ باب التصنع.
ـ باب الأصناف.
ـ باب الراحة.
ـ باب التعب والعناء.
ـ باب الاستماع.
ـ باب تمام الأمر.
ـ باب الزيادة والنقصان.
ـ باب الرابطة.
ـ باب سداد الرأي.
ـ باب سقم الرأي.
ـ باب الاستبداد بالرأي.
ـ باب ادخار المال.
ـ باب بمعنى نقص الشيء.
ـ باب الممازحة.
ـ باب تفاقم الأمر.
ـ باب أجناس العابث.
ـ باب البشاشة.
ـ باب بمعنى لم يلبث أن فعل وكاد يفعل.
ـ باب الخلو من الشيء.
ـ باب منزل الوحوش.

- باب بمعنى برز الفريقان للقتال.
- باب كسرة العدو
- باب حميم القلب.
- باب مرادافات (أمام وتجاه).
- باب الرايات والأعلام.
- باب تفرق القوم.
- باب انتظام الشمل.
- باب بمعنى فلان عرضة للنوائب.
- باب المداومة.
- باب الاستعداد للأمر.
- باب الاستغناء عن الشيء.
- باب بمعنى يحسن فلان ويسيء.
- باب العفة والطهارة.
- باب الاعتذار والتنصل.
- باب بمعنى نال حظوة عند الأمير.
- باب الموافقة والرضا.
- باب الشك والتردد واليقين.
- باب التيمن.
- باب التشاؤم.
- باب الطليعة والجواسيس.
- باب الاستعباد والتذليل.
- باب الدهش.
- باب المخالفة.
- باب الانتظار.
- باب الاكتراث.
- باب ترادف الكفيل.
- باب ترادف الحين والوقت.
- باب الشيب.
- باب الموت.

ـ باب ترادف القبر.
ـ باب ترادف ضفائر الشعر.
ـ باب إفراغ الوسع (مر باب بهذا المعنى).
ـ باب الاستئصال.
ـ باب الغيظ والحر.
ـ باب البرد والزمهرير.
ـ باب ترادف كيف.
ـ باب إعادة الشر على فاعله.
ـ باب إسفار البرق.
ـ باب بمعنى لم أجد أحداً.
ـ باب النعم والمداومة عليها.
ـ باب الجحود ونكران الجميل.
ـ باب الشكر.
ـ باب العجز عن القيام بالأمر.
ـ باب اللزوم.
ـ باب ترادف ملقى.
ـ باب ترادف السلب.
ـ باب حسن الموقع.
ـ باب ترادف الشفة.
ـ باب الأحداق.
ـ باب الحجاب.
ـ باب إراقة الدم.
ـ باب البكاء.
ـ باب القرى والحلول فى المكان.
ـ باب بمعنى فلان لا يعارض.
ـ باب ترادف الناحية والأقطار.
ـ باب احتمال الضيم.
ـ باب إدراك الوطر.
ـ باب ترادف المهزول والضامر.

- باب ترادف النبض والحب.
- باب الرياح وهبوطها.
- باب الجماعة من الناس.
- باب الطليعة والجيش.
- باب في نعوت الكتائب.
- باب المفاوضة.
- باب الانخداع.
- باب أنواع الغش.
- باب الدخول فجأة.
- باب التخلص.
- باب المبالغة في البيع.
- باب ذكر الشيء.
- باب ترادف الشيء.
- باب انتقاص الأمر.
- باب نعوت مختلفة.
- باب ترادف الدائم.
- باب ترادف الحسن.
- باب ترادف الإشارة.
- باب الرسوب والطفو.
- باب تبليغ الشيء.
- باب الالتئام.
- باب ترادف الكشف.
- باب العدل والاستقامة.
- باب العشرة.
- باب بمعنى قلق الخاتم.
- باب الاطلاع على الشيء .
- باب الاتهام.
- باب في وصف بنية الرجل والمرأة.
- باب طلوع النهار.

ـ باب طلوع الشمس.
ـ باب غروب الشمس.
ـ باب ساعات النهار.
ـ باب الظلمة والليل.
ـ باب انتهاء الليل وورود الصباح.
ـ باب فعل الشيء صباحاً ومساءً.
ـ باب الكسر.
ـ باب السائح والجائل.
ـ باب البدل والعوض.
ـ باب ترادف الجَوعان (مع باب أجناس العطش وباب المجاعة) ..
ـ باب النفور واضطراب النفس.
ـ باب المداراة.
ـ باب الدسم وتأثيره.
ـ باب إطلاق العناية.
ـ باب الاتباع .
ـ باب الأضداد.
ـ باب التشبيهات.

«كتاب الكتاب»

لأبي محمد عبد الله جعفر بن محمد الشهير بابن درستويه

(ت ٣٤٦هـ)

نشره الأب لويس شيخو اليسوعي

مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت سنة ١٩٣٦ .

ويفتتح المؤلف بقوله :

ص٤ : هذا كتاب كنا ألفناه فى خلافة أمير المؤمنين المعتصم بالله (تقلد المعتصم الخلافة من ٢١٨ - ٢٢٧هـ) تأليفاً مختصراً تنقص أبوابه وتقصر فصوله عما أحدثه لنا الرأى من إيضاح خفيه وإيماء جليه والانتقال عن واهى القول إلى قويه وبثثناه بالعراق وغيره ثم تعقبناه بما وضعنا وغيرنا منه بعض ما ألفنا فمن جمعهما وتأمل الاختلاف منهما فليعلم سبب تصنيفهما والغرض فى تأليفهما ليقدر على الخلاف فيهما ويأمن انتحال مدعيهما. وهو كتاب الكتاب الجارى بين الخاصة والعامة فى كتب علومهم وآدابهم ومراسلاتهم الذى لا يستغنى متأدب عن معرفته ولايليق بذى مروءة جهلة وفيه اختلاف بين العلماء مفنهم المقتضى خط المصحف والمكتفى بما نشأ عليه إن مصيباً وإن مخطئاً وقد ألف كل امرىء منهم فى ذلك كتاباً على رأيه فاخترنا من مذاهبهم جيد ما وافق النظر وأوجبه قياس النحو وبينا فيه مواقع الزلل من غير أن ننص إلى عالم زلته أو ننعى عليه عثرته. وسميناه «كتاب الكتاب» إذ كان قصدنا فيه لما يكتب من نهج وقراءة دون غيره ولأن الهجاء يلحق الكلام غير المكتوب أيضاً وأن الخط قد يكون تصويراً ونقشاً ولم ننسبه إلى الكتابه لأنها صناعة الكاتب وهى تجمع.

ص٥ : أسباباً غير الكتابة ووجدنا كتاب الله جلّ ذكره لا يقاس هجاؤه ولا يخالف خطه ولكنه يتلقى بالقبول على ما أودع المصحف. ورأينا العروض إنما هو إحصاء ما لفظ به من ساكن ومتحرك ليس يلحقه غلط ولا فيه اختلاف بين أحد فلم نعرض لذكرهما فى كتابنا هذا. أعلم أن الكتاب ربما يكتبون الكلمة على لفظها وعلى معناها

ويحذفون منها ما هو منها ويثبتون فيها ما ليس منها ويبدلون الحرف ويصلون الكلمة بأخرى لا تتصل بها ويفصلون بها ويفصلون بين أمثالها ويختزلون عامة صور الحروف اكتفاء بالطائفة منها ولا ينقطون ولا يشكلون إلا ما التبس ويحاولون لكل ذلك ضرباً من القياس يذكر فى موضعه إن شاء الله.

ويشتمل على جميع وجوه ذلك سليمة وسقيمه إثنا عشر باباً ينقسم كل باب منها فصولا فنبينه فصلا مع ما ألحق بها وليس منها.

وقد شرحنا كل باب منه على انفراده، ونشرنا كل فصل على حياله وأصحبنا ذلك من البيان ما تيسر ومن الإيجاز ما أمكن وبدأنا بذكر ترجمة كل باب وفصل منه ليقف من نظر على أوله على الغرض من آخره ويعلم من أراد فيه شيئاً أين يجده وفى أيه يلتمسه فيقرب عليه المأخذ ويتسهل له المطلب والله الموفق للصواب.

وهذه ترجمة الأبواب على مراتبها بذكر فصولها فى منازلها

الباب الأول : وهو باب الهمز : خمسة عشر فصلا

منها :

١ ــ شروط الهمزة ومعرفة لفظها وكتابها.

٢ ــ الهمزة المبتدأ الواقعة أولا.

٣ ــ المبتدأة بعد همزة من كلمة أخرى.

٤ ــ المبتدأة المقطوعة الواقعة بعد همزة الاستفهام.

٥ ــ المبتدأ الموصولة الواقعة بعد همزة الاستفهام.

٦ ــ وقوع الهمزة وسطاً.

٧ ــ المتوسطة المفتوحة بعد متحرك.

٨ ــ المتوسطة المتحركة بغير الفتحة بعد حرف متحرك.

٩ ــ المتوسطة المتحركة بأى حركة كانت بعد حرف ساكن.

١٠ ــ المتوسطة الساكنة بعد حرف متحرك.

١١ ــ وقوع الهمزة طرفاً .

١٢ ــ المتطرفة المتحرك ما قبلها غير المتصلة ما بعدها.

١٣ ـ المتطرفة السكان ما قبلها المتصلة بما بعدها من علامة ضمير أو تثنية أو جمع أو تأنيث.

١٤ ـ المتطرفة السكان ما قبلها غير المتصلة بما بعدها.

١٥ ـ المتطرفة الساكن ما قبلها المتصلة بما بعدها من علامة ضمير أو تثنية أو جمع أو تأنيث.

ص ٦ : الباب الثانى وهو باب المد : ستة فصول

منها :

١ ـ شروط الممدود وتمييزه من المقصور.

٢ ـ المتطرفة مدته غير المتصلة بما بعدها.

٣ ـ المتصلة مدته بعلامات الضمير

٤ ـ المتصلة مدته بعلامة التثنية.

٥ ـ المتصلة مدته بعلامة الجمع.

٦ ـ المتصلة مدته بعلامة التأنيث.

ص ٦ : الباب الثالث وهو باب القصر : سبعة فصول

منها :

١ ـ شروط المقصور وأصنافه وتمييز ذلك.

٢ ـ ذوات الألف المنقلبة من الواو.

٣ ـ ذوات الألف الجارية مجرى المنقلبة من الواو، وليست منها.

٤ ـ ذوات الألف المنقلبة من الياء.

٥ ـ ذوات الألف الجارية مجرى المنقلبة من الياء وليست منها.

٦ ـ المشتركة من ذوات الواو والياء وما ليس منها.

٧ ـ المخالف إخواته من الياء من ذلك قياساً أو شذوذاً.

ص ٦ : الباب الرابع وهو الفصل والوصل : أحد عشر فصلا

منها :

١ ـ شروط الفصل والوصل والأصل الذى ينبنيان عليه.

٢ ـ ما يوصل من الكلم الذى على حرف واحد بما بعده لأنه لا ينفرد.

٣ ـ ما يوصل منها بما خاصة وما يفصل منها.
٤ ـ ما يوصل من الحروف بما وما يفصل منها.
٥ ـ ما يوصل من المبهمة بما وما يفصل منها
٦ ـ ما يوصل من المتمكنة بما وما يفصل منها.
٧ ـ ما يوصل من الأفعال بما وما يفصل منها
٨ ـ ما يوصل بمن خاصة وما يفصل منها.
٩ ـ ما يوصل بلا خاصة وما يفصل منها.
١٠ ـ ما يوصل بحرف التنبيه وهو (ها) وما يفصل منه.
١١ ـ ما شذَّ من الموصول عن نظائره

ص ٦ : الباب الخامس وهو باب الحذف : عشرة فصول

منها :
١ ـ شروط الحذف وأصوله وعلله.
٢ ـ حذف المدغم من الخط اتباعاً للفظ.
٣ ـ حذف غير المدغم لاجتماع الاشتباه أو الشبهين فى كلمة.
٤ ـ حذف غير المدغم لاجتماع الشبهين خاصة فى كلمة.
٥ ـ حذف غير المدغم لاجتماع ثلاثة أشباه فى كلمة.
٦ ـ حذف ما شبه باجتماع الأشباه وبحروف اللين فى كلمة.
٧ ـ حذف ما شبه بالأشباه من كلمتين.
٨ ـ الحذف على الشذوذ تشبيهاً باجتماع الأشباه فى كلمة.
٩ ـ الحذف للتخفيف قياساً لاجتماع المثلين فى كلمة.
١٠ ـ الحذف للتخفيف على الشذوذ لغير اجتماع الأشباه ولا للتشبيه باجتماع الأشباه.

ص ٧ : الباب السادس وهو باب الزيادة : أربعة فصول

منها :
١ ـ شروط الزيادة وعللها.
٢ ـ زيادة الألف.

٣ ــ زيادة الهاء.

٤ ــ زيادة الواو.

ص ٧ : الباب السابع وهو باب البدل : خمسة فصول

منها :

١ ــ شروط البدل وعلله.

٢ ــ بدل الهاء.

٣ ــ بدل الألف.

٤ ــ بدل الواو.

٥ ــ بدل الياء.

ص ٧ : الباب الثامن وهو باب النقط : ستة فصول

منها :

١ ــ شروط النقط وعلله.

٢ ــ ضروب النقط.

٣ ــ ما لا ينقط موصولا ولا مفصولا.

٤ ــ ما يلزمه النقط متصلا ومنفصلا.

٥ ــ ما يستغنى عن نقطه مؤلفاً وغير مؤلف وإن نقط أحياناً.

٦ ــ ما يستغنى عن نقطه فى حال انفراده ويلزمه النقط عند اتصاله.

ص ٧ : الباب التاسع وهو باب الشكل : ثلاثة فصول

منها :

١ ــ شروط الشكل وعلله.

٢ ــ ما هو صور للحركات والسكون.

٣ ــ ما هو زيادة يؤتى بها للعزق.

ص ٧ : الباب العاشر وهو باب القوافى والفواصل : خمسة فصول

منها :

١ ــ شروط كتاب القوافى والفواصل.

٢ ــ المقيد وهو الموقوف.
٣ ــ المطلق المنصوب.
٤ ــ المطلق غير المنصوب.
٥ ــ ما يرد من القوافي والفواصل إلى القياس أو إلى غيره.

ص ٧ : الباب الحادى عشر وهو باب رسوم خطوط الكتب : خمسة عشر فصلا منها :

١ ــ جملة عدد الحروف وهيآتها واختلاف فى صورها وألفاظها ومعرفة رسومها.
٢ ــ جدول رسوم صور الحروف متصلة ومنفصلة.
٣ ــ شرح رسوم هذا الجدول مفصلا.
٤ ــ معرفة تقليب القلم فى مجاله.
٥ ــ جدول الخط الذى يسمى الخفيف.
٦ ــ جدول الخط الذى يدعى الإمساك.
٧ ــ شرح ما أجمل فى هذين الجدولين من المطات وغيرها.
٨ ــ ما يحسن من ذلك ويقبح من رد الياء أو تعريفها وما يقبح.
٩ ــ ما يجوز فيه التغوير أو الإدغام وما يقبح ذلك فيه.
١٠ ــ ما يحسن من الكسر والتعليق والإلصاق أو ما يقبح.
١١ ــ ما يحسن من إمالة الأشباه وتسويتها وما يقبح.
١٢ ــ شكل الكاف وتعريفها وما يحسن من ذلك ويقبح.
١٣ ــ معرفة مقادير التعريف.
١٤ ــ وجوب الفرق وتركه عند اجتماع الأمثال.
١٥ ــ حسن التقدير وتسوية السطور واختلاف الخطوط.

ص ٧ : الباب الثانى عشر وهو ما ألحق بالهجاء وليس منه : ستة وعشرون فصلا منها :

١ ــ الغرض فيما ضمن فصول هذا الباب.
٢ ــ ما يفتتح به الكتب.
٣ ــ ما يصدر به الكتب.
٤ ــ ما يردف به الكتب.

٥ ـ معنى التاريخ ومبتدأه وكيف استعماله.
٦ ـ معرفة التاريخ بغرة الشهر.
٧ ـ معرفة التاريخ بما يلى الغرة.
٨ ـ معرفة التاريخ بالنصف وما بعده.
٩ ـ معرفة التاريخ بتسلم الشهر.
١٠ ـ إضافة عدد الأيام والليالى إلى التاريخ.
١١ ـ تذكير العدد وتأنيثه فى التاريخ وغيره.
١٢ ـ
١٣ ـ تعريف العدد فى التاريخ وغيره.
١٤ ـ معرفة الإفراد والجمع فى فعل التاريخ.
١٥ ـ التاريخ بمجهول الأيام والليالى.
١٦ ـ أبعاض مجهول العدد فى التاريخ وغيره.
١٧ ـ تفسير أسماء الأيام وإضافة اليوم والليلة إليها.
١٨ ـ التثنية والجمع فى أسماء الأيام.
١٩ ـ تفسير أسماء الشهور.
٢٠ ـ التثنية والجمع فى أثناء الشهور.
٢١ ـ ما ألحق بهذا الكتاب أيضاً من المذكر والمؤنث.
٢٢ ـ ذكر القلم وبريه وسنه وقطه.
٢٣ ـ ذكر الدواة والمداد والألقة.
٢٤ ـ إتراب الكتاب وطيه وتسحيته وختمه.
٢٥ ـ ذكر عنوان الكتاب وتفسيره.
٢٦ ـ ذكر التوقيع ومعناه وإعرابه. زيادة

وذلك إثنا عشر باباً ومائة وثلاثة عشر فصلا.

ص ٩٨ : زيـــــادة

وما يكثر استعمال الأدباء والكتاب له فى ألفاظهم وكتبهم أوسع من أن يؤتى عليه فى مثل هذا الكتاب وسنفرد لذلك كتاباً نستقصيه فيه ونميز فصيحه من عييه ومختاره من رديه ونأتى منه على أكثر ما يمكن مما يحتاج إليه فيه إن شاء الله.

«الوساطة بين المتنبى وخصومه»

للقاضى علي بن عبد العزيز الجرجانى

تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم، على محمد البجاوى

طبع عيسى البابى الحلبى سنة ١٩٥١

ولد المؤلف بجرجان سنة ٢٩٠هـ ـ زار العراق والشام والحجاز (ت ٣٦٦هـ) وله ترجمة فى طبقة الفقهاء للشيرازى ومعجم الأدباء ووفيات الأعيان ويتيمة الدهر للثعالبى ـ ويستوقفنا من مؤلفاته كتاب «تهذيب التاريخ» نقل عنه ابن خلدون في تاريخه الكبير وذكره الثعالبى فقال : «إنه تاريخ فى بلاغة الألفاظ وصحة الروايات وحسن التصرف في الانتقادات وأورد فصلين منه في يتيمة الدهر وكتاب الوساطة فى المقام الأول كتاب نقدى يختص بشعر المتنبى كما يتناول لمحات نقدية للشعراء السابقين عليه ومن مقايسة النقدية فيه. والصور البلاغية.

«الوساطة بين المتنبى وخصومه»

للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى

تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى

الطبعة الأولى ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م

ونتناول هنا بعض النصوص التى تضىء ذوقه ونقده :

ص ٣٣ ... كانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء فى الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب، وشبه فقارب، وبده فأغزر.

ص٣٤ : ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ولا تحفل بالإبداع (أى البديع) والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض.

وقد كان يقع ذلك (أى استعمال البديع والاستعارة) فى خلال قصائدها، ويتفق لها فى البيت بعد البيت على غير تعمد وقصد، فلما أفضى الشعر إلى المحدثين ورأو مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن وتميزها عن أخواتها فى الرشاقة واللطف تكلفوا الاحتذاء عليها فسموه البديع، فمن محسن ومسىء، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومفرط.

فإذا جاءتك الاستعارة كقول زهير : «وعـــرى أفراس الصبا ورواحله»
وقول لبيد : «إذ أصبحت بيد الشمال زمامها»
وقول ابن الطثرية :
ص٣٥ : أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ∴ وســـالت بأعناق المطى الأباطح
وقول الحارث بن حلزه :
حتـــى إذا التفع الظباء بأطـ راف الظلال وقلنا فى الكنس.
وقول أبى نواس :
أعطتك ريحانها العقار
وقوله : وبصحن خد لم يغض مـــــاؤه ولم تخضه أعين النـاس
وقوله : جريت مع الصبى تلق الجمـــوح وهان علىّ مأثور القبيح
وقوله : مباحـة ساحــة القلـــوب له يرتـع فيها أطايب الثمر
وقوله : وإذا بـــدا اقتادت محاســـنه قســرا إليه أعنة الحدق
وقوله يصف الكأس :
بنينا على كسرى سماء مدامه مكللـه حاناتها بنجـوم
وقول مسلم : «ولما تلاقينا قضى الليل نحبه»
ص٣٦: وقوله : ظلمتك إن لم أجزل الشكر إنما جعلت إلى شكرى نوالك سلما
فانظركم بين استعارته السلم واستعارة أبى تمام له فى قوله :
ما ضر أروع يرتقى فى همه روعـــاه إن لا يرتقى فى سلم
وأول من علمناه افتتح هذه اللفظة الحصين بن الحمام المرى فى قوله :
فلســت بمبتاع الحياة بذلك ولا مرتق من خشية الموت سلما
وهذا قريب من الحقيقة وإن كان فيه شعبة من ضرب المثل
وقول أبى تمام :
أدنت نقاباً على الخدين وانتقبت للناظرين بقد ليس ينتقب
وقوله : وقد علم الأفشين وهو الذى به يصان رداء الملك عن كل جاذب
وقوله : رقت حواشى الدهر فهى تمرمر وغـــدا الثرى فى حليه يتكســر

على أن لفظة يتكسر حضرية مولدة ..

ص ٣٧ : وقوله :

وكم سرق الدجى من حسن صبر   وغطى من جلاد فتى جليد

وقوله : ويضحك الدهر منهم عن غطارفه كأن أيامهم من حسنها جمع

وقول البحترى :

يذكرنا ريا الأحبة كلما   تنفس فى جنح من الليل بارد

وقوله يصف الخيال :

إذا نزعته من يدى انتباهة   عددت حبيباً راح منى أو غدا

وقوله :

وإذا دجت أقلامه ثم انتحت   برقت مصابيح الدجى فى كتبه

وقوله : وكنت إذا استبطأت ودك زرته   بتفويف شعر كالرداء المحبر

وقل ابن المعتز :

أقول ودمع العين تسرقه يدى حذار لدمع الشامت المتودد

وقوله :

ساروا وقد خضعت شمس الأصيل لهم   حتى توقد فى ذيل الدجى الشفق

ص ٣٨ : وقوله :

لو ترانا إذا انتبهنا قعودا نستشف القرى عن الأحلام

وقوله :

مازال يلطم خد الأرض وابلها   حتى وقت خدها العذران والخضر

وشتان ما بين هذا اللطم ولطم أبى تمام فى قوله :

ملطومة بالورد أطلق دونها   فى الخلق فهو مع المنون محكم

وإنما نازع أبو نواس قوله :

تبكي فتذرى الدر من نرجس   ويلطم الورد بعناب

فسبق أبو نواس بفضل التقدم والإحسان، وحصل هو على نقص السرق والتقصير، لكنه أحسن في بقية البيت مجبر بعض ذلك النقص.

وقول كشاجم يصف السحاب :

مقبلة والخصـــب فى إقبالها والرعد يحدد الورق من جمالها
بخطبة أبدع فى ارتجـــالها كأنها من ثقـــــل انتقالها
تجلها الريح عن اســتعجالها إلا بما تجـــذب من أذيالها
ص٣٩ فحين ضاق الجو عن مجالها وراحت الرياح من كـــلالها
جنوبها تشكو إلى شمـــالها دنت من الأرض على أذلالـــها
كأنما تســـألها عن حالها والزهر قد أصغى إلى مقـــالها
وكاد أن ينهـض لاستقبالها تسمحت بالرى من زلالـــها
حتى لقاء الترب من تهطالها إن سحلا أتى على ســـجالها

ثم انثنى يثنى على فعالها

وقول الرى الموصلى :

أقول لحنان العشى المغــــرد يهز صفيح البارق المتوقــــــد
تبسم عن رى البلاد حبيـــبه ولم يتبسم إلا لإنجاز موعــــد
ويا ديرها الشرقى لازال رائـح يحل عقود المزن فيك ومفتدى
عليلة أنفاس الرياح كأنمـــا يعل بماء الورد نرجسـها الندى
يشق جيوب الورد فى جنباته نســيم متى ينظر إلى الماء يسرد

فقد جاءك الحسن والإحسان، وقد أصبت ما أردت عن إحكام الصنعة وعذوبة اللفظ.

ص ٤٠ : فإذا سمعت بقول أبى تمام :

باشـــرت أسباب الغنى بمدائح ضربت بأبواب الملوك طـــبولا

وبقوله : لهــــذا بين أبواب الملوك مزامر من الذكر لم تنفخ ولا هى تزمر

وبقوله : إذا ما الدهر جرجرت أيادى يديك فغشت الدنيا ضـلالا

وبقوله : يا دهـر قوم من أخدعيك فقد أضججت هذا الأنام من خرسك

وبقوله : إلى ملك فى أيكه المجد لم يزل على كبد المعروف من نيله برد

وبقوله : كأننى حين جردت الرجاء له عذبًا صببت به ماء على الزمن

وقول أبى نواس :

يا عمر أضحت مبيضة كبدى فأصبغ بياضًا بعصفر العنب

ص ٤١ : فاسدد مسامعك واستغش ثيابك، وإياك والإصغاء إليه، واحذر الالتفات نحو، فإنه مما يصدى القلب ويعميه، وتطمس البصيرة، ويكد القريحة.

وربما جاء من هذا الباب ما يظنه الناس استعارة وهو تشبيه أو مثل، فقد رأيت بعض أهل الأدب ذكر أنواعًا من الاستعارة عد فيها قول أبى نواس :

والحب ظهر أنت راكبة فإذا صرفت عنانه انصرفا

ولست أرى هذا وما أشبهه استعارة، وإنما معنى البيت أن الحب مثل ظهره أو الحب كظهر تديره كيف شئت إذا ملكت عنانه، فهو ما ضرب مثل أو تشبيه شىء بشىء: وإنما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت فى مكان غيرها. وملاكها تقريب الشبه، ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبين فى أحدهما إعراض عن الأخر.

فأما التجنيس فقد يكون منه المطلق، وهو أشهر أوصافه، كقول النابغة :

وأقطع الخرق بالخرقاء قد جعلت بعد الكلال تشكى الأين والسأما

(الإعيـاء)

وقول الشنفرى :

فبتنا كأن البيتَ حجر فوقنا برحيانة ريحت عشاء وطلت

(أصابتها ريح)

ص ٤٢ : وقول رؤبه : «أحضرت أهل حضرموت موتًا»

فجانس فى موضعين فى بيت رجز.

وقول أبي تمام :

تطل الطلول الدمع في كل موقف   وتمثل بالصبر الديار المواثل

فجانس في المصراعين

وقول البحترى

صدق الغراب لقد رأيت حمولهم   بالأمس تغرب عن جوانب غرب

فجانس بثلاثة ألفاظ

وقد يكون منه التجنيس المستوفى، كقول أبي تمام :

ما مات من كرم الزمان فإنه   يحيا لدى يحيى بن عبد الله

فجانس بيحيا ويحيى، وحروف كل واحد منهما مستوفاه في الآخر، وإنما عدّ في هذا الباب لاختلاف المعنيين، لأن أحدهما فعل والآخر اسم، ولو اتفق المعنيان لم يعد تجنيساً وإنما كان لفظة مكررة، كقول امرىء القيس:

فلما دنوت تسديتها   فثوباً نسيت وثوباً أجر

(تناولتها وقصدت إليها)

ص ٤٣ : فقد تكرر في البيت ذكر الثوب، كما تكرر يحيى في بيت أبي تمام، إلا أن هذين اتفق معناهما، واختلف ذانك المعنيان، فعدّ الأول من البديع

ومما أضيفه إلى هذا الباب وخالفني فيه بعض أهل الأدب قول الأعشى:

إن تسد الحوص فلم تعدهم   وعامر ساد بني عامر

(قدم الأخوص بن جعفر بن كلاب)

فأقول : إنه قد جانس بعامر وعامر، ولأن الأول اسم رجل، والآخر اسم قبيلة، وأراه يخالف قول الآخر.

قتلنا به خير الضبيعات كلها   ضبيعة قيس لا ضبيعة أضجما

لأن كلتيهما قبيلتان، فكأنما جمع بين رجلين متفقي الاسم.

ومنه التجنيس الناقص، كقول الأخنس بن شهاب :

وحامي لواء قد قتلنا وحامل   لواء منعنا والسيوف شوارع

فجانس بحامي وحامل، والحروف الأصلية في كل واحد منهما تنقص

عن الآخر.

ومثله قول أبي تمام :

يمدون من أيد عواص عواصم   تصول بأسياف قواض قواضب

فأما قوله :

خلفت بالأفق الغربي لي سكنا   قد كان عيشي به حلواً بحلوان

(= أي المطلق مصطفى)

فهو من الأول وليس بناقص، لأن الألف والنون في حلوان زائدتان

ص ٤٤ : ومنه التجيس المضاف، كقول البحترى

أيا قمر التمام أعنت ظلماً   على تطاول الليل التمام

ومعنى التمام واحد في الأمرين، ولو انفرد لم يعد تجنيساً ولكن أحدهما صار موصولا بالقمر، والآخر بالليل، فكانا كالمختلفين . وقد يكون من هذا التجنيس ما تجانس به المفرد بالمضاف، وقد تكون الإضافة اسماً ظاهراً ومكنياً، وقد تكون نسباً، ومن أملح ما سمعت فيه قول أبي الفتح بن العميد.

فإن كان مسخوطاً فقل شعر كاتب   وإن كان مرضياً فقل شعر كاتب

وأما المطابقة فلها شعب خفية، وفيها مكامن تغمض، وربما التبست بها أشياء لا تتميز إلا للنظر الثاقب، والذهن اللطيف، ولاستقصائها موضع هو أملك به.

ومن أشهر أقسام المطابقة ما جرى مجرى قول دعبل :

لا تعجبي يا سلم من رجل   ضحك المشيب برأسه فبكى

وقول مسلم بن الوليد :

مستعبر يبكي على دمنة   ورأسه يضحك فيه المشيب

وقول أبي تمام :

وتنظري خبب الركاب ينصها   محيي القريض إلى مميت المال

وقوله :

«أرضى الثرى وأسخط الغبارا»

وقوله :

هذا الذى عرفت يداه ساحتى   من بعد ما جهل البخيل مكانى

فكل هذا باب واحد، وقد يجيء منه جنس آخر تكون المطابقة فيه بالنفى، كقول البحترى :

يقيض لى من حيث لا أعرف الهوى   ويسرى إلىَّ الشوق من حيث لا أعلم

لما كان قوله: لا أعلم كقوله : أجهل، وكان قوله : أجهل مطابقة كان الآخر بمثابته، ومن أعزب ألفاظه وألطف ما وجد منه قول أبى تمام :

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس   قنا الحظ إلا أن تلك ذوابل

فطابق بهاتا وتلك، وأحدهما للحاضر والآخر للغائب، فكانا نقيضين فى المعنى، وبمنزلة الضدين.

وقد يخلط من يقصر علمه ويسوء تمييزه بالمطابق ما ليس منه كقول كعب بن سعد :

لقد كان : أما حلمه فمروح   علينا وأما جهله فعزيب

ص ٤٦ : لما رأى الحلم والجهل ومروحاً وعزيباً جعلهما فى هذه الجملة، ولو ألحقنا ذلك بها لوجب أن نلحق أكثر أصناف التقسيم، ولاتسع الحزق فيه حتى يستغرق أكثر الشعر، ولنا فى استيفاء هذا الكلام وتحديد هذه الأضرب قول سنفرد له كتابا يحتمل استقصاءه فيه.

ص ٤٦ : ومن أصناف البديع، التصحيف، كقول الشاعر:

ولم يكن المعتز بالله إذ سرى   ليعجز والمعتز بالله طالبه

وقوله : فكأن الشليل والنثرة والحصداء منه على سليل غريف

ـ (الشليل : غلالة تلبس تحت الدرع) ـ (النثرة : الدرع الواسعة)

ـ (الحصداء : المحكمة) ـ (غريف : الأسد)

وقوله : ما بعينى هذا الغزال الغرير   من فتون مستجلب من فتور

وقول إسماعيل بن عباد :

غمائم هن فوق رؤوسنا   عمائم لم يزلن بالحزق

وهذا يدخل فى بعض الأقسام التى ذكرناه فى التجنيس، لكن ما أمكن

فيه التصحيف، فله باب على حياله، وجانب يتميز عن غيره.

ومنه التقسيم، وقد يكون موصولا، كقول زهير:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطعنوا   ضارب حتى إذا ما ضاربوا أعتنقا

ص ٤٧ : فقسم البيت على أحوال الحرب ومراتب اللقاء، ثم ألحق بكل قسم ما يليه في المعنى الذى قصده من تفضيل الممدوح، فصار موصلا به، مقرونا إليه، ونحوه قول عنترة :

إن يلحقوا أكرر وإن يستلحموا   أشدد وإن نزلوا بضيق أنزل

فهذا كالأول في الصنعة، وإن كان إنما أزوج كل قسم بقرينه، وما هو وفقه، ولم يرض الأول إلا بأن قسم ثم تقدم عن كل قسم قدما، وارتفع على درجة. وقد تكون القسمة مطلقة غير مشفوعة، كقول النابغة :

فلله عينا من رأى أهل قبة   أضر لمن عادى وأكثر نافعاً

وأعظم أحلاماً وأكرم سيداً   وأفضل مشفوعاً إليه وشافعاً

فهذا ضرب من التقطيع على معان مختلفة ولست أسمح بتسميته تقسيماً، وقد رأيت من يطلق له هذه السمة.

ومما يقارب هذا جمع الأوصاف، كقول أبي داوود :

بعيد مدى الظرف خاظي البضـــيع   ممر المطـــا ســـمهرى العصب

(خاظي = ممتلىء اللحم)   (ممر : مفتول) (حبل المتن) (شديد) (المفاصل)

قد يجمع على نوع آخر كقول النابغة :

حديد الطرف والمنكـ   ـب والعرقوب والقلب

ص ٤٨ : وقد يعد فيه التقفية والترصيع، كقول امرىء القيس :

والماء منهمر والشد منحدر   والقصب مضطمر والمتن ملحوب

وقد يمتنع بعض الأدباء من تسمية بعض ما ذكرناه بديعاً، لكنه أجد أبواب الصنعة، ومعدود في حلي الشعر، وله أشباه تجرى مجراه، ونذكر معه كالالتفات والتوصل وغيرها. ولو أقبلنا على استيعابها، وتمييز ضروبها وأصنافها لاحتجنا إلى اتباع كل ما يقتضيه من شاهد وبيان ومثال . ولو فعلنا ذلك لبخسنا أبا الطيب حقه، وافتتحنا الكتاب بذكره ثم شغلنا معظمه بغيره، وإنما قدمنا هذا النبذ توطئة لما نذكره على أثره وتدريجاً إلى ما بعده، ليكون

كالشاهد المقبول قوله، وبمنزلة المسلم أمره.

والشاعر الحاذق يجتهد فى تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة، فإنها المواقف التى تستعطف أسماع الحضور، وتستميلهم إلى الإصغاء، ولم تكن الأوائل تخصها بفضل مراعاة، وقد احتذى البحترى على مثالهم إلا فى الاستهلاك، فإنه عنى به فاتفقت له فيه محاسن، فأما أبو تمام والمتنبى فقد ذهبا فى التخلص كل مذهب، واهتما به كل اهتمام، واتفق للمتنبى فيه خاصة ما بلغ المراد، وأحسن وزاد.

«بيان إعجاز القرآن»

(أبو سليمان محمد بن محمد بن إبراهيم الخطابى) (٣١٩هـ ـ ٣٨٨هـ)

ولد فى رجب عام ٣١٩هـ وأقام ببست وتوفى فيها وإليها نسب ـ رحل إلى العراق وتلقى العلوم بالبصرة وبغداد وذهب إلى الحجاز وأقام بمكة ردحاً من الزمان وعاد إلى خراسان واستقر به المقام فى نيسابور عامين أو أكثر وصنف بها بعض كتبه ثم خرج إلى ما وراء النهر وانتهت به الرحلة إلى مدينة بست فأقام بقيمة حياته وفيها توفى.

والخطابى فى رسالته «بيان إعجاز القرآن» أوجز النظرية البلاغية التى فصل فيها الجرجانى فى كتابيه الأسرار والدلائل فرأى الخطابى أن عناصر الإعجاز تتمثل فى لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم.

الصناعتين

لأبى هلال العسكرى [1] (ت ٣٩٥هـ).

معجم البلدان لياقوت الحموى : ١٢٣/٤.

(١) عسكر مكرم بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء وهو مفصل من الكرامة وهو بلد مشهور من نواحى خوزستان منسوب إلى مكرم بن معزاء الحارث أحد بنى جعون بن الحارث بن نمير بن عاصد صعصعة وقيل هو قرب مدينة رستم كواد من مدن خوزستان ضربها العرب فى صدر الاسلام وكانت عسكر مكرم بن معزاء الحارث صاحب الحجاج بن يوسف وقيل بل مكرم مولى كان للحجاج أرسله الحجاج بن يوسف لمحاربة خرذات بن باس حين عصى ولحق بايزح وتحصن فى قلعة تعرف به فلما طال عليه الحصار نزل مستخفياً ليلحق بعد ذلك بعبد الملك بن مروان فظفر به مكرم ومعه درتان فى قلنصوته فأخذه وبعث به إلى الحجاج، وكانت هناك قرية قديمة فبناها مكرم ولم يزل يبنى ويزيد حتى جعلها مدينة وسماها عسكر مكرم ونسب إليها العسكريان أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن اسماعيل بن زيد بن حكيم اللغوى العلامة، والحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران أبو هلال العسكرى.

يرى أبو هلال علم البلاغة يهدى إلى الإعجاز القرآنى وأنه لا ينبغى الإقرار بالإعجاز من غير دليل علمى ولهذا نصب نفسه لتنظيم ما فى كتاب البيان والتبيين للجاحظ من مسائل بلاغية تكون وسيلة لإدراك الإعجاز على علم وبصيرة

شرح ديوان الحماســـة

للإمام أبى على بن محمد بن الحسن المرزوقى الأصفهانى

المتوفى سنة ٤٢١هـ (مخطوط ـ ٣٠٦ أدب دار الكتب المصرية)

يعد هذا الشرح ذا قيمة أدبية عامة ونقدية بلاغية خاصة وآثرنا أن نورد أهم ما ورد فى بمقدمته إذ يقول :

اعلم أن مذاهب نقاد الكلام فى شرائط الاختيار مختلفة وطرائق ذوى المعارف بأعطافها وأردافها مفترقة وذلك لتفاوت اقدار منداحها على اتساعها وتنازع أخطار مظانها ومعالمها ولأن تصاريف المبانى التى هى كالأوعية وتضاعيف المعانى التى هى كالأمتعة فى المنثور، اتسع مجال الطبع فيها ومسرحه وتشعب مراد الفكر لها ومطرحه. فمن البلغاء من يقول فضر الألفاظ وغررها كجواز العقود ودررها فإذا وسم أغفالها بتحسين نظمها، وحلى أعطالها بتركيب شذورها فراق مسموعها ومضبوطها وزاد مفهومها ومحفوظها، وجاء ما حرر منها مصفى من كدر العىّ والخطل مقوّماً من أود اللحن والخطأ سالما من جنف التأليف موزوناً بميزان الصواب يموج فى حواشيه رونق الصفاء لفظاً وتركيباً قبله الفهم والتذ السمع، وإذا ورد على ضد هذه الصفة صدىء الفهم منه وتأذى السمع به تأذى الحواس بما يخالفها.

وفيهم من لم يرض بالوقوف على هذا الحد فتجاوزه والتزم من الزيادة عليه تنميم المقطع، وتلطيف المطلع، وعطف الأواخر على الأوائل ودلالة الموارد على المصادر وتناسب الفصول والوصول وتعادل الأقسام والأوزان والكشف عن قناع المعنى بلفظ هو فى الاختيار أولى حتى يطابق المعنى اللفظ ويسابق فيه الفهم السمع قال ولا غاية وراء هذا. ومنهم من ترقّى إلى ما هو أشق وأصعب فلم تقنعه هذه التكاليف فى البلاغة حتى طلب البديع من الترصيع والتسجيع والتطبيق والتجنيس وعكس البناء فى النظم وتوشيح العبارة بألفاظ مستعارة إلى وجوه أخر تنطق بها الكتب المؤلفة فى البديع. فإنى لم

أذكر هذا القدر إلا دلائل على أمثالها. وأكثر هذه الأبواب لأصحاب الألفاظ إذ كانت للمعاني بمنزلة المعارض للجوارى فأرادو أن يلتذ السمع بما يدرك منه ولا يمجه ويتلقاه بالإصغاء إليه والإذن فلا يحجبه.

وقد قال الحسن بن طباطبا فى الشعر : هو ما أن عرى من معنى بديع لم يعر من حسن الديباجة وما خالف هذا فليس بشعر.

ومن البلغاء من قصد فيما جاش به خاطره إلى أن يكون استفادة المتأمل له والباحث عن مكنونه من آثار عقله أكثر من استفادته من آثار قوله وفعله وهم أصحاب المعانى فطلبوا المعانى المعجبة من خواص أماكنها وانتزعوها جزلة عذبة حكيمة طريفة أو رائعة بارعة فاضلة كاملة أو لطيفة شريفة زاهرة فاخرة وجعلوا رسومها أن تكون قريبة التشبيه، لائقة الاستعارة، صادقة الأوصاف، لائحة الأوضاح خلابة فى الاستعطاف عطافة لدى الاستنفار مستوفية لحظوظها عند الاستفهام من أبواب التصريح والتعريض والإطناب والتقصير والجد والهزل والخشونة والليان والإباء والإسماح، من غير تفاوت يظهر من خلال أطباقها ولا قصور ينبع من أثناء أعماقها مبتسمة من مثانى الألفاظ عن الاشتقاق، محتجبة فى غموض الصيان لدى الامتهان، تعطيك مرادك إن رفقت بهاوتمنعك جانبها إن عنفت معها. فهذه مناسبة المعانى لكلامها وتلك مناصب الألفاظ لأربابها، ومتى اعترف (اقترن) اللفظ والمعنى بما تصوب به العقول فتعانقا وتلابساً متظرهرين فى الاشتراك وتوافقا، فهناك يلتقى ثريا البلاغة فيمطر روضها وينشر وشيها ويتجلى البيان فصيح اللسان، نجيح، البرهان، وترى رائدى الفهم والطبع متباشرين لهما من المسموع والمعقول بالمسرح الخصب والمكرع العذب، فإذا كان النثر بما له من تقاسيم اللفظ والمعنى والنظم واتسع نطاق الاختيار فيه على ما بيناه بحسب اتساع جوانبها وموادها وتكاثر أسبابها ومواتها. وكان الشعر قد ساواه فى جميع ذلك وشاركه ثم تفرد عنه وتميز بأن كان حده لفظ موزون مقفى يدل على معنى. فازدادات صفاته التى أحاط الحد بها بما انضم من الوزن والتقفية إليها،

ازدادات الكلفة فى شرائط الاختيار فيه لأن للوزن والتقفية أحكام تماثل ما كانت للمعنى واللفظ والتأليف أو تقارب، وهم يقتضيان من مراعاة الشعر المنتقد مثل ما تقتضيه تلك من مراعاة الكاتب والمتصفح لئلا يختل أصل من أصولها أو يعتل نوع من فروعها وإذا كان الأمر على هذا فالواجب أن يستبين ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب ليتميز تليد الصنعة من الطريف، وقديم نظام القريض من الحديث، ولتعرف مواطىء أقدام المختارين فيما اختاروه، فمراسم أقدام المزيفين على ما زيفوه، ويعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوع، وفضيلة الآتى السمح على الأبى الصعب فنقول وبالله التوفيق :

إنهم كانوا يحاولون شرق المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته والإصابة فى الوصف ـ ومن اجتماع هذه الأسباب كثرة سوائر الأمثال وشوارد الأبيات ـ والمقاربة فى التشبيه والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ومشاركة اللفظ للمعنى، وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما ـ فهذه سبعة أبواب هى عمود الشعر ولكل باب منها معيار فمعيار المعنى أن يعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب فإذا انعطف عليه جنبتا القبول والاصطفاء مستأنساً بقرائنه خرج وافياً وإلا انتقص بمقدار شوبه ووحشته. وعيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال فما سلم مما يهجنه عند العرض عليها فهو المختار المستقيم وهذا فى مفرداته وجمله مراعى لأن اللفظة تستكرم بانفرادها فإذا ضامها ما لا يوافقها عادت لجملة هجيناً.

وعيار الإصابة فى الوصف الذكاء وحسن التمييز فما وجداه صادقاً فى العلوق ممازجان اللصوق يتعثر الخروج عنه والتبرؤ منه فذاك سيماء الإصابة فيه. ويروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال فى زهير : كان لا يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال، فتأمل هذا الكلام فإن تفسيره ما ذكرناه وعيار المقاربة فى التشبيه الفطنة وحسن التقدير، فأصدقه، ما لا ينتقص عند العكس وأحسنه ما أوقع بين شيئين اشتراكهما فى الصفات أكثر من انفرادهما ليبين وجه التشبيه بلا كلفة إلا أن يكون المطلوب من التشبيه أشهر صفات المشبه وأملكها له لأنه حين إذاً يدل على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس وقيل أقسام الشعر ثلاثة : مثل سائر، تشبيه نادر، واستعارة قريبة . وعيار التحام أجزاء النظم

والتئامه على تخير من لذيذ الوزن الطبع واللسان فما لم يتعثر الطبع بأبنيته وعقود، ولم يحتبس اللسان في فصوله ووصوله بل استمر فيه واستسهلاه بلا ملال ولا كلال فذاك يوشك أن تكون القصيدة منه كالبيت والبيت كالكلمة تسالما لأجزاءه وتقاربا ولا يكون كما قيل فيه.

وشعر كبعر الكبش فرق بينــه   لسان دعى فى القريض دخيل

وكما قال خلف :

وبعض قريض الشعر أولاد عله   يكد لسان الناطق المتحفـــظ

وقد قال رؤبة لابنه عقبة وقد عرض عليه شيئًا مما قاله فقال :

قد قلت لو كان له قران

وإنما قلنا على تخير من لذيذ الوزن لأن لذيذه يطرب الطبع لإيقاعه ويمازجه بصفائه كما يطرب الفهم لصواب تركيبه واعتدال نظمه، ولذلك قال حسان :

تغنَّ فى كل شعر أنت قائله   إن الغناء لهذا الشعر مضمار

وعيار الاستعارة الذهن والفطنة وملاك الأمر تقريب الشبيه فى الأصل حتى يتناسب المشبه والشبه به ثم يكتفى فيه بالاسم المستعار لأنه المنقول عما كان فى الوضع المستعار له .

وعيار مشاكله اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية طول الدرية ودوام المدارسة فإذا حكما بحسن التباس بعضهما ببعض لا جفاء فى خلالها ولا بنو ولا زيادة ولا قصور، وكان اللفظ مقوماً على رتب المعانى قد جعل الأخص للأخص والأخسّ للأخسّ فهو البرىء من العيب فأما القافية فيجب أن تكون كالموعود به المنتظر يتشرفا المعنى بحبه واللفظ بقسطه وإلا كانت قلقة فى مقرها مجتلبة لمستغن عنها.

فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب فمن لزمها بحقها وبنى شعره عليها فهو عندهم المطلق المعظم، والمحسن المقدم يجمعها كلها فبقدر سهمته منها يكون نصيبه من التقدم والإحسان وهذا إجماع مأخوذ به ومتبع نهجه حتى الآن .

واعلم أن لهذه الخصال وسائط وأطرافاً فيها ظهر صدق الواصف وغلو الغالى واقتصاد المقتصد وقد اقترفها «اختصرها» اختيار الناقدين فمنهم من قال: أحسن الشعر أصدقه، قال لأن تجويد قائله فيه مع كونه فى إسار الصدق يدل على الاقتدار والحذق، ومنهم من اختار الغلو حتى قيل: أحسن الشعر أكذبه، لأن قائله إذا أسقط عن نفسه تقابل الوصف والموصوف امتد فيما يأتيه إلى أعلى الرتبة، وظهرت قوته فى الصياغة وتمهره فى الصناعة واتسعت مخارجه وموالجه فتصرف فى الوصف كيف شاء لأن العمل عنده على المبالغة والتمثيل لا المصادقة والتحقيق وعلى هذا أكثر العلماء بالشعر والقائلين له .

وبعضهم قال : أحسن الشعر أقصده لأن على الشاعر أن يبالغ فيما يصير به القول شعراً فقط. فما استوف أقسام البراعة والتجويد أو جلها من غير غلو فى القول ولا إحالة فى المعنى ولم يخرج الموصوف إلى أن لا يؤمن بشيء من أوصافه لظهور السر فى إبانة وشمول التزويد لأقواله كان بالاختيار والانتخاب أولى، ويتبع هذا الاختلاف ميل بعضهم إلى المطبوع وبعضهم إلى المصنوع. والفرق بينهما أن الدواعى إذا قامت فى النفوس وحركت القرائح عملت القلوب، فإذا جاشت العقول بمكنون ودائعها، وظهرت مكتسبات العلوم وضرورياتها نبعت المعانى ودرت أخلاقها وافتقرت خضبات الخواطر إلى جليات الألفاظ فمتى رفض التكلف والتحمل وخلى الطبع المهذب بالرواية المدرب فى الدراسة لاختياره فاسترسل غير محمول عليه ولا ممنوع مما يميل إليه أدى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفواً بلا كدر وعفوا بلا جهد، وذلك هو الذى يسمى المطبوع ومتى جعل زمام الاختيار بيد التعمل والتكلف عاد الطبع مستخدماً متملكاً وأقبلت الأفكار تستحمله أثقالها وتراوده فى قبول ما يؤديه إليها مطالبة له بالأغراب فى الصنعة وتجاوز المألوف إلى البدعة فجاء مؤداه وأثر التكلفة يلوح على صفحاته وذلك هو المصنوع.

وقد كان يتفق فى أبيات قصائدهم من غير قصد منهم إليه اليسير النذر فلما انتهى قرض الشعر إلى المحدثين ورأوا استغراب الناس للبديع على اقتنائهم فيه أولعوا بتزوده إظهاراً للاقتدار أو ذهاباً إلى الإعزاب، فمن مفرط ومقتصد ومحمود فيما يأتيه ومذموم وذلك على حسب نهوض الطبع بما يحمل ومدى قواه فيما يطلب منه ويكلف فمن مال إلى الأول فلأنه أشبه بطرائق الأعراب لسلامته فى السبه واستوائه عند الفحص. ومن مال إلى الثانى فلدلالته

على كمال البراعة والالتذاذ بالغرابة.

وأما تعجبك من أبي تمام في اختيار هذا النوع وخروجه عن ميدان شعره ومفارقته ما يهواه لنفسه وإجماع نقاد الشعر بعده على ما صحبه من التوفيق فالقول فيه:

إن أبا تمام كان يختارما يختار منه لجودته لا غير ويقول ما يقول من الشعر لشهوته والفرق بين ما يشتهي وما يستجاد ظاهر بدلالة أن العارف بالبزّ قد يشتهي لبس ما لا يستجيده ويستجيد ما يشتهي به، وعلى ذلك جميع أعراض الدنيا مع العقلاء العارفين بها في الاستجابة والاشتهاء وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال ولا من الشعر إلى المتردد في الأفواه المجيب لكل داع وكان أمره أقرب، بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهليهم ومخضرميهم وإسلاميهم ومولدهم فاختلفت منها الأرواح دون الأشباح وأخذت الأثمار دون الأكمام، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه لأن ضروب الاختيار لم تخف عليه وطرق الإحسان والاستحسان لم تستتر عنه حتى أنك تراه ينتهي إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه فيجبر نقيصته من عنده ويبدل الكلمة باجتهاده في نقده، وهذا يبين لمن رجع إلى دواوينهم فقال ما في اختياره بها، ولو أن نقد الشعر كان يدرك بقوله لكان من يقول الشعر من العلماء أشعر الناس، ويكشف هذا أنه قد يميز الشعر من لا يقوله ويقول الشعر الجيد من لا يعرف نقده. وعلى ذلك كان البحترى لأنه فيما حكى عنه كان لا يعجب من الشعر إلا بما يوافق طبعه ومعناه ولفظه، وحكى الصولى أنه سمع المبرد يقول: سمعت الحسن بن رجاء يقول (لم أرِ أحداً قط أعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه) من أبي تمام، وحكى عنه أنه مرَّ بشعر ابن أبي عينيه فيما كان يختاره من شعر المحدثين فقال وهذا كله مختار هنا، وشعره أبعد الأشياء من شعره وهذا واضح.

وأما ما غلب على ظنك من أن اختيار الشعر موقوف على الشهوات، إذا ما كان يختاره زيد يجوز أن يزيفه عمرو وأن سبيلها سبيل الصور في العيون إلى غير ذلك مما ذكرته فليس الأمر كذلك لأن من عرف مستور المعنى ومكشوفه ومرفوض اللفظ ومألوفه وميز البديع الذى لم يقتسمه المعارض ولم تعتسفه الخواطر وناظر وتبحر ودار في أساليب الأدب فتخيره، وطالت مجاذبته في التذكر والأبحاث والتداول والابتعاث، وباق له القليل النائب عن الكثير

اللحظ الدال على الضمير، درى تراتيب الكلام وأسراره كما درى تعاليق المعانى وأسبابها إلى غير ذلك مما يكمل الآلة ويشحذ القريحة نراه لا ينظر إلا بعين البصيرة ولا يسمع إلا بأذن النصفة ولا ينقد إلا بعين المعدلة، فحكمه الحكم الذى لا يبدل، ونقده النقد الذى لا يغير.

واعلم أنه قد يعرف الجيد من يجهل الردىء، والواجب أن تعرف المقابح المتسخطة كما عرفت المحاسن المرتضاه، وجماعها إذا أجملت أنها أضرار ما بيناه من عمد البلاغة وخصال البراعة فى النظم والنثر، وفى التفصيل كأن يكون اللفظ، وحشياً أو غير مستقيم أولا يكون مستعملا فى المعنى المطلوب، فقد قال عمر رضى الله عنه فى زهير لا يتتبع الوحشي ولا يماطل الكلام، أو يكون فيه زيادة تفسد المعنى أو نقصان أولا يكون بين أجزاء البيت التئام أو تكون القافية قلقة فى مقرها أو معيبة فى نفسها أو يكون فى القسم أو فى التقابل أو فى التفسير فساد أو فى المعنى تناقض أو خروج إلى ما ليس فى العادة والطبع، أو يكون الوصف غير لائق بالموصوف أو يكون فى البيت حشو لا طائل فيه إلى غير ذلك مما يحصل لك تأملك جمل المحاسن وتفصيلها وتتبعك مما يضادها وينافيها وهذا يقين قريب وأنا قلت هذا لأن ما يختاره الناقد الحاذق قد يتفق فيه ما لو سئل عن سبب اختياره إياه وعن الدلالة عليه لم يسكنه فى الجواب إلا أن يقول هكذا قضيته طبعى أو ارجع إلى عشيرى من له الدرية والعلم بمثله فإنه يحكم بمثل حكمى وليس كذلك ما يستذله النقد أو ينفيه الاختيار لأنه لا شىء من ذلك إلا ويمكن التنبيه على الخلل فيه وإقامة البرهان على رداءته فاعلمه.

وأما تمنيك معرفة السبب فى تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب البلغاء. . والندر فى قلة المترسلين وكثرة المعلقين والعلة فى نباهة أولئك وخمول هؤلاء، ولماذا كان أكثر المعلقين لا يبرعون فى إنشاء الكتب، وأكثر المترسلين لا يفلحون فى فرص الشعر، فإنى أقول فى ذكر فصل من ذلك بما يحضر والله ولى توفيقى وهو حسبى وعليه توكلى :

واعلم أن تأخر الشعراء عن رتبة البلغاء موجبه تأخر المنظوم عن رتبة المنثور عند العرب لأمرين :

أحدهما أن ملوكهم قبل الإسلام وبعده كانوا يتبجحون بالخطابة

والافتتنان فيها ويعدونها أكمل أسباب الرياسة وأفضل آلات الزعامة، فإذا وقف أحدهم بين الماطين لحصول تنافر أو تضاغن أو تظالم أو تشاجر فأحسن الاقتضاب عند البداهة وأنجع فى الإسهاب وقت الإطالة أو اعتلى ذروة منبر فتصرف فى دروب من تحسين القول وتلبيته داعياً إلى طاعة أو مستصلحاً لرعية أو غير ذلك مما تدعو الحاجة كان ذلك أبلغ عندهم من إنفاق مال عظيم وتجهيز جيش كثير، وكانوا يأنفون من الاشتهار بغرض الشعر ويعده ملوكهم دناءة، وقد كان لامرىء القيس فى الجاهلية من أبيه حجر بن عمرو حين تعاطى قول الشعر فنهاه عنه وقتاً بعد وقت ومالا بعد مال أخرجه إلى أن مرّ بقتله وقصته مشهورة، وهذا واحد.

والثانى أنهم اتخذوا الشعر مكسبة وتجارة وتوصلوا به إلى السوق كما توصلوا به إلى العلية وتعرضوا لأعراض الناس فوصفوا اللئيم عند الطمع فيه بصفة الكريم والكريم عند تأخر صلته بصفة اللئيم، حتى قيل : الشعر أدنى مروة السرّىّ وأسرى مروة الدنىء فهذا الباب أمره ظاهر.

وإذا كان شرف الصانع بمقدار شرف صناعته وكان النظم متأخراً عن رتبة النثر وجب أن يكون الشاعر أيضاً متخلفاًعن غاية البليغ، ومما يدل على أن النثر أشرف من النظم أن الإعجاز من الله تعالى بحده والتحدى من الرسول عليه السلام وقع فيه دون النظم يكشف ذلك أن معجزات الأنبياء فى أوقاتهم كانت من جنس ما كانت أممهم يولعون به فى حينهم ويغلب على طبائعهم، وبأشرف ذلك الجنس. وعلى ذلك كانت معجزة موسى عليه السلام فإنها ظهرت عليه وزمنه من السحر والسحرة فصارت من ذلك الجنس وبأشرفه، وكذلك كان حال عيسى عليه السلام لأن زمنه كان زمن الطب فكانت معجزته هى إحياء الموتى من ذلك الجنس.

ولما كان زمن النبى ﷺ زمن الفصاحة فى البيان صلى الله موعظته من جنس ما كانوا يولعون به وبأشرفه فتحدثهم بالقرآن كلاماً منثوراً لا شعراً منظوماً، ولقد قال الله عزّ وجلّ فى تمجيد النبى ﷺ ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغى له ﴾ وقال أيضاً ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾ ولما كان الأمر على ما بيناه وجب أنّ يكون النثر أرفع شأناً وأملاكاً وبناء من النظم، وأن يكون مزاوله كذلك اعتباراً بسائر الصناعات وبمزاوليها.

وأما السبب في قلة المترسلين وكثرة المعلقين وعزّ من جمع بين النوعين مبرزا فيهما فهو أن مبنى الترسل على أن يكون واضح النهج سهل المعنى ممتد الباع واسع النطاق تدل لوائحه على حقائقه وظواهره على بواطنه إذ كان مورده على الأسماع مفترق من خاصى وعامى وأفهام مختلفة من ذكى وغبى، فمن كان مستسهلا متساوياً ومتسلسلا ومتجاريا تساوت الآذان فى تلقيه والأفهام فى درايته والألسن فى روايته فيسع شارده إذا استدعى، ويتعجل وارده إذا استدنى فإذا تطاول أنفاس فصوله وتباعد أطراف موزونه وسهوله.

ومبنى الشعر على العكس من جميع ذلك لأنه بنى على أوزان مقدرة وحدود مقسمة وقواف يساق ما قبلها مهيأة، وعلى أن يقوم كل بيت بنفسه غير مفتقر إلى غيره إلا مضمناً بأخيه وهو عيب فيه، فلما كان مداه لا يمتد إلا بمقدار عروضه وحزمه، وكلاهما قليلا وكان الشاعر يعمل قصيدته بيتاً بيتاً وكل بيت يتقاضاه بالاتحاد، وجب أن يكون الفضل فى أكثر الأحوال فى المعنى وأن يبلغ الشاعر فى تلطيفه والأخذ من حواشيه حتى يتسع له اللفظ فيؤديه على غموضه وخفاءه حتى يصير المدرك له والمشرف عليه كالفائز بذخيرة اغتنمها والظافر بدفينة استخرجها، وفى مثل ذلك يحسن إمحاء الأثر وتباطىء المطلوب على المنتظر فكل ما يحمد فى الترسل ويختار يذم فى الشعر ويرفض، فلما اختلف المبنيان كما بينا، كان المتولى لكل واحد منهما يختار أبعد الغايات لنفسه، فيه اختلفت الإصابتان لبيان طرفيهما وتفاوت قطريهما فبعد على القرائح الجملة بينهما يكشف ذلك أن الرجز خالف القصيد مخالفة قريبة ترجع إلى تقطيع شأو اللفظ وتزاحم السجع عليه قل عدد الجامعين بينهما لتقاصر الطباع عن الإحاطة بها فإذا كان الرجز والقصيد مع أنهما من واد واحد أفضت الحال بمتعاطيهما إلى ما قلت على خلاف يسير بينهما فالنثر والنظم وهما طرفين ضدين وعلى حالتين متباينتين أولى وأحق وأن السبب فى قلة البلغاء وكثرة الشعراء ونباهة أولئك وخمول هؤلاء فهو أن المترسل محتاج إلى مراعاة أمور كثيرة إن أهملها أو أهمل شىء منها رجعت النقيصة إليه وتوجهت اللائمة منهما بين مقادير من يكتب عنه وإليه حتى لا يرفع وضيعاً ولا يضع رفيعاً ومنها وزن الألفاظ التى يستعملها، تصار فيه حتى تجىء لائقة بمن يخاطب بها مفخمة لحضرة سلطانه التى يصدر عنها، ومنها أن يعرف أحوال الزمان وعوارض الحدثان فينصرف معها على مقاديرها فى

النقض والإبرام والبسط والاتقان ومنها أن يعلم أدوات الإسهاب والتطويل والإيجاز والتخفيف فقد ينفق ما يحتاج إلى الإكثار حتى يستغرق فى الرسالة الواحدة أقدار القصائد الطويلة وينفق أيضاً ما تغنى فيه الإشارة وما يجرى مجرى البعض فى الدلالة. ومنها من يعرف من أحكام الشريعة ما يقف على سواء السبيل فلا يشتط فى الحكومة، ولا يعدل فيما يخط عن المحجة، وإنما هو يترسل فى عهود الولاء والقضاء وتأكيد البيعة والإيمان وعمارة البلدان وإصلاح فساد وتحريض على جهاد وسد ثغور ورتق فتوق واحتجاج على فئة أو مجادلة لملة أو دعاء إلى ألفة أو نهى عن فرقة أو تهنئة بعطية أو تعزية برزية أو ما شاكل ذلك فى جلائل الخطوب وعظام الشئون التى يحتاج فيها إلى أدوات كثيرة ومعرفة مفتنة.

فلما كان الأمر على هذا صار وجود المتكلفين بجودة النثر أعزّ وعددهم أنذر وقد وسمتهم الكتابة بشرفها وبوأتهم منزلة رياستها فأخطارهم عالية بحسب علو صناعتهم ومقاعد رياستهم وشدة الفاقة إلى كتابتهم. والشعراء إنما أعراضهم التى يستبدون نحوها وغاياتهم التى ينزعون إليها. وصف الديار والآثار والحنين إلى المعاهد والأوطان والتشبيب بالنساء والمبالغة فى التشبيه والأوصاف فإذا كان كذلك لم يبلغوا فى المضمار ولا تقاربوا فى الأقدار وهذا القول كاف (انتهى (ص ٧))

كتاب «الكناية والتحريض»

لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى المتوفى سنة ٤٣٠هـ

ومن المؤلفات الطريفة في البلاغة العربية ما يتناول الكناية بدءاً بالقرآن فالحديث فالأنواع الأدبية ومن أقدم المؤلفات فيه ما ألفه الثعالبى أديب المشرق الأقصى ألا وهو كتاب «الكناية والتعريض» (١) والذى تدع لقلمه أن يفتتح بمقدمته بما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

عونك اللهم على شكر نعمتك في ملك كملكك. وبحر فى قصر. وبدر فى دست. وغيث يصدر عن ليث. وعالم فى ثوب عالم. وسلطان بين حسن وإحسان.

لولا عجائب صنع الله ما نبتت تلك الفضائل فى لحم ولا عصب

هذه صفة تغتنى عن التسمية . ولا تحوج إلى التكنية. إذ هى مختصة بمولانا الأمير السيد الملك المؤيد ولى النعم أبى العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه مولى أمير المؤمنين أدام الله سلطانه. وحرص عزه ومكانه. وخالصة له دون الورى. وجامعة لديه محاسن الدنيا . اللهم فكما فضلته على عبادك بالفضائل التى لا تحصى. والفواضل التى لا تنسى . ففضله بطول العمر ودوام الملك. وإيصال الصنع ورغد العيش، وسكون الجيش، وعلو اليد، وسعادة الجد، وكفاية المهم، وإزالة العلم. وانظر للمكارم والمعالى بالدفاع عن مهجته وحراسة دولته، وتثبيت وطأته. برحمتك يا أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين. آمين.

وصلواتك على النبى محمد وآله أجمعين (ثم إن هذا) الكتاب خفيف الحجم. ثقيل الوزن صغير الجرم. كبير الغنم. فى الكنايات عما يستهجن ذكره. ويستقبح نثره. أو يستحيا من تسميته. أو يتطير منه. أو يسترفع ويصان عنه . بألفاظ مقبولة تؤدى المعنى وتفصح عن المغزى وتحسن القبيح وتلطف الكثيف وتكسوه المعرض الأنيق فى مخاطبة الملوك ومكاتبة المحتشمين. ومذاكرة أهل الفضل . ومحاورة ذوى المروءة والظرف. فيحصل المراد.

ويلوح النجاح، مع العدول عما ينبو عنه السمع. ولا يأنس به الطمع

---

(١) الكناية والتعريض للثعالبى، عنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعسانى الحلبى، ط ١ ١٣٢٦هـ – ١٩٠٨م، مطبعة السعادة.

إلى ما يقوم مقامه وينوب منابه من كلام تأذن له الأذن ولا يحجبه القلب. وما ذلك إلا من البيان في النفوس وخصائص البلاغة ونتائج البراعة ولطافة الصناعة وأراني لم أسبق إلى تأليف ص ٢ مثله وترصيف شبهه وترصيع عقده، من كتاب الله وأخبار النبي ﷺ . وكلام السلف. ومن قلائد الشعراء. ونصوص البلغاء. وملح الظرفاء. في أنواع النثر والنظم وفنون الجد والهزل. ولقد كنت ألفته بنيسابور في سنة ٤٠٠ (أربعمائة) فلما جرى ذكره على اللسان العالي أدام الله علاه وخرج الأمر الممتثل أدام الله رفعته بإنفاذ نسخة منه إلى الخزانة المعمورة أدام الله شرفها. أنشأتها نشأة أخرى وسبكة ثانية ووردت في تبويبه وترتيبه وتأنقت في تهزيبه وترجمته (بكتاب الكناية والتعريض) وشرفته بالاسم العالي ثبته الله ما دامت الأيام والليالي وأخرجته في سبعة أبواب يشتمل كل باب منها على عدة فصول مترجمة بموضوعاتها.

فالباب الأول : في الكناية عن النساء والحرم وما يجرى معهن ويتصل بذكرهن من سائر شئونهن وأحوالهن وفصوله خمسة.

والباب الثاني : في ذكر الغلمان ومن يقول بهم والكناية عن أوصافهم وأحوالهم وفصوله خمسة.

والباب الثالث : في الكناية عن بعض فصول الطعام وعن المكان المهيأ له وفصوله أربعة.

والباب الرابع : في الكناية عن المقابح والعاهات وفصوله اثنا عشر.

والباب الخامس: في الكنايات عن المرض والشيب والكبر والموت وفصوله ثمانية.

والباب السادس : فيما يوجبه الوقت والحال من الكناية عن الطعام والشراب وما يتصل بها في فصلين.

والباب السابع : في فنون شتى من الكناية والتعريض مختلفة الترتيب وفصوله سبعة وها أنا أفتتح سياقها وأوفيها حقوقها وشرائطها بعون الله تعالى ودولة مولانا الملك السيد ولي النعم خوارزم شاه ثبتها الله وأدامها).

ص ٣ بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول : في الكناية عن النساء وما يجرى معهن وما يتصل بذكرهن من سائر شئونهن وأحوالهن .

(فصل فى الكنابة عن المرأة)

ص ٥ : (وأما الظلة) فهى عند بعض الكوفيين أصلية وعند بعضهم مكنية وكذلك الحليلة وينشد :

وإنى لمحتاج لموت ظلتى ولكن متاع السوء باقى معمر

ص٥ : (فصل فى الكنايات عن الحرم)

ص ٦ : قال مؤلف الكتاب وكثيراً ما يكتنى ابن العميد والصاحب والصابى وعبد العزيز بن يوسف وهم بلغاء العصر وأفراد الدهر عن البنت بالكريمة وعن الصغيرة بالريحانة وعن الأم بالحرة والبرة وعن الأخت بالشقيقة وعن الزوجة بكبيرة البيت وعن الحرم بمن وراء الستر وعن الزفاف بتأليف الشمل واتصال الحبل ولو كتبت الفصول المتضمنة لهذه الكنايات لامتد نفس الباب وفيما أوردته من هذه النكت كفاية

ص ٧ (فصل فى الكناية عن عورة المرأة)

ص ٨ : (فصل يتصل فى الكناية عن عورة الرجل)

ص ٩ : وفى كتاب ملح النوادر ....

.... وقلت فى كتاب المبهج ....

(فصل فى الكناية عما يجرى بين الرجال والنساء من اتباع الشهوة والتماس اللذة وطلب النسل)

ص ١١ : فقرأت لأبى اسحاق الصابى فصلا فى هذا المعنى بعينه من كتاب عهد سلطانى لبعض القضاة تعجبت ص ١٢ : من

حسن عبارته ولطف كنايته وهو وأمره أن يجلس للخصوم وقد نال من المطعم والمشرب طرفًا يقف به عند أول الكفاية ولا يبلغ به إلى آخر النهاية وأن يعرض نفسه على أسباب الحاجة كلها وعوارض البشرية بأسرها لئلا يلم به ملم أو يطيف به طائف فيحيلان عن رشده ويحولان بينه وبين سدده.

ص ١٢ : (فصل فى افتضاض العذرة)

من طـريف الكناية عن العذرة ما قرأته فى أخبار بشار بن برد حين قال ....

ص ١٤ : (فصل فى الكناية عن الحيض)

ص ١٥ : وكنت أقرأ فى شعر ابن الحجاج والأمير فقتصد فى بيت لا مجال فيه بمعنى فصد الأمير ولا أفطن له إلا أن ذكر لى بعض السادة أنه كناية عن الحيض بلسان المجان من أهل بغداد فخرج لى معنى البيت ولولا فرط قذعه لأوردته

والعامة تكنى عن استئناف المعاشقة ومعاودة المواصلة بعد وقوع الفترة وحدوث السلوى بتسخين الأرز...

ص ١٨ : الباب الثانى : فى ذكر الغلمان والذكران ومن يقولوا بهم والكناية عن أوصافهم وأحوالهم

(فصل فى الاحتلام والختان)

ص ١٩ : (فصل فى الكناية عن الغلام) الذى عبث به ووصف فراهيته وسائر أوصافه).

ص ٢٠ : ومن كنايات الصوفية فى هذا الباب قولهم للغلام الصبيح شاهد ومعناهم فيه أنه لحسن صورته شهيد بقدرة الله عز اسمه على ما يشاء.

ص ٢٢ : ... وسمعت بعض العامة يقول بالفارسية فى وصف غلام يأخذ من دبره وينفق على قبله فلان يذيب الإلية على الشحم ... ثم سمعت بعض العامة يقول فى ذلك فلا ينفق من طسته على إبريقه.

ص ٢٢ : (فصل فى الكناية عما يتعاطى منهم)

ص ٢٥ : (فصل فى الكناية عن اللوط وأهله)

ص ٢٦ : ويقال : فلان من العطارين والعطار كناية عن الكناس فى كثير من البلدان ...

ص ٢٧ : (فصل فى الكناية عن خروج اللحية مدحاً وذماً)

... وفى كتاب لباب الآداب فلان قد غلفته يد الحسن وقد أحرقت فضة خده وطرز ديباج وجهه.

ص ٢٨ : الباب الثالث، فى الكناية عن بعض فضول الطعام وعن المكان المهيأ له

(فصل فى مقدمته)

قرأت فى المستنير ...

ص ٢٩ (فصل فى عاقبة الأكل)

... ومن كنايات العامة عن الحاجة إلى دخول الخلاء قولهم له حاجة لا يقضيها غيره.

... ومن لطائف الأطباء كنايتهم عن حشو الأمعاء بالطبيعة والبراز وعن سيلان الطبيعة الخلفه وعن القيام لها الاختلاف ... وقد تكنى الأطباء عن البول بالماء والدليل وعن القىء بالتعالج.

ص ٣٠ : وقرأت فى كتاب المستنير ...

ص ٣١ : (فصل فى الكناية عن المكان الذى تقضى تلك الحاجة إليه).

ص ٣٢ : الباب الرابع، فى الكناية عن المقابح والعاهات والمثالب.

(الفصل الأول فى القبح والسواد)

ص ٣٣ : (فصل فى الثقل والبرد)

ص ٣٣ : (فصل فى الكناية عن الداء الذى لا دواء له إلا بمعصية الله)

ص ٣٥ : (فصل فى الكناية عن البرص)

ص ٣٥ : (فصل فى الكناية عن عدة عاهات)

ص ٣٦ : (فصل فى البخل)

ص ٣٧ : (فصل فى الكناية عن جملة من المصائب والأخلاق المذمومة)

ص ٣٩ : وأهل بغداد يقولون لمن ألحد فلان قد عبر مفيون أى أنه قد عبر جسر الإسلام.

ص ٤٠ : ومن كنايات العامة فى هذا المعنى (أى عدم نظافة البدن) قولهم يعرض الجند.

.... وسمعت بعض العجائز تكنى عن الصنان برائحة الشباب

ص ٤١ : (فصل فى الكناية عن ذم الشعراء والشعر)

ص ٤٢ : (فصل فى السؤال والكدية)

ص ٤٤ : وقلت أنا فى الكتاب المبهج : من جلب در الكلام حلب در الكلام

(فصل فى الكناية عن الفقر وسوء الحال)

(فصل فى الكناية عن الصفع)

ص ٤٥ : (فصل فى الكناية عن الصناعات الدنية)

ص ٤٦ : الباب الخامس (فى الكناية عن المرض والشيب والكبر والموت)

(فصل فى المرض)

هذا الفصل مقصور على ألفاظ البلغاء من أهل العصر فى الكناية عن المرض يقع فى فصول هذا الباب

ص ٤٧ : (فصل فى كتاباتهم عن الشيب)

... وأحسن هذا قول الله عزّ اسمه ﴿ وجاءكم النذير ﴾ وينشد أصحاب المعانى قول بعض العرب

ولما رأيت النسر عز ابن رأيه وعشش فى وكريه جاش له صدرى

والنسر كناية عن الشيب وابن رأيه الغراب وكنى به عن الشباب

(فصل فى كنايتهم عن الاكتهال)

(فصل فى كنايتاتهم عن الشيخوخة)

(فصل فى الكناية عن الموت)

ص ٤٨ : (فصل فى الكناية عن القتل)

ص ٤٩ : الباب السادس، فيما يوجبه الوقت والحال من الكناية عن الطعام والشراب وما يتصل بهما (فصل فى الأطعمة وما يتعلق بها)

... وللصوفية كنايات عن الأطعمة استظرفت منها قولهم للحمل الشهيد ابن الهشيد وللقطائف قبول الشهداء وللفالوذج خاتمة الخير وللأرز بالسكر الشيخ الطبرى بالطلسان العسكرى وللوزينج أصابع الحور.

ص ٥٠ : (فصل فى الكناية عن الشراب والملاهى وما يضاف إليهما)

... وذكر الطبرى فى كتاب الأمثال المولدة أنه يقال للسكران إذا بلغ غاية السكر قد عبر موسى البحر.

ص ٥١ : الباب السابع فى فنون شيء من الكناية والتعريض مختلفة الترتيب

(فصل فى الكناية عن العزل والهزيمة وبعض الألفاظ السلطانية)

ص ٥٣ : (فصل فى الكناية عما يتطير من لفظه)

ص ٥٤ : ... ذكر ابن عبدوس فى كتاب الوزراء والكتاب ...

ص ٥٤ : (فصل فى الكناية عن مرمة البدن)

.... قال أبو منصور الأزهرى فى كتاب تهذيب اللغة.

.... ومن لطائف الأطباء كناياتهم عن الإسهام بالاستفراغ وعن القيء بالتعالج.

.... ووجد بخط أبى الحسن السلامى فى دفتر من منتخب شعره أتحف به أبا الحسن محمد بن عبد الله الكرخى أبياتاً له بديعة فى الكناية عن النورة :

لما التحى أضحت عمامته السوداء تحكى محضر الحنك
وصار يحتال أوبلين بحلق الشعر عن ردفه أو التفـــك
فى كل يوم تراه متزراً بالروض بين الحياض والبرك
وما علمناه بأنه قمر حتى اكتسى قطعة من الفلك

(فصل فيما شذ من هذا الباب من كنايات أخبار النبى ﷺ).

ص ٥٥ : (فصل فى ضد الكناية)

ومعناه تقبيح الحسن كما أن معنى الكناية تحسين القبيح.

ص ٥٦ : (فصل فيما شذَّ عن الكتاب من كنايات لأهل بغداد)

يكنون عن اللحية بالمحاسن فيقولون لمن بلحيته قذاة يدك على محاسنك (ويكنون) عن الزنية شتمة بالزاى قال بعض أهل العصر :

صديق لنا قد كساه الزما ن ثياب الغنى رافعاً شأنه
تراه غليظ مزاج الكلام إذا كسر النيه أجفـــاه
يخاطب بالكاف إخوانه ويختم بالزاى غلمانـــه

ويقولون فيمن يسخر به وهو لا يدرى رقص فى زورق (ويدعون) على من يعادونه فيقولون سلط الله عليه ما لا يجتر يعنون السبع ويكنون عن القواد بالنقيب قال الصاحب :

يابن يعقوب يا نقيب البدور   كن شفيعى إلى فتى مسرور
قل له إن للجمـــال زكاة   فتصدق بها على المهجـــور

(فصل فى فنون من التعريضات)

العرب تستعمل التعريض فى كلامها فتبلغ إراداتها بوجه هو ألطف وأحسن منه

ص ٥٧ : الكشف والتصريح .... ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف فى كل وجه يقولون فلان لا يحسن التعريض إلا ثلبا (وقد) جعله الله فى خطبة النساء جائزاً فقال : ﴿ ولا جناح عليك فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم ﴾ ولم يجز التصريح ... والتعريض فى الخطبة أن يقول للمرأة والله إنك لجميلة وإنك لشابة ولعل الله أن يرزقك بعلا صالحاً وإن النساء لمن حاجتى وأشباهه من الكلام.

... وساير شريك النميرى عمر بن هبيره الفزارى على بغله فجازت برذون عمر فقال له عمر أغضض من لجامها فقال شريك إنها مكتوبة أراد عمر قول الشاعر :

فغض الطرف إنك من نمير   فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وأراد شريك قول الآخر :

لا تأمنن فزاريا خلوت به   على قلوصك واكتبها بأسيار

ص ٥٨ : ومن التعريضات بالفعل ما يروى أن معاوية أرسل إلى عمرو بن العاص بكلام فقال للرسول انظر ما يرد عليك فلما تكلم عض عمرو إبهامه حتى فرغ الرسول ولم يزده على ذلك فلم رجع إلى معاوية أخبره بفعله فقال له معاوية ما أراد قال لا أدرى فقال إنما قال أتقرعنى وأنا ألوك شكيمة قارح ... وأهل المدينة يسمون اللقيط فرخاً وهو عندهم فرخ زنا.

ص ٥٩ : وذكر أبو على السلامى فى كتاب نتف الصرف.

... وحكى ابن عبدوس فى كتاب الوزراء والكتاب...

دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني[1]

(جماعة يرون أنه يكفي علم البيان معرفة علم اللغة وطعنوا على الشعر والنحو ثم يبين الجرجاني أن سبيل معرفة حجة الله هي السبيل الأدبي فالطاعن في الشعر صاد عن سبيل الله وكذلك في النحو :

يقول ص ٤ : ثم إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلا وأبسق فرعاً وأحلى جنى وأعذب ورداً وأكرم نتاجاً وأنور سراجاً من علم البيان الذي لولاه لم تر لساناً يحوك الوشي، ويصوغ الحلي، ويلفظ الدر، وينفث السحر، ويقري الشهد ويريك بدائع من الزهر ويجنيك الحلو اليانع من الثمر ... إلا أنك لن ترى على ذلك نوعاً من العلم قد لقي من الضيم ما لقيه، ومني من الحيف بما مني به ودخل على الناس من الغلط في معناه ما دخل عليهم فيه، فقد سبقت إلى نفوسهم اعتقادات فاسدة، وظنون رديه، وركبهم فيه جهل عظيم وخطأ فاحش ... يقول إنما هو خبر واستخبار، وأمر ونهي ولكل من ذلك لفظ قد وضع له وجعل دليلا عليه، فكل من عرف أوضاع اللغة من اللغات عربية كانت أو فارسية وعرف المغزى من كل لفظة ثم ساعده اللسان على النطق بها، وعلى تأدية أجراسها وحروفها، فهو بين في تلك اللغة، كامل الأداة، بالغ من البيان المبلغ الذي لا مزيد عليه، منته إلى الغاية التي لا مذهب بعدها ص٥ ... فإن استظهر للأمر وبالغ في النظر، فإنه لا يلحق فيرفع في موضع النصب، أو يخطىء فيجيء باللفظة على غير ما هي عليه في الوضع اللغوي، وعلى خلاف ما ثبتت به الرواية عن العرب وجملة الأمر أنه لا يرى النقص يدخل على صاحبه في ذلك إلا من جهة نقصه في علم اللغة. لا يعلم أمرها هنا دقائق وأسرار طريق العلم بها الروية والفكر، ولطائف مستقاها العقل، وخصائص معان ينفرد بها قوم قد هدوا إليها ودلوا عليها، وكشف لهم عنها، ورفعت الحجب بينهم وبينها، وأنها السبب في أن عرضت المزية في الكلام

---

(١) السني الشافعي أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني :

عاش في القرن الخامس الهجري وتوفي على الراجح عام ٤٧١هـ ولم نعثر لعبد القاهر رغم مكانته العلمية إلا على تراجم قصيرة وهي تتفق في أنه كان علماً واسع الثقافة وأنه كان متكلماً على مذهب الأشعري وفقيهاً على مذهب الشافعي وأنه أخذ النحو عن أبي الحسن محمد ابن الحسن بن أخت أبي على الفارسي المشهور وبعضها يذكر أنه أخذ الأدب والنقد عن القاضي على ابن عبد العزيز الجرجاني.

ووجب أن يفضل بعضه بعضاً، وأن يبعد الشأو في ذلك وتمتد الغاية ويعلو المرتقى، ويعز المطلب، حتى ينتهى الأمر إلى الإعجاز وإلى أن يخرج من طوق البشر، ولما لم تعرف هذه الطائفة هذه الدقائق وهذه الخواص واللطائف لم يتعرض لها ولم تطلبها . ثم عن لها بسوء الاتفاق رأى صار حجازاً بينها وبين العلم بها وسداً دون أن تصل إليها. وهو إن ساء اعتقادها في الشعر الذى هو معدنها، وعليه المعول فيها، وفى علم الإعراب الى هو لها كالناسب الذى ينميها إلى أصولها، ويبين فاضلها من مفضولها، فجعل تتظهر الزهد في كل واحد من النوعين، وتطرح كلا من الصنفين، وترى التشاغل عنهما، أولى من الاشتغال بهما، والإعراض عن تدبرهما، أصوب من الإقبال على تعلمهما.

أما الشعر فخيل إليها أنه ليس فيه كثير طائل أو أن ليس إلا ملحة أو فكاهة أو بكاء نزل أو وصف طلل، أو نعوت ناقة أو جمل، أو إسراف قول فى مدح أو هجاء وأنه ليس بشيء تمس الحاجة إليه فى صلاح دين أو دنيا.

وأما النحو فظننته ضرباً من التكلف، وباباً من التعسف، وشيئاً لا يستند إلى أصل ص ٦ ولا يعتمد فيه على عقل، وأن ما زاد فيه على معرفة الرفع والنصب وما يتصل بذلك مما تجده في المبادىء فهو فضل لا يجدى نفعاً ولا تحصل منه على فائدة، وضربوا له المثل إلى أشباه لهذه الظنون وفى القبيلين وآراء لو علموا مغبتها وما تقود إليه لتعوذوا بالله فيها ولأنفوا لأنفسهم من الرضا بها، ذاك لأنهم بإيثارهم الجهل بذلك على العلم فى معنى الصادّ عن سبيل الله والمبتغى إطفاء نور الله تعالى. وذاك أنا إذا كنا نعلم أن الجهة التى منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت وبانت وبهرت، هى أن كان على حد من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر، دفعتها إلى غاية لا يطمح إليها بالفكر، وكان محالا أن يعرف كونه كذلك إلا من عرف الشعر الذى هو ديوان العرب، وعنوان الأدب والذى لا يشك أنه كان ميدان القوم إذا تجاروا فى الفصاحة والبيان، وتنازعوا فيهما قصب الرهان ثم بحث عن العلل التى بها كان التباين فى الفضل، وزاد بعض الشعر على بعض، كان الصاد عن ذلك صاداً عن أن تعرف حجة الله تعالى.

(الصاد عن النحو صاد عن سبيل الله . ص ٢١ :

وأما زهدهم فى النحو احتقارهم له وإصغارهم أمره وتهاونهم به فصنيعه فى ذلك أشنع من صنيعهم فى الذى تقدم وأشبه بأن يكون صداً عن كتاب

الله وعن معرفة معانيه ذاك لأنه لا يجدون بدأ من أن يعترفوا بالحاجة إليه فيه إذا كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذى يفتحها وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذى لا يتبين نقصان كلام ورجاحته حتى يعرض عليه والمقياس الذى يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه.

فكرته المبدأية عن النظم ص ٢٨، ص ٢٩ :

ولم أزل منذ قدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء فى معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة وفى بيان المغزى من هذه العبارات وتفسير المراد بها فأجد بعض ذلك كالرمز والإيماء، والإشارة فى خفاء وبعضه كالتنبيه على مكان الخبىء ليطلب، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج، وكما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه وتوضع لك القاعدة لتبنى عليها، فوجدت المعول على أن ها هنا نظماً وترتيبا، وتأليفاً وتركيباً، وصياغة وتصويراً، ونسجاً وتحبيراً وأن سبيل هذه المعانى فى الكلام والذى هى مجاز فيه سبيلها فى الأشياء التى هى حقيقة منها. وأنه كما يفضل هناك النظم النظم والتأليف التأليف والنسج النسج والصياغة الصياغة ثم يعظم الفضل وتكثر المزية حتى يفوق الشىء نظيره والمجانس له درجات كثيرة. وحتى تتفاوت القيم التفاوت الشديد. كذلك يفضل فى بعض الكلام بعضاً ويتقدم منه الشىء الشىء ثم يزداد من فضله ذلك ويترقى منزلة فوق منزلة ويعلو مرقياً بعد مرقب ويستأنف له غاية بعد غاية حتى ينتهى إلى حيث تنقطع الأطماع. وتحسر الظنون وتسقط القوى فتستوى الأقدام فى العجز.

وجملة الأمر أنك لن تعلم فى شىء من الصناعات علماً تمر فيه وتحلى حتى تكون ممن يعرف الخطأ منها من الصواب ويفصل بين الإساءة والإحسان بل حتى تفاضل بين الإحسان والإحسان وتعرف طبقات المحسنين وإذا كان هذا هكذا علمت بأنه لا يكفى فى علم الفصاحة أن تنصب لها قياساً وأن تصفها وصفاً مجملا، وتقول فيها قولا مرسلا، بل لا تكون من معرفتها فى شىء حتى تفضل القول وتحصل. وتضع اليد على الخصائص التى تعرض فى نظم الكلم وتعدها واحدة واحدة وتسميها شيئاً شيئاً وتكون معرفتك معرفة الصانع الحاذق الذى يعلم علم كل خيط من الإبريسم الذى فى الديباج وكل قطعة من القطع المنجورة فى الباب المقطع وكل أجرة من

الآجر الذى فى البناء البديع وإذا نظرت إلى الفصاحة هذا النظر وطلبتها هذا الطلب احتجت إلى صبر على التأمل ومواظبة على التدبر وإلى همة تأبى لك أن تقنع إلا بالتمام وأن تربع إلا بعد بلوغ الغاية ومتى جشمت ذلك وأبيت إلا أن تكون هنالك فقد أممت إلى غرض كريم وتعرضت لأمر جسيم وآثرت التى هى أتم بدينك وفضلك، وأنبل عند ذوى العقول الراجحة لك وذلك أن تعرف حجة الله تعالى من الوجه الذى هو أضوأ لها وأنزه لها وأخلق بأن يزداد نورها سطوعاً وكوكبها طلوعاً وأن تسلك إليها الطريق الذى هو آمن لك من الشك وأبعد من الريب وأصح لليقين وأحرى بأن يبلغ لك قاصية التبيين.

هو هنا يبحث قضية قيم الفصاحة والبلاغة فى اللفظ أم المعنى ؟ إن تفاضيل الألفاظ بحسب الملائمة المعنوية لما بعدها.

إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هى ألفاظ مجردة ولا من حيث هى كلم مفردة وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها فى ملائمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها أوما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ ... فلو كانت الكلمة إذا حسنت حسنت من حيث هى لفظ وإذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك فى ذاتها وعلى انفرداها. دون أن يكون السبب فى ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها فى النظم، لما اختلف بها الحال ولكانت إما أن تحسن أبداً أو لا تسحن أبداً.

الفرق بين نظم الحروف ونظم الكلم

ومما يجب إحكامه بعقب هذا الفصل الفرق بين قولنا حروف منظومة وكلم منظومة. وذلك أن نظم الحروف هو تواليها فى النطق فقط وليس نظمها بمقيض عن معنى ولا الناظم لها بمقتف فى ذلك رسماً من العقل اقتضى أن يتحرى فى نظمه لها ما تحراه. فلو أن واضع اللغة كان قد قال «ربض» مكان ضرب لما كان فى ذلك ما يؤدى إلى فساد. وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفى فى نظمها آثار المعانى وترتبها على حسب ترتيب المعانى فى النفس، فهو إذاً نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وليس هو النظم الذى معناه ضم الشىء إلى الشىء كيف جاء واتفق. وكذلك كان عندهم نظيراً للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشى والتحبير وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضى كونه هناك وحتى لو وضع فى مكان غيره لم يصلح. والفائدة فى

معرفة هذا الفرق أتم إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها فى النطق بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذى اقتضاه العقل.

أدلة على أن البلاغة فى المعنى لا فى اللفظ :

وأى مساغ للشك فى أن الألفاظ لا تستحق من حيث هى ألفاظ أن تنظم على وجه دون وجه ولو فرضنا أن تنخلع من هذه الألفاظ التى هى لغات دلالتها لما كان شيء منها أحق بالتقديم من شيء لا يتصور أن يجب فيها ترتيب ونظم ... ودليل آخر وهو أنه لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعانى فى النفس ثم النطق بالألفاظ على حذوها لكان ينبغى أن لا يختلف حال اثنين فى العلم بحسن النظم أو غير الحسن فيه لأنهما يحسان بتوالي الألفاظ فى النطق إحساساً واحداً ولا يعرف أحدهما فى ذلك شيئاً يجهله الآخر.

وأوضح من هذا كله وهو أن هذا النظم الذى يتواصفه البلغاء وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله صنعة يستعان عليها بالفكرة لا محالة. وإذا كانت مما يستعان عليه بالفكر ويستخرج بالروية فينبغى أن يظن فى الفكر بماذا تلبس؟: أم بالمعانى؟ أم بالألفاظ ؟ فأى شيء وجدته الذى تلبس به فكرك مندبين المعانى والألفاظ فهو الذى تحدث فيه صنعتك وتقع فيه صياغتك ونظمك وتصويرك فمحال أن تتفكر فى شيء وأنت لا تصنع فيه شيئاً وإنما تصنع فى غيره، اللفظ خادم للمعنى، وهذا دليل على أن البلاغة تكون فى المعنى لا فى اللفظ.

إنه لا يتصور أن تعرف للفظ موضعاً من غير أن تعرف معناه ولا أن تتوخى فى الألفاظ من حيث هى ألفاظ ترتيباً ونظماً وإنك تتوخى الترتيب فى المعانى وتعمل الفكر هناك فإذا تم لك ذلك أتبعتها الألفاظ وفوت بها آثارها، وإنك إذا فرغت من ترتيب المعانى فى نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً فى ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعانى وتابعة لها ولاحقة بها وأن العلم بمواقع المعانى فى النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها فى النطق.

(تعاريف: الكناية، والاستعارة، والتمثيل، ص ٥٢ :

(فصل فى اللفظ يطلق والمراد به غيره ظاهره)

اعلم أن لهذا الضرب اتساعاً وتفنناً لا إلى غاية إلا أنه على اتساعه يدور فى الأمر الأعم على شيئين ـ الكناية والمجاز. والمراد بالكتابة ههنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعانى فلا يذكره باللفظ الموضوع له فى اللغة ولكن يجىء إلى معنى هو تاليه وردفه فى الوجود فيومىء به إليه ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قوله : «هو طويل النجاد» يريدون طويل القامة.

وأما المجاز فقد عول الناس فى حده على حديث النقل وإن كان لفظ نقل عن موضوعه فهو مجاز . والكلام فى ذلك يطول وقد ذكرت ما هو الصحيح من ذلك فى موضع آخر وأنا أقتصر ههنا على ذكر ما هو أشهر منه وأظهر. والاسم والشهرة فيه لشيئين ـ الاستعارة والتمثيل. وإنما يكون التمثيل مجازاً إذا جاء على حد الاستعارة.

فالاستعارة أن تريد تشبيه الشىء بالشىء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجىء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجديه عليه .

وأما التمثيل الذى يكون مجازاً لمجيئك به على حد الاستعارة فمثاله قولك للرجل يتردد فى الشىء بين فعله وتركه : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى. فالأصل فى هذا إدراك فى ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى. ثم اختصر الكلام وجعل كأنه يقدم الرجل ويؤخرها على الحقيقة.

الكناية والمجاز أبلغ من الحقيقة :

قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح . والتعريض أوقع من التصريح. وأن للاستعارة مزية وفضلا. وأن المجاز أبداً أبلغ من ص ٥٦ الحقيقة. إلا أن ذلك وإن كان معلوماً على الجملة فإنه لا تطمئن نفس العاقل فى كل ما يطلب العلم به حتى يبلغ فيه غايته، وحتى يغلغل الفكر إلى زوايا علة أن اللفظ الذى يطلق والمراد به غير ظاهره أبلغ من الكلام المتروك على ظاهره سنراه يقرر أن ليس للاستعارة والتمثيل والكناية مزية البلاغة من حيث هى صورة من صور اللفظ يطلق ويراد به غير ظاهره وإنما فى معانيها التى تحدث بالتأليف والتركيب.

اعلم أن سبيلك أولا أن تعلم أن ليست المزية التى تثبتها لهذه الأجناس

على الكلام المتروك على ظاهرة، والمبالغة التى تدعى لها فى أنفس المعانى التى يقصد المتكلم إليها بخبره، ولكنها فى طريق إثباته وتقريره وإياها. تفسير هذا أن ليس المعنى إذا قلنا «أن الكناية أبلغ من التصريح أنك لما كنيت عن المعنى زدت فى ذاته، بل المعنى أنك زدت فى إثباته فجعلته أبلغ وأكد وأشد. فليست المزية فى قولهم : جم الرماد. أنه دل على قرى أكثر بل إنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ وأوجبته إيجاباً هو أشد وادعيته دعوى أنت بها أنطق وبصحتها أوثق... هذا ما ينبغى للعاقل أن يجعله على ذكر منه أبداً وأن يعلم أن ليس لنا إذا نحن تكلفنا البلاغة والفصاحة مع معانى الكلم المفردة شغل ولا هى منا بسبيل وإنما نعمد إلى الأحكام التى تحدث بالتأليف والتركيب. وإذ قد عرفت مكان هذه المزية والمبالغة التى لا تزال تسمع بها وأنها فى الإثبات دون المثبت فإن لها فى كل واحد من هذه الأجناس سبباً وعلة.

أما الكناية فإن السبب فى أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم، إذا رجع إلى نفسه ـ أن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد فى وجودها، أكد وأبلغ فى الدعوى من أن تجىء إليها فتثبتها هكذا ساذجاً غفلا. وذلك أنك لا تدعى شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف وبحيث لا يشك فيه ولا يظن بالمخبر التجوز والغلط .

وأما الاستعارة فسبب ما ترى لها من المزية والفخامة أنك إذا قلت : رأيت أسداً كنت قد تلطفت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة حتى جعلتها كالشىء الذى يجب له الثبوت والحصول وكالأمر الذى نصب له ودليل يقطع بوجوده.

وذلك أنه إذا كان أسداً فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة، وكالمستحيل أو الممتنع أن يعرى عنها، وإذا صرحت بالتشبيه فقلت : رأيت رجلا كالأسد، كنت قد أثبتها إثبات الشىء يترجح بين أن يكون وبين أن لا يكون . ولم يكن من حديث الوجوب فى شىء.

وحكم التمثيل حكم الاستعارة سواء فإنك إذا قلت : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فأوجبت له الصورة التى يقطع معها بالتحير والتردد كان أبلغ لا محالة من أنه تجرى على الظاهر.

فتقول : قد جعلت تتردد فى أمرك فأنت كمن يقول أخرج ولا أخرج فيقدم رجلا ويؤخر أخرى.

ما النظم ؟

واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التى نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التى رسمت لك فلا تخل بشيء منها وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر فى وجوه كل باب وفروقه ... هذا هو السبيل فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً وخطأه إن كان خطأً إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معانى النحو قد أصيب به موضعه ووضع فى حقه، وأو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه واستعمل فى غير ما ينبغى له فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا رأيت مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل، إلى معانى النحو وأحكامه ووجدته يدخل فى أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه.

مزايا النظم بحسب المعانى والأغراض ولا غاية لها تقف عندها

وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معانى النحو وعلى الوجوه والفروق التى من شأنها أن تكون فيه فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازدياد بعدها ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها فى أنفسها ومن حيث هى على الإطلاق ولكن تعرض بسبب المعانى والأغراض التى يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض، تفسير هذا أنه ليس إذا راقك التنكير فى «سؤدد» من قوله «تنقل فى خلقى سؤدد» وفى «دهر» من قوله «فلو أذنبا دهراً» فإنه يجب أن يروقك أبداً وفى كل شيء ... وإنما سبيل هذه المعانى سبيل الأصباغ التى تعمل منها الصور والنقوش فكلما ترى الرجل تبدى فى الأصباغ التى عمل منها الصورة والنقش فى ثوبه الذى نسج إلى ضرب من التخير والتدبر فى أنفس الأصباغ وفى مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه إياها إلى ما لم يتهد إليه صاحبه فجاء نقشه من أجل ذلك المعجب، وصورته أغرب، كذلك حال الشاعر فى توخيهما معانى النحو، ووجوهه التى علمت أنها محصول النظم .

المنزع النفسانى فى البحث الجمالى، التأمل الباطنى :

وقول الأقيشر فى ابن عم له موسر سأله فمنعه وقال : كم أعطيك مالى

وأنت تنفقه فيما لا يعينك والله لا أعطيك : فتركه حتى اجتمع القوم فى ناديهم وهو فيهم فشكاه إلى القومَ وذمه فوثب إليه ابن عمه فلطمه فأنشأ يقول:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهــه   وليس إلى داعى الندى بسريع
حريص على الدنيا مضيع لدينـه   وليس لما فى بيته بمضـــــيع

فتأمل هذه الأبيات كلها واستقرها واحداً واحداً وانظر إلى موقعها فى نفسك وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها ثم تلبث النفس عما تجد وألطف النظر فيما تحس به ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر وأن تخرجه إلى لفظك وتوقفه فى سمعك فإنك تعلم أن الذى قلت كما قلت وأن رب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد.

التجاوب النفسي بين النصّ والقارىء :

واعلم أن للخبر المعرف بالألف واللام معنى غير ما ذكرت لك وله مسلك ثم دقيق ولمحه كالخلس يكون المتأمل عنده كما يقال يعرف وينكر وذلك قولك : هو البطل المحامى وهو المتقى المرتجى وأنت لا تقصد شيئاً مما تقدم فلست تشير إلى معنى قد علم المخاطب أنه كان ولم يعلم أنه ممن كان ... ولكنك تريد أن تقول لصاحبك : هل سمعت بالبطل المحامى ؟ وهل حصلت معنى هذه الصفة ؟ وكيف ينبغى أن يكون الرجل حتى يستحق أن يقال ذلك له وفيه ؟ فإن كنت قتلته علماً وتصورته حق تصوره فعليك صاحبك واشدد به يدك فهو ضالتك وعنده بغيتك ... ويزداد هذا المعنى ظهوراً بأن تكون الصفة التى تريد الإخبار بها عن المبتدأ مجراه على موصوف كقول ابن الرمى :

هو الرجل المشروك فى جل ماله   ولكنه بالمجد والحمد مفرد

تقديره كأنه يقول للسامع : فكره فى رجل لا يتميز عفاته وجيرانه ومعارفه عنه فى ماله وأخذ ما شاءوا منه، فإذا حصلت صورته فى نفسك فاعلم أنه ذلك الرجل وهذا فنّ عجيب الشأن وله مكان من الفخامة والنبل وهو من سحر البيان الذى تقصر العبارة عن تأدية حقه والمعول فيه على مراجعة النفس واستقصاء التأمل.

الرجل مشغول بتفنيد كل شبهه وإزالتها :

واعلم أنه وإن كانت الصورة فى الذى أعدنا وأبدأنا فيه من أنه لا معنى

للنظم غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم قد بلغت في الوضوح والظهور . والانكشاف إلى أقصى الغايات وإلى أن تكون الزيادة عليه كالتكلف لما لا يحتاج إليه فإن النفس تنازع إلى تتبع كل ضرب من الشبهة يرى أنه يعرض للمسلم نفسه عند اعتراض الشك.

التحدى بوصف معروف :

إنك تتلو قول الله تعالى : ﴿ قلْ لئن اجتمعت الإنسُ والجنُ على أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآن لا يأتون بمثله ﴾ وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ قلْ فأتوا بعشر سور مثله ﴾ وقوله ﴿ بسورة من مثله ﴾ فقولوا الآن أيجوز أن يكـــون تعالى قد أمر نبيهَ ﷺ بأن يتحدى العرب إلى أن يعارضوا القرآن بمثل من غير أن يكونوا قد عرفوا الوصف الذى إذا أتوا بكلام على ذلك الوصف كانوا قد أتوا بمثله؟ ولابد من «لا» لأنهم إن قالوا : يجوز : أبطلوا التحدى من حيث أن التحدى كما لا يخفى مطالبة بأن يأتوا الكلام على وصف، ولا تصح المطالبة بالاتيان على وصف من غير أن يكون لذلك الوصف معلوماً للمطالب ويبطل بذلك دعوى الإعجاز أيضاً ... ثم إن هذا الوصف ينبغي أن يكون وصفاً قد تجدد بالقرآن وأمراً لم يوجد فى غيره ولم يعرف قبل نزوله. وإذا كان كذلك فقد وجب أن يعلم أنه لا يجوز أن يكون فى الكلم المفردة لأن تقدير كونه فيها يؤدى إلى المحال وهو أن تكون الألفاظ المفردة التى هى أوضاع اللغة قد حدث فى حذاقة حروفها وأصدائها، أوصاف لم تكن لتكون تلك الأوصاف فيها قبل نزول القرآن وتكون قد اختصت فى أنفسها بهيئات وصفات يسمعها السامعون عليها إذا كانت متلوة فى القرآن لا يجدون لها تلك الهيئات والصفات خارج القرآن ولا يجوز أن تكون فى معانى الكلم المفردة التى هى لها بوضع اللغة لأنه يؤدى إلى أن يكون قد تجدد فى معنى الحمد والرب ومعنى العالمين والملك واليوم والدين وهكذا وصف لم يكن قبل نزول القرآن . وهذا قالوا كان ههنا شيء أبعد من المحال وأشنع لكان إياه. ولا يجوز أن يكون هذا الوصف فى تركيبه الحركات والكانات حتى كأنهم تحدوا إلى أن يأتوا بكلام تكون كلماته على تواليها فى زنة كلمات القرآن وحتى كأن الذى بان به القرآن من الوصف، وفى سبيل بينونة بحور الشعر بعضها من بعض، لأنه يخرج إلى ما تعاطاه مسيلمة من الحماقة فى :

إنا أعطيناك الجماهر، فصلِّ لربِّك وجاهر، والطاحنات طحنا.،

وكذلك الحكم إنْ زعم زاعم أن الوصف الذى تحدوا إليه هو أن يأتوا بكلام ويجعلون له مقاطع وفواصل كالذى تراه فى القرآن لأنه أيضاً ليس بأثر من التعويل على مراعاة وزن، وإنما الفواصل فى الآى كالقوافى فى الشعر وقد علمنا اقتدارهم على القوافى كيف هو لو لم يكن التحدى إلا إلى فصول الكلام يكون لها أواخر أشباه القوافى لم يعوزهم ذلك ولم يتعذر عليهم .

ثم إن هذه الشناعات التى تقدم ذكرها تلزم أصحاب المعرفة أيضاً ذلك أنه لو لم يكن عجزهم عن معارضة القرآن وعن أن يأتوا بمثله لأنه معجز فى نفسه، لكنه إن أدخل عليهم العجز عنه، وصرفت هممهم وخواطرهم عن تأليف كلام مثله، وكان حالهم على الجملة حال من أعدهم العلم بشىء قد كان يعلمه وحيل بينه وبين أمر قد كان يتسع له لكان ينبغى أن لا يتعاظمهم ولا يكون منهم ما يدل على إكبارهم أمرهم، وتعجبهم منه وعلى أنه قد بهرهم وعظم كل العظم عندهم ولكان التعجب الذى دخل من العجز عليهم، ولما رأوه من تغير حالهم ومن أن حيل بينهم وبين شىء قد كان عليهم سهلا، وأن شد دونه باب كان لهم مفتوحاً.

إعجاز القرآن فى النظم ص ٤٠٤ :

فإذا ثبت الآن أن لا شك ولا مزية فى أن ليس النظم شيئاً غير توخى معانى النحو وأحكامه فيما بين معانى الكلم، ثبت من ذلك أن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن إذا هو لم يطلبه فى معانى النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه، ولم يعلم أنها معدنه ومعانيه وموضعه، ومكانه وأنه لا يستنبط له سواها، وأن لا وجه لطلبه فيما عداها، غار نفسه بالكاذب من الطمع ومسلم لها إلى الخدع) .

يبين أن المزية فى النظم وأن المقاييس الأدبية رجراجة مائعة لا يمكن ضبطها ومن هنا صعوبة إقناع من لم يوهب ملكة الإحساس الفنى:

اعلم أنك لن ترى عجباً من الذى عليه الناس فى أمر النظم، وذلك أنه ما من أحد له أدنى معرفة إلا وهو يعلم أن ههنا نظماً أحسن من نظم ثم تراهم إذا أنت أردت أن تبصرهم ذلك تسدر أعينهم وتضل عنهم أنها مهم وسبب ذلك أنهم أول شىء عدموا العلم به نفسه من حيث حسبوه شيئاً غير توخى معانى النحو أو جعلوه يكون فى الألفاظ دون المعانى، فاذ أنت تلقى

الجهد حتى تميلهم عن رأيهم لأنك تعالج مرضاً مزمناً وداء متمكناً، ثم إذا أنت قدتهم بالخزائم إلى الاعتراف بأن لا معنى له غير توخى معانى النحو عرض لهم من بعد خاطر يدهشهم، حتى يكادوا يعودون إلى رأس أمرهم، وذلك أنهم يروننا ندعى المزية والحسن لنظم كلام من غير أن يكون فيه من معانى النحو شيء يتصور أن يتفاضل الناس فى العلم به، ويروننا لا نستطيع أن تضع اليد من معانى النحو ووجوهه على شيء نزعم أن من شأن هذا أن يوجب المزية لكل كلام يكون فيه بل يروننا ندعى المزية لكل ما ندعيها له من معانى النحو ووجوهه وفروقه فى موضع دون موضع وفى كلام دون كلام وفى الأقل دون الأثر وفى الواحد من الألف فإذا رأوا الأمر كذلك دخلتهم الشبهة وقالوا كيف يصير المعروف مجهولا، ومن أين يتصور أن يكون للشيء فى كلام مزية عليه فى كلام آخر بعد أن تكون حقيقته فيهما حقيقة واحدة ؟ فإذا رأوا التنكير يكون فيما لا يحصى من المواضع ثم لا يقتضى فضلا، ولا يوجب مزية، اتهمونا فى دعوانا ما ادعيناه التنكير الحياة فى قوله تعالى : ﴿ولكم فى القصاص حياة﴾ من أن له حسناً ومزية، وأن فيه بلاغة عجيبة، وظنوه وهماً منا وتخيلا، ولسنا نستطيع فى كشف الشبهة في هذا عنهم، وتصوير الذى هو الحق عندهم، ما استطعناه فى نفس النظم، لأنا ملكنا فى ذلك أن نضطرهم إلى أن يعملوا صحة ما تقول وليس الأمر فى هذا كذلك، فليس الداء منه بالهين ولا هو بحيث إذا رمت العلاج منه وجدت الإمكان فيه مع كل أحد مسعفاً والسعى منجحاً، لأن المزايا التى تحتاج أن تعلمهم مكانها وتصور لهم شأنها أمور خفية ومعان روحانية أنت لا تستطيع أن تنبه السامع لها وتحدث علماً بها، حتى يكون مهيئاً لإدراكها وتكون فيه طبيعة قابلة لها ويكون له ذوق وقريحة يجد لها فى نفس إحساساً بأن من شأن هذه الوجوه والفروق أن تعرض فيها المزية على الجملة وممن إذا تصفح الكلام وتدبر الشعر فرق بين موقع شيء منها وشيء

الإحساس الفني قليل :

إن هذا الإحساس قليل فى الناس حتى أنه ليكون أن يقع للرجل الشيء من هذه الفروق والوجوه فى شعر بقوله أو رسالة يكتبها الموقع الحسن ثم لا يعلم أنه قد أحسن فأما الجهل بمكان الإساءة فلا تعدمه فلست تملك إذا من أمرك شيئاً حتى تظفر بمن له طبع إذا قدحته ورى، وقلب إذا أريته رأى.

في العلوم المقننة المضبوطة يصعب رد المخطىء فما بالك برد المخطىء عما لا يضبطه سوى الأريحية الفنية .

وإذا كانت العلوم التي لها أصول معروفة وقوانين مضبوطة، قد اشترك الناس في العلم بها، واتفقوا على أن البناء عليها، إذا أخطأ فيه المخطىء ثم أعجب برأيه لم يستطع رده عن هواه، وصرفه عن الرأى الذى رآه إلا بعد الجهد وإلا بعد أن يكون حصيفاً عاقلا ثبتاً إذا نبه انتبه، وإذا قيل إن عليك بقية من النظر وقف وأصغى وخشى أن يكون قد غر فاحتاط باستماع ما يقال له، وأنف من أن يلج من غير بينه، ويستطيل بغير حجة وكان من هذا وصفه بغر ويقل، فكيف بأن ترد الناس عن رأيهم فى هذا الشأن وأصلك الذى تردهم إليه، ويقول في مجاجتهم عليه استشهاد القرائح وسبر النفوس وقليها وما يعرض فيها من الأريحية عندما تسمع ...

... ولم يكن الأمر على هذه الجملة إلا لأنه ليس فى أصناف العلوم الخفية والأمور الغامضة الدقيقة أعجب طريقاً فى الخفاء من هذا وأنك لتتبع فى الشيء نفسك وتكد فيه فكرك وتجهد فيه كل جهدك، حتى إذا قلت قد قتلته علماً وأحكمته فهماً، كنت الذى لا يزال يتراءى لك فيه شبهه ويعرض فيه شك كما قال أبو نواس :

ألا لا أرى مثل امترائى فى رسم   تفضى به عينى ويلفظـــه وهمى
أتت صـــــور الأشياء بينى وبينه   فظنى كلا ظن وعلمى كلا علم

وإنك لتنظر فى البيت دهراً طويلا وتفسره ولا ترى أن فيه شيئاً لم تعلمه ثم يبدو لك فيه أمر خفى لم تكن قد علمته.

المنتخب من كتاب الأدباء وإشارات البلغاء

للقاضى أبى العباس أحمد بن محمد الجرجانى الثقفى المتوفى سنة ٢٨٤هـ

عنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعمانى الحلبى

الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٨م

طبع بمطبعة السعادة

يفتتح أبو العباس الجرجانى فى كتابه بما نصه :

ص ٢ : بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه نتوكل ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حمداً لك اللهم أن جعلت اللغة العربية أحسن اللغات وأفصحها وعباراتها أولى العبارات على المقصود وأوضحها . وأنزلت بها القرآن العربى. والمعجز النبوى الأحمدى. فحتم على المسلمين اقتفاء كلام العرب. واستقراء أندية الأدب.

ليتدرجوا المعرفة إعجاز القرآن . واستخراج ما أودع من سر البيان . والاطلاع على حقائق ألفاظه ومعانيه. والإشراف على ما كلفوا به من أوامر الشرع ونواهيه.

يتوصلوا به للخلاص من رق الجهالة . والفكاك من أسر الردى والضلال. والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح من نطق بالضاد والمختص بالرسالة. الذى قد أنقذتنا بنور هدايته من ظلمات الغواية والضلالة. وعلى أهله نجوم الاهتداء وأصحابه مصابيح الاقتداء. ما لمع بارق. وذر شارق . وما نص خطيب. وما تحرك فنن رطيب. (أما بعد) فإن لهذه اللغة من الفضيلة ما أشرت إليه ومن المزية ما نبهت عليه ولو لم يكن لها ذلك لكان فى اختصاصها من سائر اللغات وتفردها عن سواها من العبارات بما تحويه من رشاقة ألفاظها وسلاستها وعذوبتها وما تشتمل عليه من الحقيقة والمجاز، والبسط والإيجاز. والاقتصار فيها على اللمحة والاستغناء منها باللمعة. والاكتفاء بالإشارة عن العبارة. وعن التصريح بالكناية وعن الحقيقة بالاستعارة. والفرق منها بين التذكير والتأنيث فى الخطاب والفصل بينهما فى تصاريف وجوه الإعراب. إلى غير ذلك من معان هى عليها مقصورة. وفيما عداها من اللغات منقودة.

ما يبعث كل ذى همة أبية ونفس علية. على سلوك منهاجها، والتخرق فى فجاجها والتأدب بآداباها، والتعلق. وأحكام أصولها وإتقان فروعها. ولم أزل فى العنفوان وإلى حيث انتهى العمر والزمان . مشغوفاً بكتابات الأدباء. مفتوناً بإشارات البلغاء أعقل ضوالها. وأضم شواردها . وأقيد أوابدها. وأنظم فوائدها . حتى عثرت على الجم من الكنايات الفائقة والإشارات الرائقة والنوادر البديعة . والرموز المليحة. والمعانى المبتكرة، والكتب المحررة والألفاظ المحبرة. وعلى ما يليق بها من الحكايات الأنيقة والأشعار الحسنة الرقيقة، مما يملك السمع والبصر إعجابه. ويرتفع عن القلب للإصغاء حجابه، ويغنى عن زهر الرياض حسنه . وعن فتق المسك نشره، فمن تأمله ازداد حرصاً على تأمله. وتصفحه مستعيداً ما يستحيله من فوائده، ومما يبعث على الشغف به أنه من التصانيف مبتكر ومخترع. وطريقة لم أسبق إليها، ولم أزاحم من قبلى عليها. وهى عذراء بكر، لم يفترعها فكر، وها أنا أبتدىء الكتاب المذكور بذكر شىء من فوائده، ونبذ من مقاصده ليكون عنواناً ينبىء عما فى ضمنه، ورائد لمن رام أن يطلع قبل تصفحه على حسنه. ... فمن فوائده التحرز عن ذكر الفواحش السخيفة بالكنايات اللطيفة. وإبدال ما يفحش ذكره فى الأسماع. بما لا تنبو عنه الطباع. قال تعالى ﴿ وإذا مرّوا باللغو مرّوا كرامًا﴾ أى كنوا عن لفظه ولم يوردوه فإنهم أكرموا أنفسهم عن التلفّظ به كما روى عن بنت أعرابى صرخت صرخة عظيمة فقال لها أبوها مالك قالت لدغنى عقرب قال لها أين قالت فى الموضع الذى لا يضع فيه الراقى أنفه وكانت اللدغة فى أحد سوأتيها فتنزهت بذكرها عن لفظها.

(٢) ومنها ترك اللفظ المتطير من ذكره إلى ما هو أجمل منه كقولهم لعق فلان أصبعه. واستوفى أكله. ولحق باللطيف الخبير. يكتنون به عن الموت فعدلوا إلى هذه الألفاظ تطيرا من ذكره بلفظه... وكقولهم للمهلكة مفازة تفاؤلا بذكرها.

(٣) ومنها الكناية عن الصناعة الخسيسة بذكر منافعها كما قيل للحائك وما صناعتك قال زينة الأحياء وجهاز الموتى وكما قال ابن الباقلانى :

أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره   وإن نزلت يوماً فسوف تعـود
ترى الناس أفواجاً إلى ضوء نـاره   فمنهـــم قيام حولها قعود

(٤) ومنها القصد إلى الذم بلفظ ظاهرة المدح كقول العرب أرانيه الله أغرّ

محجلا أى مقيداً فظاهر اللفظ المدح وباطنه الذم.
(٥) ومنها الأمور الجارية بين البلغاء والأدباء.

ص ٤ : ومداعباتهم بمعاريض لا يفطن لها إلا البلغاء كمان فى الروضة عن المبرد أنه حكى أن رجلا من تميم قال لشريك النميرى ما فى هذه الجوارح أحب إليك من البازى قال نعم إذا كان يصيد القطا وكل منهما قصد مقصداً فهمه الآخر.

(٦) ومنها التوسع فى اللغات والتفنن فى الألفاظ والعبارات فأنا إذا كنينا عن الملول بقوم موسى وعن الشفيع المقبول بالشفيع العريان وعن المشهور أمره بقائد الجمل وعن الشيخ بقائد العنز وعن جامع كل شيء بسفينة نوح وعن الكثير السفر بخليفة الخضر وعن الكذاب بالفاختة وعن النمام بالزجاجة اتسعت عبارة المتكلم بها وكثرت ألفاظه إلى غير ذلك واعلم أن الأصل فى الكنايات عبارة الإنسان عن الأفعال التى تستر عن العيون عادة من نحو قضاء الحاجة والجماع بألفاظ تدل عليها غير موضوعة لها تنزهاً عن إيرادها على جهتها وتحرز عما وضع لأجلها إذ الحاجة إلى ستر أقوالها كالحاجة إلى ستر أفعالها فالكتابة عنها حوز لمعانيها قال تعالى : ﴿ ولكن لا تواعدوهن سراً ﴾ فكني عن الجماع بالسر لأنه يكون بين الآدميين على السر غالباً وما عدا الآدميين لا يسره إلا الغراب فإنه يسره قال أبو الطيب :

ستر الندا ستر الغراب سفاده فبدى وهل يخفى الرباب الهاطل

وحكى أن الريان الوزير أسرَّ إلى أبى على الحاتمي كلاماً فقال : ليكن عندك أخفى من سفاد الغراب ومن الراء فى كلام الألثغ فقال نعم يا سيدنا ومن ليلة القدر. وقد علم كل ذى خير صحيح ولب صريح أن القائل :

إذا شــــربت ثلاثا وحـــان وقت مقيـــلى
جعلت أصبع بطنى فى عـين ظهـر خليلى

وإن كان قد أسخن عينه ما ذكره بهذه الكناية الشفيعة فهى أقل شفاعة وبشاعة من قول والبه بن الحباب حيث يقول :

وقـل لساقينا على خلوة ادن كـذا رأسك من راســى
ونم على وجهك لى سـاعة إنى امرؤ أنكح جلاسى

من أجل أن والبه صرح به وتلفظ باللفظ الموضوع له فكان هذا سبباً لتنفير الناس منه وتزهيدهم فى معاشرته مع غزارة علمه ووفرة أدبه ... وحكى إسحق الموصلى قال : قال المهدى :

ص ٥ : لعمارة بن حمزة من أرق الناس شعراً ؟ قال والبه حيث يقول:

ولها ولا ذنـــب لها   حـب كأطراف الرماح

فى القلب تجرح دائباً   فالقلب مجروح النواحى

قال صدقت والله ، قال : قلت فما منعك عن منادمته وهو عربى صرف قال يمنعنى قوله ـ وقل لساقينا ـ البيتين . أفتريد أن أكون من جلاسه على هذه الشريطة فقلت لا . انتهى .

وهذه مقدمة كافية وبلغة شافية فى الاستدلال من عنوان هذا الكتاب على ما فيه والاطلاع من فاتحته على مطاويه وأنا أبين مع ذلك عدة أبواب وأبينها فى أولها زيادة فى بيانه فمبلغ أبوابه أربعة وعشرون باباً .

الأول : فى الكتابات الواردة فى القرآن والآثار
الثانى : فى الكتابة عن الزنا وما يتعلق به
الثالث : فى الكناية عن الجماع والآلة وقوتها وضعفها
الرابع : فى الكناية عن الصفات كالثيوبة والبكارة
الخامس : فى الكناية عن إتيان النساء فى المواضع المنهى عنها
السادس : فى الكناية عن الإجارة واللواطة
السابع : فى الكناية عن التفخيذ والجلد والسحق
الثامن : فى الكناية عن البغاء والأبنة
التاسع : فى الكناية عن قلة غيرة الأزواج
العاشر : فى الكناية عن القيادة
الحادى عشر : فى الكناية عما ينقض الوضوء كريح
الثانى عشر : فى أنواع من الكنايات
الثالث عشر : فى العدول عن الألفاظ المتطيرة بها
الرابع عشر : فى التخلص من الكذب بالتورية
الخامس عشر : فى الكناية عن الصنعة الخسيسة

السادس عشر : فى وصف الأشياء بغير صفاتها

السابع عشر : فى تأدية المعانى إلى المخاطب بما يخفى على الحاضر

الثامن عشر : فى ألفاظ باطنها خلاف ظاهرها

التاسع عشر : فى الرموز الجارية بين الأدباء فى المداعبات

العشرون : فى المسمى والمكنى

الحادى والعشرون : فى الكناية عن الأطعمة والمأكولات

الثاني والعشرون : فيمن تمثل بشعر كناية عن أمر

الثالث والعشرون : فى كنايات مختلفة وفنون متفرقة

الرابع والعشرون : فى ألفاظ متخيرة تجرى مجرى الكنايات

ص ٦ : باب الكنايات الوارد فى القرآن والآثار

قال الله تعالى في صفة المسيح عليه السلام : ﴿ ما المسيحُ ابنُ مريمَ إلا رسولٌ قد خلَتْ من قبله الرسُلُ وأمه صدِّيقة كانا يأكلان الطعام ﴾ فكنى بأكل الطعام عن الغائط والبول لأنها بسببَ منه إذ لابد للآكل منهما والعرب تسمى الشيء إذا كان منه بسبب فتسمى النبت الندى لأنه به يكون وتسمى الشحم الندى لأنه من الكلأ قال الشاعر :

كنور الفرات الفرد يضربه الندى تعلى الندى فى متنه وتحدرا

وفى قوله تعالى : ﴿ وقالوا لجلودهم لِمَ شَهِدتُّمْ علَينَا ﴾ أى لفروجهم فكنى عنها بالجلود على ما ذكره أهل التفسير) ...

وقال تعالى فى آية الصداق : ﴿ وكيفَ تأخُذونَه وقد أفضى بعضكم إلى بعض ﴾ فكنى بالإفضاء عن الدخول وقيل عن الخلوة والأول أصح لأن العرب إنما تكنى عما يقبح ذكره فى اللفظ ولا يقبح ذكر الخلوة.

وورد عنه ﷺ أنه قال من كشف قناع امرأة وجب لها المهر يكنى عن الدخول بكشف القناع لأنه يكشف فى تلك الحالة غالباً والعرب تقول فى عفة الإنسان ما وضعت مومسة عنده قناعاً ... وروى أن رجلا قال للشعبى ما تقول فيمن قبل أم امرأته فقال أعن صبوح ترقق، حرمت عليه امرأته وأراد عن فجور

تكنى فكان السؤال كناية وجواب الشعبى إشارة تحسيناً للفظ والأصل فى .ص ٧ : قول أعن صبوح ترقق ما حكاه المفضل قال نزل رجل بقوم فأضافوه وأغبقوه فلما فرغ قال إذا أصبحتمونى غداً فكيف أخذ فى حاجتى فقيل له أعن صبوح ترقق هو الغذاء وإنما أراد الضيف بقوله هذا أن يوجب عليهم الصبوح فصار ذلك مثلا لكل من كنى عن شيء وهو يريد غيره ...

ويكنى عن النساء باللباس كما فى الآية لما فيه من الملابسة وهو الجماع والاختلاط أنشد ابن عرفة للجعدى :

إذا ما الضجيع ثنى عطفة تثنت وكانت عليه لباسا

وبالحرث أيضاً كما فى الآية وكما فى قوله :

إذا أكل الجراد حروث قوم فحرثى همه أكل الجراد

وبالقوارير كما روى أنه مرَّ عليه السلام بأنجشه وهو يحدو بنساء العرب وكان حسن الصوت فقال يا أنجشة رفقاً بالقوارير قال ابن دريد أى لا تحسن صوتك فإن النساء قلوبهن فى رقة القوارير ... ويكنى عنهن بالريحان قال ابن قيس الرقيات:

لا أشم الريحان ألا بعينى

أى أقنع من النساء بالنظر اليهن .... ويكنى أيضاً بالسرحة قال حميد بن ثور :

أبى الله إلا أن ســــرحة مالك على كل أفنان العضاه تــــروق
فياطيب رياها برد خـــــلالها إذا حان من حامى النهـــار رديق
وهل أنا أن عللت نفسى بســرحة من السرح سدود على طـــريق

وروى عنه ﷺ أنه قال لخوات بن حبير الأنصارى رضى الله تعالى عنه وهو صاحب ذات النحيين وقصته معروفة ما فعل بعيرك أيشرد عليك اليوم فقال أما منذ قيده الإسلام فلا يا رسول الله.

ص ٨ : قال القاضى أبو العباس الجرجانى قرأت فى أمالى أبى على الحاتمى اللغوى ...

ص ٩ : باب الكناية عن الزنا وما يتعلق به .

ص ١١ : ويكنى عن العفة بالإزار وأنشدوا بيت عدى

أجل أن الله قد فضلكم   فوق من حكاء صلباً بإزار

شاهد على هذه الكناية بأن ـ الصلب ـ الخشب ـ والإزار ـ العفاف وقيل الإزار ـ كناية عن الفرج يقال عفيف الإزار عفيف الفرج والصحيح أن بيت عدى على الصريح ليس على الكناية ومعنى البيت أن الله قد فضلك على كل امرأة وحكاء بالهمزة والصلب والإزار على لفظهما الصريح.

ولم أسمع فى الكناية أبلغ من قول ابن ميادة :

وما نلت منها محرماً غير أننى   أقبل بساماً من الثغر أفلجا

وألثم فاها تارة بعد تارة وأترك   حاجات النفوس تحرجـــا

ونظير هذا أقول ابن المعتز :

ص ١٢ : فكان ما كان مما لست أذكره   نظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

من حيث أنه كنى عن الفعل بترك ذكره ونبه عليه لأن الحال تحتمل.

.... وتقول العامة فى الكناية عن ذلك (أى عن المرأة الفاسدة) فلان يستفرج فى برجه أى فاسد النساء قال ابن الرومى :

أنت يا شيخ نائم فتنبه   وانتصحنى فلست من غشاشك

ص ١٣ : لك أنثى تزيف فى كل برج   وتربى الفراخ فى أعشاشك

ص ١٤ : وأهل المدينة يكنون عن اللقيط بالفرخ.

ص ١٥ : وكان بعض الأدباء يكنى عن الدعى بالقدح الفرد إشارة إلى قول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

وأنت دعى ينط فى آل هاشم   كما ينط خلف الراكب القدح الفرد

وما أملح ما عرض القائل بهذا البيت حيث قال :

أراك تظهر لى وداً وتكرمه   وتستطير إذا أبصرتنى فرحاً

وتستحل دمى إن قلت من طرب   يا ساقى القومى بالله اسقنى قدحاً

يقول إذا استدعيت القدح خيل إليه أنى عرضت بهذا إلى أنه دعى فى بنى هاشم ويقال له أيضاً المنترط والملصق إشارة إلى قول أبى نواس :

أيها المدعى سليماً سفاهاً   لســـــت منها ولا قلامة ظفر

إنما أنت ملصق مثل واد   ألصقت فى الهجاء ظلماً بعمرو

ويكنون عن الدعى بأكارع الأديم قال الفرزدق :

وأنت زنيم فى كليب زيادة   كما زيد فى عرض الأديم الأكارع

ص ١٦ : الباب الثالث فى الكناية عن الجماع وعن قوة الآلة وضعفها.

... وفى كتاب بهجة المستفيد عن أبى الفتح النحوى قال ...

ص ١٧ : وأهل بغداد يقولون : كلم فلان زوجته كناية عن الدخول بها ...

ص ١٨ : وتكنى العامة عن الفعل فتقول أصلح لها وسوى لها واغمد فيها ... والبغداديون يقولون فى الكناية عن ذلك يحرك سريرها ....

... وتقول العامة يندفه ويحلجه .

ص ٢٠ : ويقولون كان أرضاً أو سقفاً إشارة إلى قول أبى نواس :

إذا مضى من رمضان النصف   تشوق العزف لنا والقصف

وأصلح الناى ورم الدف   واختلفت بين النواة الصحف

لوعد يوم ليس فيه خلف   فبعضنا أرض وبعض سقف

ص ٢١ : وتقول العامة فى ضد ذلك هو سكين المطبخ أى لا يرد أحداً لقوته لأن سكين المطبخ يقطع بها كل شيء.

ص ٢١ : الباب الرابع فى الكناية عن الصفات كالثيوبة والبكارة.

... ص ٢٥ : ويستحسن قول عباس الأحنف فى الاستدلال على باطن الكتاب بالعنوان وإن لم يكن من الكنايات وجدته فى التشبيهات لابن أبى عون منسوباً إلى أبى نواس :

لا جزى الله دمع عينى خيراً   وجزى الله كل خير لسانى

ثم دمعى فليس يكتم شيئاً   ورأيت الفؤاد ذا كتمان

كنت مثل الكتاب أخفاه طى   فاستدلوا عليه بالعنوان

ص ٢٥ : الباب الخامس فى الكناية عن إتيان المرأة فى الموضع المكروه

ص ٢٧ : والعامة فى زماننا يقولون لمن يأتى امرأته فى الموضع المكروه يصعد الجبل

ص ٢٧ : الباب السادس فى الكناية عن الإجارة واللواط

ص ٢٨ : هذه الأبيات لأبى المهند ذكرها ابن قتيبة فى عيون الأخبار ونسبها أبو حيان للجاحظ فى رسالته التى عملها بقرطبة.

... ص ٢٩ : وأنشد المبرد فى كتاب الروضة لخلف الأحمر يهجو رجلا باللواط ...

ص ٣٣ : الباب السابع فى الكناية عن التفخيذ والجلد والسحق.

... ص ٣٤ : وقرأت فى كتاب الجوارى للجاحظ أن ...

ص ٣٥ : الباب الثامن فى الكناية عن البغاء والأبنة

.... أنشدها أبو طاهر الشيرازى فى كناية الموسوم بجمال الأدب وهى ...

... ص ٣٦ : أنشأ الجاحظ فى البيان والتبيين....

.... ص ٣٧ : وفى كتاب البصائر لأبى حيان أن المتوكل قال ....

ص ٣٩ : الباب التاسع فى الكناية عن قلة غيرة الأزواج

.... ص ٤٠ : والعامة يقولون فى هذا المعنى هو الحائط القصير يعنون به القرنان ...

ص ٤١ : الباب العاشر فى الكناية عن القيادة

... والعامة تسميه المنزل لا خلانه وينشدون قول سعيد بن وهبة :

قالوا ابن عثمة قواد فقلت لهم   لا تفعلوا ما أبو حفص بقواد

لكنه رجل يكـــــــريك منزله   بدرهمين وما يبغى من الـزاد

ص ٤٤ : الباب الحادى عشر فى الكناية عن الحدث وغيره.

... ص ٤٦ : وفى كتاب الذخائر لأبى حيان التوحيدى قال ...

ص ٤٧ : الباب الثانى عشر فى أنواع كنايات لائقة بما تقدم

تقول العامة فى الكناية عن جارية الإنسان هى مكنوة نومه. وعن السرائر بغلاف القمر وهو يكنية السحاقات ...

..... والقحاب تكنى عن شهر رمضان بشهر الكساء

ص ٤٨ : الباب الثالث عشر فى العدول عن الألفاظ المتطير بها لغيرها

من ذلك قولهم لحق فلان باللطيف الخبير يكنون به عن الموت

ص ٥٣ : وأنشد الجاحظ فى البيان والتبيين لبعضهم ...

.... ومما يتفاءل بذكره قولهم مفازة لأن المفاز فى ركوبها الهلاك فكان حقها أن تسمى مهلكة ولكنهم أحسنوا لفظها تطيراً بها وعكسوه تفاؤلا ولبعض المحدثين :

أحب الفأل حين رأى كثيراً أبوه عن اقتناء المجد عاجز

فسـمـاه لقلته كثيراً كتلقيب المهالك بالمفـاوز

وقال بعض أهل اللغة ـ المفازة ـ مفعلة من فوز الرجل إذا هلك فعلى هذا تكون الكلمة على أصلها غير معدول بها إلى غيرها...

... ومن الكنايات بالعكس قولهم للسوداء البيضاء وللأبيض أبو الجون وللأقرع أبو الجعد وللغراب أعور لحدة بصره ... وقال ابن الأعرابى سمى أعور لأنه يغض احدى. ص ٥٤ : عينيه ويقتصر على إحداهما القرة نظرة فعلى هذا لا تكون الكلمة من الكنايات بسبيل... وللعامة كنايات معلومة منها قولهم للأقرع ذؤابه تنجر ... ومنها قولهم ما بينهما إلا طراز الكمين وما بينهما إلا عين الميزان فى الكناية عن المتفاوتين تفاوتاً بعيداً ...

ص ٥٤ : الباب الرابع عشر فى التخلص من الكذب بالتورية عنه

قال النبى ﷺ إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب ـ والمعاريض ـ من الكلام يشبه بعضه بعضاً يقال عرض بالكلام إذا لم يفصح ... وذلك مثل ما روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال أن الله قتل عثمان وأنا معه وأراد وسيقتلنى ومعه وإنما أراد بذلك تسكين الفتنة.

ص ٥٥ : ومرض زياد فدخل عليه شريح فلما خرج بعث إليه سروق يقول : كيف تركت الأمير فقال تركته يأمر وينهى فقال إن شريحاً صاحب عويص فاسألوه فقال تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء.

ص ٥٦ : الباب الخامس عشر :

فى الكناية عن الصنعة الخسيسة بذكر بعض منافعها

قرأت فى بعض كتب الأدب أن الحجاج خرج ذات ليلة فظفر برجلين فقال لهما من أنتما فقال أحداهما أنا الشريف ابن الشريف وقال الآخر أنا

الكريم ابن الكريم فقال لكل منهما أبن لى عن حسبك كيما أعرف نسبك فقال الأول :

أنا ابن الذى لا تنزل الدهر قدره وإن نزلت يوماً فسوف تعود
ترى الناس أفواجاً إلى ضـوء ناره فمنهم قيام حولها وقعـود

وقال الآخر :

إن أبى مات غير مفتقـد برحمـة الله أيما رجـل
له رقاب الأنام خاضعـة ما بين حاف وبين منتعـل
يأخذ من مالها ومن دمها لم يمس من ثائر على وجل

فقالوا خلوا سبيلهما لأدبهما لا لحسبهما وكان الأول ابن باقلانى والثانى ابن حجام والصحيح أن القطعة لعتبه الأعور يهجو بها إبراهيم بن سيابة وكان أبوه حجاماً

ص ٥٨ : الباب السادس عشر

فى وصف الأشياء بغير صفتها بوقة العبارة وقلب المعانى عن صيغتها .

ص ٥٨ ... وابن الرومى فى قدرته على الكلام وتمكنه من التصرف فى شعره يصف الأباء بصفتها ويحليها بغير حلاها فقال يمدح الموت وخالف الناس :

وروى أيضاً يذم الود على تفضيل الناس له :

وقائل لم هجوت الود متعمداً فقلت من بغضه عندى ومن سخطه
كأنه سرم بغل حين يفتحه عند البراز وباقى الروث فى وسـطه

ص ٦٢ : وأنشد السرى الرفاء فى كتاب المحب والمحبوب لبعضهم ...

ص ٦٣ : الباب السابع عشر

فى تأدية المعانى إلى المخاطب بما يخفى على الحاضر

... ومن ص ٦٤ ذلك ما روى أن جميلا قال لكثير لو صرت إلى بثينة فأخذت لى منها موعداً فقال أن حاشية عمها لكثيرة فقال إن الحيلة تأتى من وراء ذلك فأطرق كثير ثم قال له أفعل: متى كان آخر عهدك بها قال يوم كذا قال فى أى موضع قال فى وادى الدوم وأصاب ثوبها شيء فغسلته قال فأتى الحى فجعل يتحدث إليهم حتى أتى عمها فحادثه وقال

أسمعك أبياتاً فى عرة حضرتنى قال هاتها فأعلى إنشاده لتسمع بثينة وقال :

بأن تجعلى بينى وبينك موعداً   وأن تأمـــــرينى ما الذى فيه أفعل

أما تذكرينى العهد يوم لقيتكم   بأسفل وادى الدوم والثوب يغسل

فعلمت أنه إياها يقصد بالعلامة فصاحت إخسأ فصاح عمها ما أخسأت قالت كلبا كان يعترينا ليلا ثم رأيته الساعة فرجع كثير إلى جميل وقال له ائتها الليلة فإنها قد ذكرت الليل.

... وفى كتاب الملاحن عن أبى القاسم التنوخى عن ابن دريد...

... ص ٦٥ وذكر أبو الفرج الأصبهانى فى كتاب الأغانى ...

ص ٦٧ **الباب الثامن عشر**

فى ايراد ألفاظ فى باطنها بخلاف ظاهرها

قد يدل اللفظ على المدح بظاهره هوعلى الذم بباطنه والضد من ذلك فيدل على القبيح فى الظاهر وغير قبيح عند البيان وقد يكون الكلام موحا محتملا للذم والمدح عند البيان فما يراد به الذم وظاهره المدح قولهم أرانبه الله أغر محجلا أى محلوق الرأس مقيداً والحجل عندهم الخلخال والحجل القيد أيضاً لأنه فى موضع الخلخال والمعروف فى الفرة والتحجيل إذا استعملا فى الإنسان بهما الشهرة والنباهة كشهرة الأغر المحجل من الخيل.

... وأمنا ما حكاه ابن الأعرابى فى نوادره قال ...

ويقولون فى المعنى فى كناية المذموم باللفظ بالجميل فلان صافى العيش حلو الكلام ويكنون به عن الجاهل إشارة لقول المتنبى.

تصفو الحياة لجاهل أو غافل   عما مضى منها وما يتوقع

ص ٦٨ : وسمعت البغداديين يقولون إذا تناغلوا على إنسان سترك الله بستره أى رمى عليك حائطاً يسترك.

... ومن الكلام الذى ظاهره قبيح وباطنه بخلافه قول العرب ممن يظلل أير أبيه ينتطق به فإن اللفظ شنيع وهو كناية عن كثرة الأخوان تمثل به على بن أبى طالب رضى الله . ص ٦٩ : والمراد به من كثرت إخوانه اشتد ظهره بهم كالمنطقة تشد الظهر قال النابغة الذبيانى :

فلو شاء ربى كان أير أبيكم   طويلا كأير الحارث بن سدوس

وكان للحارث بن سدس واحد وعشرون ذكراً.

... وتقول العامة من كثرت بنادقة رمى طير الماء

... ص ٧٠ : وتقول العامة فى الكناية عن الشمس خزية السحر

وعن الكلام الموجه المحتمل للمدح والذم...

ص ٧١ : قول المتنبى فى مدح كافور :

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران

فإنه يحتمل المدح ويحتمل الهجاء بأن يكون معناه أنت ساقط دنى والساقط لا يعاديه إلا مثله فإذا كان معاديك مثلك فهو مذموم بكل لسان كما أنك كذلك ولو عاداك الشمس والقمر لسقطا بمساجلتهما إياك يدل عليه قوله بعده :

ولله سر فى علاك وإنما كلام العدا ضرب من الهذيان

فإنه فى الهجاء أظهر بأن يكون مراده فى بلوغك هذه المنزلة التى لا تستحقها ولا تستوجبها سر لله تعالى غير مطلع عليه أحداً وبه وجه فى المدح بأن يكون مراده أن الله تعالى ما بلغك هذه المنزل إلا وأنت تستحقها فيما بينك وبينه.

ص ٧١ : **الباب التاسع عشر**

فى رموز جارية بين الأدباء ومداعباتهم بمعاريض لا يفطـن لها غير البلغاء ..

قال القاضى أبو العباس هذا باب جم الفوائد كثير النوادر يتضمن أنواعاً من الملح وأصنافاً من الظرف ...

ص ٧٢ : وحكى المبرد فى الكامل أن رجلا من تميم قال لشريك النميرى ما فى هذه الجوارح أحب إليك من البازى فقال نعم إذا كان يصيد القطا أراد وقول جرير القائل :

أنا البازى المطل على نمير أتيح من السماء له انصبابا

وأراد شريك قول الطرماح :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت طرق الهداية ضلت

ص ٧٣ : وفى كتاب الجوابات عن عساكر بن ذكوان ...

قال وقرأت فى الكتاب المذكور ...

ص ٧٩ : وحكى أبو عبيدة قال بينا أشراف الكوفة وقوف إذا جاء أسماء بن خارجة الفزارى فوقف وأقبل ابن معكبر الضبى فوقف متنحياً عنه فأخذ أسماء خاتماً فى يده وفصه فيروز أزرق فدفعه إلى غلامه وقال ادفعه إلى ذلك الرجل يعنى به ابن معكبر فأخذ ابن معكبر تسعاً فربطه مع الخاتم ورده مع الغلام أراد أسماء قول الشاعر :

لقد زرقت عيناك بابن معكبر   كما كل ضبى من اللؤم أزرق

وأراد الضبى قول ابن دارة :

لا تأمـــنن فزارياً خلوت بـه   على قلوصـــك واكتبها بأسبار

واعلم أن هذا من الرموز أشد أنواعها استخراجاً وأصعبها استنباطاً لخلوة من النطق والاقتصار على مجرد الفعل.

ص ٨٠ : ومن الرموز بالفعل دون القول ما قرأت فى كتاب الأمثال عن مؤرج بن عمر السدوسى قال حدث أبو خالد الكلابى ...

.... ويدخل فى هذا الباب قرع العصا التى اختصت به العرب...

ص ٨٣ : وقرأت فى نوادر ابن الأعرابى قال ....

ص ٨٤ : ومن المداعبات ما حكى أن عبيد الله بن زياد قال لحارثة بن بدر ركبت الأشقر فجمح بك فى مضيق فقال له حارثة لو ركبت الأشهب لم يصبنى هذا عنى عبيد الله بقوله ركبت الأشقر شربت الخمر وعنى حارثة ولو شربت الماء فانظر إلى فطنة كل منهما لاستخراج ما فى خاطر الآخر إذ الأشقر لا يعرف كناية عن الخمر ولا الأشهب كناية عن الماء وإنما هو على حسب ما خطر لهما فى الحال.

ص ٨٥ : **الباب العشرون**

فى المسمى والمكنى

من الأسماء المسماة ما جاء فى ذلك من الآباء قولهم أبو حباحب كنية للنار التى لا ينتفع بها مثل النار التى تخرج من حوافر الخيل ويقال لها حباحب، قال النابغة :

تقد السلوقى المضاعف نسجه   وتوقد بالصفاح نار الحباحب

أراد أن السيوف تقد الرجال وعليهم الدروع السلوقية فتقطعها حتى تصل إلى الأرض فتصيب الحجار فتقدح نار الحباحب وذكر بعضهم أن أبا حباحب كان رجلا من بخلاء العرب يخفى ناره خوف الأضياف فجعلتها العرب مثلا لكل نار ضعيفة لا تحرق وقيل نار الحباحب طائر أحمر الريش يطير من المغرب والعشاء يخيل للناظر أن فى ص ٨٦ جناحه ناراً وقال ابن الحاجب مشتقة من الحبحبة وهى الضعف وابن الحاجب هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت رحمه الله تعالى.

.... وفى فتيا العرب هل على أسير أبى سعد صوم قال نعم إذا قدر عليه وأبو سعد الهرم.

ص ٨٨ : وجاء فى ذلك من الأمهات قولهم للداهية أم حبوكر يقال جاء فلان بام حبوكر وأم حبوكرى أى جاء بالداهية قال ابن أحمر :

فلما غساليلى وأيقنت أنها   هى الأربى جاء بام حبوكرى

... وقرأت فى أمالى أبى على الحاتمى اللغوى أم سلمة هى الشمس وأنشد :

من أم سملة ترمينا بدائفها   فرارة وبيت منها المهازيل

ــ الدائف ــ السم القاتل.

ص ٨٩ : ... وفى أمالى الحاتمى ...

ص ٩٠ : .... ومما جاء فى ذلك من البنين قولهم هو ابن جلا للرجل المنكشف الأمر الذى به خفاء قال سحيم بن وثيل الرياحى :

ص ٩١ :   أنا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفونى

وتمثل به الحجاج بالكوفة على المنبر ومعنى جلا أوضح وكشف وتقديره أنا ابن الذى جلا ولكنه جاء كذلك .

... قال صاحب الكتاب أبى الجرجانى قرأت فى كتاب الفرس لابن قتيبة ...

... وابنا سمير الليل والنهار ويقال لا أفعل كذا ما سمر ابنا سمير ويقال ما سمر سميز ويراد به السامر.

ص ٩٤ : وأولاد درزة كناية عن السفلة والسقاط أنشد المبرد لحبيب الهلالى من الخوارج فى زيد بن على رضى الله عنه :

أأبا حسين لو شراك عصـــابة صعداء كان لوردهـــم إصدار
أن يقتلوك فإن قتلك لم يكن عساراً عليك ورب قتل عـــار
أأبا حسين والجـديد إلى بلى أولاد درزة أسلوك وطــــاروا

... ومما جاء من ذلك فى الثبات يقولون للبرد نبات السحاب قال عدى بن الرقاع :

كأن ثناياه نبات سحابة سقاهن شؤبوب من الغيث باكر

ص ٩٥ : قال أبو الهلالى العسكرى فى كتابه الموسوم بجمهرة الأمثال...

ص ٩٥ : الباب الحادى والعشرون

في الكناية عن الأطعمة والمأكولات

الخبر يكنى عنه بعاصم بن حبة وبجابر بن حبة قال الأعشى :

فلا تلومانى ولوما جابراً فجابر كلفنى الهواجرا

ويكنون بالشهيدة عن الهريسة وبالهدية أيضاً إشارة لقول القائل :

هلموا إلى من عذبت طول ليلها بنار سعـــــــير فوقها تتسـعر
وهى جلدة جلدين وهى بريئـــة هلموا إلى دفن الشهيدة تؤجـروا

.... والصوفية يكنون عن الخوان ص ٩٦ : بأبى جامع وعن الفالوزج بأبى المضاء وعن الخبيص بأبى الطيب.

... وأهل بغداد يكنون عن العنب الرازقى بالمخازن الطوال ومخازن البلوز أيضاً إشارة لقول ابن الرومى :

ورازقى مخاطب الحضـــــور كأنه مخازن البلـــــــور
قد ضمنت مسكا إلى الشطور وفى الأعالى ماء ورد جـورى
لم يبق منه وهج الحــــرور غير ضياء فى أديم نـــورى .
لو أنه يبقى على الدهـــــر قرط آذان الحسان الحـــور

ومن كناية البغداديين بالغ القراح للبطيخ ورفسة العيد للتخمة لأنها لا تكثر إلا فى الأعياد.

... وفى عيون الأخبار عن القتيبى ...

... وفى كتاب ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى...

ص ٩٧ : الباب الثانى والعشرون

فيمن تمثل بشعر كناية عن أمر

قرأت فى كتاب الجمهرة لأبى هلال العسكرى قال خرجت قوم فى خلافة على رضى الله .ص ٩٨ : عنه فى سفر فقتل بعضهم بعضاً فلما رجعوا طالهم وأمر شريحاً بالنظر فحكم بإقامة البينة فقال على رضى الله عنه متمثلا :

أوردها سعد وسعد مشتمل   ما هكذا تورد يا سعد الإبل

أراد أنه قصر ولم يستقصى كما قصر صاحب الإبل عند إيرادها والمثل لمالك بن زيد مناة ابن تميم وقد رأى أخاه سعداً أورد إبله ولم يحسن القيام عليها فتمثل بذلك أى سعد مشتمل بكسائه نائم غير مشمر للسقى فصار مثلا للذى يقصر فى الأمر ويؤثر الراحة على المشقة قال ثم إن علياً عليه الرضوان فرق بينهم وسألهم واحداً واحداً فاختلفوا فلم يزل يبحث حتى أقروا فقتلهم انتهى .

... وحكى أبو حيان فى الذخائر ...

... وفى كتاب المقاوضة لأبى محمد بن نصر المالكى الكاتب قال ....

ص ١٠٠ : وقرأت فى عيون الآخبار عن القتيبى ...

ص ١٠١ : وفى عيون الأخبار عن القتيبى .....

... وفى الكامل عن المبرد .

ص ١٠٣ : **الباب الثالث والعشرون**

فى كنايات مختلفة وفنون متفرقة فيها

يقال فلان من قوم موسى إذا كان ملولا إشارة للآية الكريمة قال الشاعر وهو أبو نواس :

ومظهره لخلـــــق الله ودا   وتلقى بالتحية والســـــلام

أتيت فؤادها أشـــــكو إليه   فلم أخلص إليه من الزحـــام

أيا من ليس يكفيه خلـــيل   ولا ألف خليل كل عــــام

أراك بقية من قوم موســـى   فهم لا يصبرون على طعـــام

ص ١٠٥ : وتقول العامة فى معناه (أى فى معنى الجامع لكل شىء هو جامع سفيان قال ابن الحاج :

يا أهل ودى وصفاى ويا جميع ساداتى وإخوانى
بالله قولوا لى ولا تحصروا لست من الحق بغضبان
فقر وذل وخمول معًا أحسنت يا جامع سفيان

... ويقولون فى التناية عن الشيخ هو قائد الحمار أنشد الجاحظ من تابه (؟)

... قال أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد اللغوى فى مجالساته (؟)

ص ١٠٧ : وتقول العامة صب الزيت فى قنديله إذا رشاه

ص ١١١ : قرأت فى تهذيب الأخلاق عن أبى أحمد الحسن به عبد الله بن سعيد السكرى...

ص ١١٢ : ... والعامة تكنى عنه (أى عن الكذاب) بالفاختة إشارة لقول القائل :

أكذب من فاختة تقول وسط الكرب
والطلع لم يبد لها هذا أوان الرطب

ومثله قول الآخر :

حيث أبى حازم كله كقول الفواخت جاء الرطب
وهن وإن كن يشبهنه فليس يدانينه فى الكذب

وربما قالوا فاختة سرخس ... وتقول العامة فواخت عنده صادقات ...

... وتقول العامة رقص فلان فى زورق إذا خادعه وكر منه ... وتقول فى ذلك قتل ذروته إذا خادعه وآله عن رأيه ... ومن أمثالهم ما زلت أفتل فى الذروة والغارب حتى أسمحت .

ص ١١٣ : قرونته ــ أى ذلك بعد صعبوته والقرينة والقرونة النفس ــ والذروة ــ أعلى السنام ــ والغارب ــ مقدمة.

ــ والعامة تقول فى ذلك (أى فى الجاهل) لا يدرى أى رجليه أطول ...

.... وتقول فى الكناية عن الجاهل هو راعى الضأن لبعد راعى الضأن عن الناس فوق راعى الإبل ولذا ذكره حمزة الأصفهانى من الأمثال على

أفعل وتقول العامة غرفته خالية أى فارغ الدماغ ... ومن أحسن ما قيل فيه قول الشاعر :

قيل صفة قلت نصفاً ... ن وفى ذلك رمز
غرفة خفت كما قيل ... وسردات نيز
يزرع الكمون فى تلك ... وفى هذه الأرز

... أهل بغداد يقولون عن البليد هو مبنى أى هو جماد وربما قالوا حائط.

ص ١١٤ : والعامة تقول فى الكناية عن البخيل وهو الجص وجوازية الحصا وهو من كعك فيد كناية عن الشديد الصعب الذى لا يطمع فيه لأن كعك فيد إنما هو زاد الحاج فيودعون بها للرجوع فيزداد جفافاً ويقولون قد أمرج بخل كناية عمن ساءت حاله وافتقر قال منصور ابن يحى الكاتب :

ولعهدى يسرج بالخل ... اختلالا فى حاله ويداذا

وتقول العامة فى الكناية عن الرجل الشديد فى الحاجة هو حرف لا يقرأ ومعناه هو صعب السبكة.

... ص ١١٥ : وتقول العامة فى الكناية عن الجبان صاحت عصافير بطنه ...

.. ص ١١٦ : وتقول العامة دواب فلان فى زيقه كناية عن القمل قال الصاحب بن عباد :

انظر إلى وجه أبى زبيد ... أو حسن من حسبه ومن قيد
وحوشه تكثر فى جيبه ... وظفره يركب للصيد

... ص ١١٩ وتقول العامة للبيت الردىء من الشعر هذا بيت بلا أوتاد ... وأنشد المبرد فى الكامل ...

ص ١٢٠ : وحكى البديع الهمذانى قال سمعت أبا الحسين أحمد بن فارس يقول النفخ عند الأطباء كناية عن الضرط والفسو والقطع عند المنجمين كناية عن الموت والنصيحة عند العمال كناية عن السعاية والوطىء عند الفقهاء كناية عن الجماع وطيب النفس عند الظرفاء كناية عن السكر والعلق عند اللاطة كناية عن المؤاجر والزوار عند الكرام كناية عن السؤال وما أفاء الله عند الصوفية كناية عن الصدقة.

وتقول العامة فى الكناية عن المتطفل ذباب قال ابن أبى عيينة :

أتيتك زائراً لقضاء حــــق فحال الستر دونك والحجـاب
ولست بواقع فى قدر قـــوم إذا أكرهوا كما يقع الذبـاب

ص ١٢٣ : وأهل بغداد يكنون عن الجرب بحب الطرب وربما صغروه فقالوا حب حبيبات الطرب .

ص ١٢٤ : وقرأت في جمهرة الأمثال عن أبى هلال العسكرى قال تقول العرب للمتكبر الضخم ظل الشيطان

ص ١٢٧ : وتقول العامة هو حماضة فى جوف أترجة كناية عمن حسن وجهه وقبح خلقه

... وتقول العامة صفيق الوجه صلب الزرقة يكنون به عن الوقح

ص ١٢٨ : وتقول العامة سوق كسوق الجنة أى كاسدة لأن سوق الجنة لا بيع فيها ... وتقول العامة فى مثل ذلك سوق كبطن الحمار أى خال لأن بطن الحمار ليس فيها شيء ينتفع به.

ص ١٣١ : وكان بعض الظرفاء يكنى عن اللقيط بتربية القاضى وعن الرقيب بثانى الحبيب لأنه يرى مع الحبيب أبداً.

ص ١٣٤ : ومن كنايات العامة فلان فى الزيت وربما قال الحشيش فى الزيت لمن وقع فى شدة وهم ... والعامة تقول عن الشرير أعرفة يشرى الأصل وربما قالوا بطراز الأصل.

ص ١٣٥ : وتقول العامة فلان سلب الكره عمن أخذ فى الكلام وأطال فيه.

ويكنون عن المهذار بتربية الخدم وهى من الأمثال المعكوسة.

... وعن المجدور بنقش الكرسى تشبيهاً له به ... ويكنون عنه إذا كان نقى البياض بالديبقى المعين إشارة لقول القائل :

وجهه للحسن معدن فتأمـــــــل وتبين
جـــدرى فى بياض كديبقى معــــين

وهذا من ألطف ما قيل فيه رواه بعضهم عن اليمامى الفقيه ثم وجدت في بعض تصانيف الثعالبى النيسابورى منسوباً إلى الصنوبرى

ص ٤٣٦ : ومن الكنايات العامة قولهم وقع الشهر فى الأنين إذا بلغ العشرين وجاوزها ... أنشد الصولى لأحمد بن سعيد الطائى :

قد وقع الصـوام فى الأنين　　وجاءنا ذا الفطر فى الكمين
فاسقنيها من يدى غــزال　　معتدل القد أخى مجـــون
وغنى لى على صوت ناى　　وطيب ورد وياســـــمين
ألم تر البدر عاد نضـــــراً　　فى عطفة الزاى بعد ســين

ومن كناية العامة إذا قال أحدهم سلامتها خير من كل شىء فقد ولدت امرأته اثنين فى بطن ... وإذا قال إنما رغبتنا فى العفاف فقد تزوج قبيحة فقيرة ... وإذا قال لقمة البيت أطيب من كل شىء فقد فاتته دعوة ..... وإذا قال وما شهدنا إلا بما علمنا فقد ردت شهادته فى حق من شهد به ... وإذا قال ما بحلال الله من بأس فقد تزوجت أمه ... وحكى بعضهم قال رجل لآخر تزوجت أمك فقال نعم حلال طيب فقال حلال نعم وأما الطيب فهو الزوج.

... ومن الكنايات وما يكون على وجه التبكيت كقول العرب للرجل الجاهل يا عاقل قال الله تعالى ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ بزعمك ودعواك فهو تبكيت له كقوله تعالى حكاية عنهم: ﴿ إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾. وقيل قوله ﴿ إنك أنت العزيز الكريم ﴾ أى الذليل المهين على العكس وقد جاء مثله.

ص ١٣٧ : فى الشعر قال الشاعر يهجو جريراً :

ألم تكن فى وسوم قد وسمت بها　　من جار موعظة يا زهرة اليمن

... ومن الكنايات ما يقرن بالتفسير فيذكر معه كقولهم النار فاكهة الشتاء والحلق دهليز الحياة ... قال ابن سكرة :

أيها النزلة ســـــيرى　　وانزلى عبر لهاتى
واتركى حلقى بحقى　　فهو دهليز حياتى

ص ١٢٨ : الباب الرابع والعشرون

في ألفاظ متخيرة تجرى مجرى الكنايات

قال رسول الله ﷺ إياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء .

ص ١٤٢ : قال الجاحظ فى كتاب التبيان (؟) العرب تسمى كل صفر الرأس العصا ... الخ .

ص ١٤٥ : ويقال استنسر البغاث فى الضعيف يقول قال :

إن البغاث بأرضنا يستنسر

ويقال ما لكلامه صحى أى ليس له بيان ذكرهما ابن فارس فى مختار الألفاظ

... ومن الألفاظ المختارة قولهم أكدى الشاعر وانقطع رشاؤه وانخرق سقاؤه والعامة تقول فى معناه وقف حماره ... وتقول العامة هو أقرب من عصا الأعرج.

ص ١٤٧ : قال القاضى أبو العباس الجرجانى هذا آخر

ص ١٤٨ : ما شرطت إيراده فى هذا الكتاب ولو مددت النفس فى ذلك لامتد ولو أوسعت باع القول فى ذلك لاتسع لكننى قصدت أن يكون كتابى هذا علا بين المتوسط والمختصر ليقرب على متأمله تناوله ويسهل على مريد المحاضرة حفظه فلذلك قيدت لسانى وقصرت قيد عنانى وأنا استغفر الله من كل ما جرى به قلمى وخطته يمينى مما لا يرضاه الله ورسوله ... الخ..

نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز

لفخر الدين محمدِ بن عمر الرازى (ت ٦٠٦ هـ)

طبع مطبعة الآداب والمؤيد بمصر القاهرة سنة ١٣١٧ هـ

من أقسام النظم يذكر الفخر الرازى فى القسم الثامن عشر :

السؤال والجواب كقول الباخرزى :

قد قلت هجرتنى فماذا العلة صدت وتمايلت وقالت قلة

وهذا الكتاب تنظيم وتلخيص لكتابى عبد القاهر الجرجانى الدلائل

والأسرار وليس للرازى إلا فضل الترتيب وإضافة بعض الشواهد ولا نتعرض له بالتفصيل هنا لأن همنا الأصول البلاغية.

الإيضاح فى علوم البلاغة (المعانى والبيان والبديع)

وهو شرح للمؤلف على مختصره تلخيص المفتاح

تأليف جلال الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضى القضاة سعد الدين أبى محمد عبد الرحمن القزوينى

مطبعة محمد على صبيح سنة ١٩٧١

وقد استعان فى هذا الإيضاح بمصادر أخرى كما صرح هو من مثل كتابى عبد القاهر الجرجانى الأسرار والدلائل والذى نلحظ فيه :

ملاحظات على الإيضاح للقزوينى

ص ٧ : تعريف القزوينى لفصاحة المتكلم أوضح دلالة على ما يتصف به رجل المنطق من التعريفات المتحرزة

ص ٨ : كلام البلاغيين فى تعريفهم البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ملحوظ فيه أن الحال تنسحب على أمرين أولها الأسلوب ونوعه من حذف أو ذكر تقديم أو تأخير إيجاز أو إطناب ... الخ وثانيهما المخاطب نفسه ذكى أو غبى مصدق أو شاك ... الخ من أمور تتصل بهذا المخاطب أو بالمتكلم نفسه أو بالجو الذى يقال فيه الكلام.

ص ٨ : القزوينى ينقل عن عبد القاهر رأيين متناقضين يذهب فى أحدهما إلى أن الفصاحة تتعلق باللفظ مرة وأنها تتعلق بالمعنى مرة أخرى.

ص ٩ : تقسيم علوم البلاغة إلى ثلاث :

(١) عن المعانى وهو الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد فيه أشياء من النحو واللغة والتصريف ومن الحسن الأدبى علم البيان هو الاحتراز عن التعقيد المعنوى . علم البديع ما يدنو به وجوه تحسين الكلام بعد مطابقة لمقتضى الحال وفصاحته .

ص ١٠ : يقسم مباحث علم المعانى

ص ١١ : مناقشة فى تقسيم الكلام تقسيماً عريضاً إلى خبر وإنشاء وتعريف الخبر ومناقشة تعريف الجاحظ للخبر.

الفصـــل الثالث

بيئـــة اليمـــن

كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز

تأليف السيد الإمام إمام الأئمة الكرام أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن على
ابن إبراهيم العلوى اليمنى

ت ٧٩٤ هـ طبع دار الكتب سنة ١٩١٤ فى ثلاثة أجزاء فى مجلد

نشره سيد المرصفى

ص ٢ : من المقدمة لسيد بن علي المرصفى:

وكان مولد ذلك المؤلف سنة تسع وستين وستمائة وقد تقلد باليمن إمارة المؤمنين سنة تسع وعشرين وسبعمائة، وقضى نحبه سنة تسع وأربعين وسبعمائة.

يقول المؤلف فى المقدمة ص ٢-٨ مختصراً ص ١ :

(أما بعد) فإن العلوم الأدبية وإن عظم فى الشرف شأنها... خلا أن علم البيان هو أمير جنودها... ولولاه لم تر لساناً يحوك الوشى من حلل الكلام... وكيف لا وهو المطلع على أسرار الإعجاز والمستولى على حقائق علم المجاز... ص ٣ ولما فيه من الغموض ودقة الرموز واحتوائه على الأسرار والكنوز استولت عليه يد النسيان والذهول ولم يختص بإحرازه من العلماء إلا واحد بعد واحد... وما ذاك إلا لقصور الهمم عن بلوغ غاياته.

ثم إن المقصود بهذا الإملاء هو الإشارة إى معاقد هذا العلم ومناظمة والتنبيه على مقاصده وتراجمه. وقد كثر فيه خوض علماء الأدب. وأتى فيه كل بمبلغ جده وجهده. حرصاً منهم على بيانه. وشغفاً منهم بضبطه وإتقانه وأتوا فيه بالغثّ والثمين... وهم فيما أتوا به من ذلك فريقان. فمنهم من لكونه قد أخل بمعظم علومهن، وأهملها وأعرض عن أجلّ مقاصده وتركها وهو معرفة الإعجاز لأنه موقوف على ما ذكرناه من معرفة الفصاحة والبلاغة جميعاً.

ومن اعتمد فى تفسير كلام الله على ملاحظة جانب الفصاحة والبلاغة ونزل المعانى القرآنية عليها، تسليم عن أكثر التأويلات النادرة، وبعد عن حمله على المعانى الركيكة التى وقع فيها كثير من المفسرين كما هو مذكور فى كتبهم.

بسط كلامه فيه نهاية البسط وخلط فيه ما ليس منه فكان آمنة الأملاك.

ومنهم من أوجز فيه غاية الإيجاز، وحذف منه بعض مقاصده، فكان امنة الإخلال. ولم أطالع من الدواوين المؤلفة فيه مع قلتها وندورها إلا أكتبه (هذا جمع لم تستعمله العرب. سيد) أربعة. أولها : كتاب «المثل السائر» للشيخ أبي الفتح نصر بن عبد الكريم المعروف ص ٤ بابن الأثير. وثانيها كتاب «التبين» للشيخ عبد الكريم (صوابه عبد الواحد بن عبد الكريم) النهاية لابن الخطيب الرازى. ورابعها كتاب «المصباح» لابن سراج المالكى.

(وأول من أسس من هذا العلم قواعده. وأوضح براهينه وأظهر فوائده ورتب أفانينه الشيخ العالم النحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجانى .

... وله من المصنفات فيه كتابان أحدهما لقبه بدلائل الإعجاز والآخر لقبه بأسرار البلاغة ولم أقف عغلى شيء مع شغفى بحبهما وشدة إعجابى بهما، إلا ما نقله العلماء فى تعاليقهم منهما)....

ص ٥ : (ثم إن الباعث على تأليف هذا الكتاب هو أن جماعة من الإخوان شرعوا على فى قراءة كتاب (الكشاف) تفسير الشيخ العالم المحقق أستاذ المفسرين «محمود بن عمر الزمخشرى» فإنه أسسه على قواعد هذا العلم، فاتضح عند ذلك وجه الإعجاز من التنزيل وعرف من أجله وجه التفرقة بين المستقيم والمعوج من التأويل. وتحققوا أنه لا سبيل إلى الاطلاع على حقائق إعجاز القرآن إلا بإدراكه. والوقوف على أسراره وأغواره. ومن أجل هذا الوجه كان متميزاً عن سائر التفاسير، لأنى لم أعلم تفسيراً مؤسساً على علمى المعانى والبيان سواه. فسألنى بعضهم أن أملى فيه كتاباً يشتمل على التهذيب والتحقيق فالتهذيب يرجع إلى اللفظ، والتحقيق يرجع إلى المعانى إذ كان لا مندوحة لأحدهما عن الثانى)...

ص ٦ : اخترت فى ترتيب هذا الكتاب أن يكون مرتباً على فنون ثلاثة، ولعلها تكون وافية بالمطلوب محصلة للبغية بعون الله.

فالفن الأول منها مرسوم المقدمات السابقة فذكر منها تفسير علم البيان، ونشر فيها إلى بيان ماهيته وموضوعه ومنزلته ص ٧ من العلوم الأدبية، والطريق إلى الوصول إليه وبيان ثمرته وما يتعلق بذلك، من بيان ماهية البلاغة والفصاحة والتفرقة بينهما. ونشير إلى الحقيقة والمجاز وبيان أقسامها، إلى غير

ذلك مما يكون تمهيد أو قاعدة لما تريده من المقاصد.

الفن الثانى منها مرسوم المقاصد اللائقة. نذكر منها ونشير فيه إلى ما يتعلق بالمباحث المتعلقة لعلوم البيان وأقسامها ونشرح فيه ما يتعلق به من الباحث بعلم البديع ونذكر فيه خصائص وأقسامه وأحكامه اللائقة به...

الفن الثالث نذكر فيه ما يكون جارياً مجرى الفتحة والتكملة لهذه العلوم الثلاثة، نذكر فيه فصاحة القرآن العظيم وأنه قد وصل الغاية التى لا غاية فوقها، وأن شيئاً من الكلام وإن عظم دخوله فى البلاغة والفصاحة، فإنه لا يدانيه ولا يماثله. ونذكر كونه معجزاً للخلق لا يأتى أحد بمثله. ونذكر وجه إعجازه، ونذكر أقاويل العلماء فى ذلك، ونظهر الوجه المختار فيه، إلى غير ذلك من الفوائد الكثيرة، والنكت الغزيرة التى نلحقها على جهة الردف والتكملة لما سبقها من المقاصد.

فالفن الثالث للثانى على جهة الإكمال والتتميم. والفن ص ٨ الأول للثانى على جهة التمهيد والتوطئة والسر واللباب والمقصد لذوى الألباب ما يكون مودعاً فى الفن الثانى وهو فن المقاصد... الخ...

فقرة هامة من ص ١٨ — ١٩ من الطراز ج١

.... قوله تعالى : ﴿ ولكم فى القصاص حياة ﴾ فنظر اللغوى إنما هو من جهة كون القصاص والحياة موضوعين لمعانيهما المفردة، وغير ذلك من سائر الكلمات المفردة، ونظر صاحب البيان من جهة سلامة هذه الألفاظ المفردة عن التعقيد وسلامتها وسهولتها على اللسان. وهذا هو المقصود بالفصاحة. فقد افترقت الدلالاتان مع اشتراكهما فى التعلق بالألفاظ المفردة وهكذا.

ونظر النحوى من جهة رفع المبتدأ وتقديم خبره عليه وتنكير المبتدأ وتوسيط الظرف إلى غير ذلك من الأحوال الإعرابية.

ونظر صاحب المعانى من جهة بلاغتها، وتأدية المعنى المقصود منها على أوفى ما يكون وأعلاه. وهذا هو المراد من البلاغة. فقد افترقا مع اشتراكهما فى تعليقهما بالتركيب. ومن ها هنا امتاز قوله تعالى ﴿ ولكم فى القصاص حياة ﴾ عما يؤثر عن العرب من قولهم «القتل أنفى للقتل» .

ومن أحاط علماً بالفصاحة، وتغلغل فكره فى إحراز ص ١ أسرارها عرف أن بين ما ورد فى التنزيل، وبين ما أثر عن العرب فيما أوردناه من المثال

فى الفصاحة والبلاغة بوناً لا تدرك غاياته، وبعداً لا يحصر تفاوته، ولهذا فإنه من كان من المفسرين نظره فى تفسير كلام الله مقصوراً على معرفة المعانى الإعرابية، وبيان مدلولات الألفاظ الوضعية لا غير من غير بيان ما تضمنه من أنواع الفصاحة والبلاغة وتقرير مواقعهما الخاصة. فإنه يعد مقصراً فى تفسيره.

كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز

تأليف السيد الإمام إمام الأئمة الكرام أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن على ابن إبراهيم العلوى اليمنى

طبع بمطبعة المقتطف بمصر سنة ١٣٣٢هـ، سنة ١٩١٤م.

(الفصل الثانى فى بيان كون القرآن لمعجزاً)

اعلم أن الكلام فى هذا الفصل وإن كان خليقاً بإيراده فى المباحث الكلامية والأسرار الإلهية لكونه مختصاً بها ومن أهم قواعدها، لما كان علامة دالة على النبوة وتصديقاً لصاحب الشريعة، حيث اختاره الله تعالى بياناً لمعجزته ص ٣٦٨ وعلماً دالا على نبوته وبرهاناً على صحة رسالته لكن لا يخفى تعلقه بما نحن فيه تعلقاً خاصاً، والتصاقاً ظاهراً، فإن الأخلق بالتحقيق أنا إذا تكلمنا على بلاغة غاية الإعجاز بتضمنه لأفانين البلاغة فالأحق هو إيضاح ذلك، فتظهر وجه إعجازه، وبيان وجه الإعجاز، وإبراز المطاعن التى للمخالفين والجواب عنها (١) والذى يقضى منه العجب هو حال علماء البيان، وأهل البراعة فيه عن آخرهم، وهو أنهم أغفلوا ذكر هذه الأبواب فى مصنفاتهم... ثم لو عذرنا من كان منهم ليس له حظ فى المباحث الكلامية ولا كانت له قدم راسخة فى العلوم الإلهية، وهم الأكثر منهم ص ٣٦٩ كالسكاكى وابن الأثير، وصاحب التبيان وغيرهم ممن برز فى علوم البيان، وصبغ بها يده وبلغ فيها جده وجهده، فما بال من كان له فيها اليد الطولى كابن الخطيب الرازى، فإنه أعرض عن ذلك فى كتابه المصنف فى علم البيان فإنه لم يتعرض لهذه المباحث ولا شمّ منها رائحة، ولكنه ذكر فى صور كتاب النهاية كلاماً قليلا فى وجه الإعجاز لا ينقع من علة..

(المسلك الأول منهما من جهة التحدى)

وتقريره هو أنه عليه السلام تحدى به العرب الذين هم النهاية فى الفصاحة والبلاغة، والغاية فى الطلاقة والذلاقة وهم قد عجزوا عن

معارضته... (ومن ص ٣٧٢ سيعرض لمطاعنْ الملاحدة في إعجاز القرآن ويرد عليهم) أ ـ ص ٣٧٢ عدم تواتر القرآن ب : ص ٣٧٥ مطعنهم الثانى أن القرآن لم يتحدى الرسول به وليس علماً على نبوته جـ : ص ٣٧٥ أن التحدى لم يصل إلى كل العالم ولا إلى بعضه. د : ص ٣٧٧ أن دواعى الكفار لمعارضة القرآن غير متوافرة. هـ : ص ٣٨٠ أن الذى منع الكفار من المعارضة انشغالهم بالحروب أو خوفهم من دولة الإسلام وشوكتها. و : ص ٣٨٢ تأخرهم عن العارضة ليس دليل العجز عنها أو وقوع هذه المعارضة. ز : ص ٣٨٢ لا يسلمون بعدم وقوع المعارضة للقرآن من الكفار ح : ص ٣٨٤ المعارضة وقعت واشتهرت.

ص ٣٨٥ .... ولنقتصر على هذا القدر من الأسئلة الواردة على الإعجاز ففيها كناية فى مقدار غرضنا...

(المسلك الثانى فى الدلالة على أن القرآن معجز من جهة العادة)

وتقريره أن الإتيان بمثل كل واحدة من صور القرآن لا يخلو حاله إما أن يكون معتاداً، أو غير معتاد، فإن كان معتاداً كان سكوت العرب مع فصاحتهم وشدة عداوتهم للرسول ﷺ ومع توفر دواعيهم على إبطال أمره، والقدح فى دعواه بمبلغ جهدهم، يكون لا محالة من ص ٣٨٧ أبهر المعجزات، وأظهر البينات على عجزهم عن الإتيان بمثل سورة منه، وأما إن لم يكن معتاداً، كان القرآن معجزاً، لخروجه عن المألوف والمعتاد، فثبت بما ذكرناه أن القرآن سواء كان خارقاً للعادة أو لم يكن خارقاً، فإنه يكون معجزاً..

(الفصل الثالث فى بيان الوجه فى إعجاز القرآن)

اعلم أن الكلام فى الوجه الذى لأجله كان القرآن معجزاً، دقيق، ومن ثم كثرت فيه الأقاويل فاضطربت فيه المذاهب، وتفرقوا على أنحاء كثيرة، فلنذكره ضبط هذه المذاهب، ثم نردفه بذكر ما تحتمله من الفساد، ثم نذكر على أثره المختار منها، فهذه مباحث ثلاثة.

(المبحث الأول فى الإشارة إلى ضبط المذاهب فى وجه الإعجاز)

فنقول كون القرآن معجزاً ليس يخلو الحال فيه، إما أن يكون لكونه فعلا من المعتاد، أو لكونه فعلا لغير المعتاد ص ٣٨٨ فالأول هو القول بالصرفة، ومعنى ذلك أن الله تعالى صرف دواعيهم عن معارضة القرآن مع كونهم قادرين

عليها، فالإعجاز فى الحقيقة إنما هو بالصرفة على قول هؤلاء، كما سنحقق خلافهم فى الرد عليهم بمعونة الله تعالى، ونذكر من قال بهذه المقالة.

وإن كان الوجه فى إعجازه هو الفعل لغير المعتاد فهو قسمان :

(القسم الأول)

أن يكون لأمر عائد إلى ألفاظه من غير دلالتها على المعانى، ثم هذا يكون على وجهين :

أحدهما أن يكون مشترطًا فيهما اجتماع الكلمات وتأليفها، وهذا هو قول من قال : الوجه فى إعجازه هو اختصاصه بالأسلوب المفارق لسائر الأساليب الشعرية والخطابية وغيرهما، فإنه مختص بالفواصل والأسجاع فمن أجل هذا جعلنا هذا الوجه مختصاً بتأليف الكلمات.

وثانيهما أن يكون إعجازه لأمر راجع إلى مفردات الكلمات دون مؤلفاتها، وهذا هو رأى من قال : إنه إنما صار معجزاً من أجل الفصاحة، وفسر الفصاحة بالبراءة عن الثقل والسلامة عن التعقيد، واختصاصه بالسلامة فى ألفاظه.

(القسم الثانى)

أن يكون إعجازه إنما كان لأجل الألفاظ باعتبار دلالتها على المعانى، وهذا هو قول من قال أن القرآن إنما كان معجزاً لأجل تضمنه من الدلالة على المعنى، وهذا القسم يمكن تنزيله على أوجه ثلاثة :

الوجه الأول : أن تكون تلك الدلالة على جهة المطابقة وفيه مذاهب ثلاثة :

أولهـــا : أن يكون لأمر حاصل فى كل ألفاظه، وهذا هو قول من قال: إن وجه إعجازه، هو سلامته عن المناقضة فى جميع ما تضمنه.

وثانيهما : أن يكون لأمر حاصل فى كل ألفاظه وأبعاضها، وهذا هو قول من قال : إن إعجازه إنما كان لما فيه من بيان الحقائق والأسرار، والدقائق مما يكون العقل مشتغلا بدركها فإن العلماء من لدن عصر الصحابة رضى الله عنهم إلى يومنا هذا مازالوا يستنهضون منه كل سر عجيب، ويستنبطون من ألفاظه كل معنى لطيف غريب، فهذا هو الوجه فى إعجازه على رأى هؤلاء.

وثالثها : أن يكون وجه إعجازه لأمر حاصل فى مجموع ألفاظه وأبعاضها مما لا يستقل بدركه العقل، وهذا هو قول من قال : إن الوجه ص ٣٩٠ فى

إعجازه ما تضمنه من الأمور الغيبية واللطائف الإلهية، التى لا يختص بها سوى علامها...

الوجه الثاني : أن تكون تلك الدلالة على جهة الالتزام وهذا مذهب من يقول : إن القرآن إنما كان معجزاً لبلاغته، وفسر البلاغة باشتمال الكلام على وجوه الاستعارة، والتشبيه المضمر الأداة، والفصل والوصل والتقديم والتأخير والحذف والإضمار والإطناب والإيجاز وغير ذلك من فنون البلاغة.

الوجه الثالث : أن تكون تلك الدلالة من جهة تضمنه لما يتضمنه من الأسرار المودعة تحت ألفاظه التى لا تزال على وجه الدهر غضة طرية يجتليها كل ناظر، ويعلو ذروتها كلٌ خريب ماهر، فظهر بما لخصناه من الحصر أن كون القرآن معجزاً إما أن :

يكون للصرفة

أو للنظم

أو لسلامة ألفاظه من التعقيد

أو لخلوه من التناقض

أو لأجل اشتماله على المعانى الدقيقة

أو لاشتماله على الأخبار بالعلوم الغيبية

أو لأجل الفصاحة والبلاغة

أو لما يتركب من بعض هذه الوجوه ص ٣٩١ أو من كلها

(المبحث الثانى فى إبطال كل واحد من هذه الأقسام التى ذكرناها سوى ما نختار منها)

وجملة ما نذكره من ذلك مذاهب

المذهب الأول منها الصرفة (١)

وهذا هو رأى أبى إسحق النظام وأبى إسحاق النصيبى من المعتزلة واختاره الشريف المرتضى من الإمامية، واعلم أن قول أهل الصرفة يمكن أن يكون له تفسيرات ثلاثة لما فيه من الإجمال وكثرة الاحتمال كما سنوضحه :

التفسير الأول : أن يريدوا بالصرفة أن الله تعالى سلب دواعيهم إلى المعارضة من أن أسباب توفر الدواعى فى حقهم حاصلة من التقريع بالعجز،

والاستنزال عن المراتب العالية والتكليف بالانقياد والخضوع، ومخالفة الأهواء.

التفسير الثاني : أن يريدوا بالصرفة أن الله تعالى سلبهم العلوم التى لابد منها فى الإتيان بما يشاكل القرآن ويقاربه ثم إن سلب العلوم يمكن تنزيله على وجهين، أحدهما أن يقال ص ٣٩٢ أن تلك العلوم كانت حاصلة لهم على جهة الاستمرار لكن الله تعالى أزالها عن أفئدتهم ومحاها عنهم، وثانيهما أن يقال : إن تلك العلوم ما كانت حاصلة لهم، خلا أن الله تعالى صرف دواعيهم عن تجديدها، مخالفة أن تحصل المعارضة.

التفسير الثالث : أن يراد بالصرفة أن الله تعالى منعهم بالإلجاء على جهة العسر عن المعارضة، مع كونهم قادرين وسلب قواهم عن ذلك، فلأجل هذا لم تحصل من جهتهم المعارضة، وحصل الأمر فى هذه المقالة :

أنهم قادرون على إيجاد المعارضة للقرآن، إلا أن الله تعالى منعهم بما ذكرناه، والذى غرَّ هؤلاء حتى زعموا هذه المقالة ما يرون من الكلمات الرشيقة ولابلاغات الحسنة والفصاحات المستحسنة الجامعة لكل الأساليب البلاغية فى كلام العرب الموافقة لما فى القرآن فزعم هؤلاء أن كل من قدر على ما ذكرناه من تلك الأساليب البديعة لا يقصر عن معارضته، خلا ما عرض من منع الله إياهم بما ذكرناه من الموانع، والذى يدل على بطلان هذه المقالة براهين... الخ...

(المذهب الثانى)

قول من زعم أن الوجه فى إعجازه إنما هو الأسلوب وتقريره أن أسلوبه مخالف لسائر الأساليب الواقعة فى الكلام كأسلوب الشعر وأسلوب الخطب والرسائل فلما اختص بأسلوب مخالف لهذه الأساليب، كان الوجه فى إعجازه، وهذا فاسد لأوجه... الخ...

(المذهب الثالث)

قول من زعم أن وجه إعجازه إنما هو خلوه عن المناقضة وهذا فاسد لأوجه.... الخ...

(المذهب الرابع)

قول من زعم أن الوجه فى الإعجاز اشتماله على الأمور الغيبية بخلاف غيره وهذا فاسد أيضاً لأمرين... الخ...

(المذهب الخامس)

قول من زعم أن الوجه في الإعجاز هو الفصاحة، وفسر الفصاحة بسلامة ألفاظه عن التعقيد الحاصل في مثل قول بعضهم ص ٣٩٩ :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

وهذا فاسد لأمرين.... الخ....

(المذهب السادس)

قول من زعم أن الوجه في الإعجاز إنما هو اشتماله على الحقائق وتضمنه للأسرار والدقائق التي لا تزال غضة طرية على وجه الدهر، ما تنال لها غاية، ولا يوقف لها على نهاية، بخلاف غيره من الكلام، فإن ما هذا حاله غير حاصل فيه فلهذا كان وجه إعجازه، وهذا فاسد أيضاً لأمرين... الخ...

(المذهب السابع)

قول من زعم أن الوجه في إعجازه هو البلاغة، وفسر البلاغة باشتماله على وجوه الاستعارة والتشبيه والفصل والوصل والتقديم والتأخير والإضمار والإظهار، إلى غير ذلك وهؤلاء إن أرادوا بما ذكروه أنه صار فصيحاً بالإضافة إلى ألفاظه، وبليغاً بالإضافة إلى معانيه، ومختصاً بالنظم الباهر،فهذا جيد لا غبار عليه كما سنوضحه عند ذكر المختار، وإن أرادوا أنه بليغ بالإضافة إلى معانيه دون ألفاظه ص ٤٠٢ فهو خطأ فإنه صار معجزاً باعتبار ألفاظه ومعانيه جميعاً وغالب ظني أن هذا المذهب يحكى عن أبي عيسى الرماني.

(المذهب الثامن)

قول من زعم أن الوجه في إعجازه هو النظم، وأراد أن نظمه وتأليفه هو الوجه الذي تميز به من بين سائر الكلام فهؤلاء أيضاً يقال لهم ما تريدون باختصاصه بالنظم فإن عنيتم به أن نظمه هو المعجز من غير أن يكون بليغاً في معانيه، ولا فصيحاً في ألفاظه، فهو خطأ، فإن الإعجاز شامل له بالإضافة إلى كلا الأمرين جميعاً وإن عنيتم أنه مختص بالبلاغة والفصاحة خلا أن اختصاصه بالنظم أعجب وأدخل فلهذا كان الوجه في إعجازه فهذا خطأ فإن مثل هذا لا يدرك بالعقل، أعني تميزه بحسن النظم عن حسن البلاغة والفصاحة، وأيضاً فإن ما ذكروه تحكم لا مستند له عقلا ولا نقلا وأيضاً فإنا نقول هل يكون النظم وجهاً في الإعجاز مع ضم البلاغة والفصاحة إليه، أو

يكون وجهاً من دونهما، فإن قالوا بالأول فهو جيد، ولكن لم قصروه على النظم وحده، ولم يضموهما إليه، وإن قالوا : إنه ص ٤٠٣ يكون منفرداً بالإعجاز من دونهما، فهذا خطأ أيضاً فإن نظم القرآن لو انفرد عن بلاغته وفصاحته لم يكن معجزاً بحال.

(المذهب التاسع)

مذهب من قال إن وجه إعجازه إنما هو مجموع هذه الأمور كلها، فلا قول من هذه الأقاويل إلا هو مختص به فلا جرم جعلنا الوجه فى إعجازه مجموعها كلها، وهذا فاسد..

(المذهب العاشر)

أن يكون الوجه في إعجازه إنما هو ما تضمنه من المزايا الظاهرة والبدائع الرائعة فى الفواتح والمقاصد والخواتيم فى ص ٤٠٤ كل سورة، وفى مبادىء الآيات وفواصلها وهذا هو الوجه السديد فى وجه الإعجاز للقرآن كما سنوضح القول فيه بمعونة الله تعالى...

(المبحث الثالث)

(فى بيان المختار من هذه الأقاويل)

والذى نختاره فى ذلك ما عوّل عليه الجهابذة من أهل هذه الصناعة الذين ضربوا فيها بالنصيب الوافر، واختصر بالقدح والمعلى والسهم القابر، فإنهم عوّلوا في ذلك على خواص ثلاثة هو الوجه في الإعجاز الخاصة الأولى الفصاحة فى ألفاظه على معنى أنها بريئة من التعقيد والثقل خفيفة على الألسنة تجرى عليها كأنها السلسال رقة وصفاء وعذوبة وعلاوة.

الخاصة الثانية البلاغة فى المعانى بالإضافة إلى مضرب كل مثل ومساق كل قصة وخبر وفى الأوامر والنواهى وأنواع الوعيد ومحاسن المواعظ وغير ذلك مما اشتملت عليه العلوم القرآنية فإنه مسوقة على أبلغ سياق.

ص ٤٠٥ : الخاصة الثالثة جودة النظم وحسن السياق فإنك تراه فيما ذكرناه من هذه العلوم منظوماً على أتم نظام وأحسنه وأكمله فهذه هى الوجه فى الإعجاز.

ص ٤٢٠ : (الفصل الرابع فى إيراد المطاعن التى يزعمونها على القرآن والجواب عنها... الخ... حتى نهاية الكتاب.

الفصل الرابع

بيئة الشام

يشرع عبد الحميد للكتاب طريقه وآداباً تتضمنها رسالته

« رسالة عبد الحميد إلى الكتاب »

(١٣٢هـ)

إذ يقول :

ص ١٧٢ : أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملائكة المكرمين أصنافاً وإنْ كانوا في الحقيقة سواء وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات إلى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الأدب والمروات والعلم والرزانة بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ويعمر بلدانهم لا يستغنى الملك عنكم ولا يوجد كاف إلا منكم فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون وأبصارهم التي بها يبصرون وألسنتهم التي بها ينطقون وأيديهم التي بها يبطشون فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج إلى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيها الكتاب إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم. فإن الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات أموره أن يكون حليماً في موضع الحلم فهيماً في موضع الحكم مقداماً في موضع الإقدام محجاماً في موضع الإحجام.

ص ١٧٣ : مؤثر العفاف والعدل والإنصاف كتوماً للأسرار وفياً عند الشدائد عالماً بما يأتي من النوازل يضع الأمور مواضعها والطوارق في أماكنها قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه وإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار من الحسن واحتال على صرفه عما يهواه من القبح بألطف حيلة وأجمل وسيلة وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيراً بسياستها التمس معرفة أخلاقها

فإن كانت جموحاً لم يهجها إذا ركبها وإن كانت شبوباً اتقاها من بين أيديها وإن خاف منها شروداً توقاها من ناحية رأسها وإن كانت حرونا قمع برفق هواها فى طرقها فإن استمرت عطفها يسيراً فيسلس له قيادها. وفى هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم والكاتب بفضل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوره من الناس ويناظرهم ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التى لا تحير جواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم خطاباً إلا بقدر ما يصيرها إليه صاحبها الراكب عليها.

ألا فارفقوا رحمكم الله فى النظر واعملوا فيه ما أمكنكم من الروية والفكر تأمنوا ممن صحبتموه النبوة والاستثقال والجفوة ويصير منكم إلى الموافقة وتصيرون منه إلى المؤاخاة والشفقة إن شاء الله تعالى.

ولاتجاوزن الرجل منكم فى هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه فإنكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون فى خدمتكم على التقصير وحفظه لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير واستعينوا على عفافكم بالقصد فى كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا سوء عاقبة الترف فإنهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان أهلهما ولا سيما الكتاب وأرباب الآداب. وللأمور أشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتنف أعمالكم بما سبقت إليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة وأصدقها حجة وأحمدها عاقبة. واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ علمه وروايته فليقصد الرجل منكم فى مجلسه قصد الكافى من منطقه وليوجز فى ابتدائه ص ١٧٤ : وجوابه

وليأخذ بمجامع حججه فإن ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل عن إكثاره. وليضرع إلى الله فى صلة توفيقه وإمدائه بتسديده مخافة وقوعه فى الغلط المضر ببدنه وعقله وأدبه فإنه إن ظنّ منكم ظانّ أو قال قائل إن الذى برز من جميل صنعته وقوة حركته إنما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بظنه أو مقالته إلى أن يكله الله عزّ وجلّ إلى نفسه فيصير منها إلى غير كاف وذلك على تأمله غير خاف. ولا يقول أحد منكم أنه أبصر بالأمور

وأجمل لعب ما يكتفى به يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعد لكل أمر عدته ويهيء لكل وجه هيئته وعادته. فتنافسوا يا معشر الكتاب فى صنوف الآداب وتفقهوا فى الدين وأبدءوا بعلم كتاب الله عزّ وجلّ والفرائض ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم ثم أجيدوا الخط فإنه حيلة كتبكم وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فإن ذلك معين لكم على ما تسموا إليه هممكم ولا تضيعوا النظر فى الحساب فإنه قوام كتاب الخراج واغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودينها وسفاسف الأمور ومحاقرها فإنها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم عن الدناءة وأربؤوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه أصل الجهالات وإياكم والكبر والسخف والعظمة فإنها عداوة مجتلبة من غير أحنة وتحابوا فى الله عزّ وجلّ فى صناعتكم وتواصوا عليها بالذى هو أليق لأهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم وإن نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع إليه حاله ويثوب إليه أمره وإن أقعد أحداً منكم الكبر عن مكسبه ولقاء إخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه أحوط منه على مولده وأخيه فإن عرضت فى الشغل محمدة فلا يصرفه إلا إلى صاحبه وإن عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغيير الحال فإن العيب إليكم معشر الكتاب أسرع منه إلى القراء وهو لكم أفسد منه لها. فقد علمتم أن الرجل منكم إذا صحبه من يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله ذخيرة. ونصيحته وكتمان سره وتدبير أمره ما هو جزاء لحقه ويصدق ذلك تبعاً له عند الحاجة إليه ص ١٧٥ : والاضطرار

إلى ما لديه. فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم فى حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والإحسان والسراء والضراء فنعمت التسمية هذه من وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة. وإذا ولي الرجل منكم أو صير إليه من أمر خلق الله وعياله أمر فليراقب الله عزّ وجلّ وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقاً وللمظلوم منصفاً فإن الخلق عيال الله وأحبهم إليه أرفقهم بعياله. ثم ليكن بالعدل حاكماً وللإشراف مكرماً وللفيء موقراً وللبلاد عامراً وللرعية متألفاً وعن آذاهم متخلفاً وليكن فى مجلسه متواضعاً حليماً وفى

سجلات خراجه واستقضاء حقوقه رفيقاً وإذا صحب أحدكم رجلا فليختبر خلائقه فإذا عرف حسنها وقبيحها أعانه على ما يوافقه التدبير من مرافقة فى صناعته ومصاحبة فى خدمته. فإن أعقل الرجلين عند ذوى الألباب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى أن صاحبه أعقل منه وأجمل فى طريقته. وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جلّ ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكاثر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره.

وحمداً لله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته.

وأنا أقول فى كتابى هذا ما سبق به المثل مَنْ تلزمه النصيحة يلزمه العمل. وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله عزّ وجلّ فلذلك جعلته آخِره وتممته به. وتولانا الله وإياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده فإن ذلك إليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سـر الفصاحـة

للأمير أبى محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى الحلبى (ت ٤٦٦هـ) تعليق عبد المتعال الصعيدى ـ مطبعة صبيح ١٩٥٣

الباحث يرى أن الأدب يرقى إلى أعلى المنازل بفصاحته وأن إعجاز القرآن إنما كان بالفصاحة وبالصرفة ولهذا فالباحث يحاول بتبيين فصاحة اللفظة مفردة ومركبة فى الأدب والقرآن جميعاً ومن هنا تجىء استعانته بصور التعبير البليغ من كلام البشر أو من النصّ القرآنى.

البديع فى نقد الشعر لأسامة بن منقذ

ولد ٤٤٨هـ ـ ويقول المؤلف هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق فى كتب العلماء المتقدمين المصنفة فى نقد الشعر وذكر محاسنه وعيوبه وذكر فى هذا السبيل مصادره التى أفاد منها وضمنه خمسة وتسعين باباً من أبواب البديع

مخطوط : كتاب البديع فى نقد الشعر تأليف مؤيد الدولة والدين أبى

١ ـ مخطوط البديع لأسامة بن منقذ حققه بعد ذلك الدكتور أحمد أحمد بدوى، حامد عبد المجيد وراجعه إبراهيم مصطفى، وطبع بمطبعة البابى الحلبى بعد ذلك.

باب العبث	باب التثليم
باب العسف والتخليط	باب الإسهاب والإطناب
باب الانتكاث والتراجع	باب نقل الطويل إلى القصير
باب نقل القصير إلى الطويل	باب نقل الرذل إلى الجزل
باب نقل الجزل إلى الرذل	باب نقل الجزل إلى الرذل
باب الهدم	باب التكرير
باب المساواة	باب الانصراف
باب الالتقاط	باب فضل السابق على المسبوق
باب رجحان المسبوق على السابق	باب التثقيل والتخفيف
باب التقصير	باب النقل
ص ١١ : باب الحذو	باب الكشف
باب التوارد	باب التداول والتناول
باب التضمين	باب الحل والعقد
باب التفقير	باب التلطف
باب المبادىء والمطالع	باب الأواخر والمقاطع
باب التلخص والخروج	باب التعليم والترسيم

باب التهذيب

فيكون جملة ما اشتمل عليه كتابنا هذا خمسة وتسعين باباً والحمد لله على آلائه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

الفوارس أسامة بن مرشد بن منقذ الكنانى المتوفى سنة ٥٨٤هـ

ص٨ : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الحى القيوم الدايم الديوم خالق العلماء والعلوم والمنثور والمنظوم وصلاته على سيدنا محمد الأمين المعصوم وعلى آله وأصحابه ذوى النجدة والحلوم وسلم تسليماً إلى يوم الوقت المعلوم، هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق فى كتب العلماء المتقدمين المصنفة فى نقد الشعر وذكر محاسنه وعيوبه فلهم فضيلة الابتداء ولى فضيلة الاتباع والذى وقفت عليه كتاب البديع لابن المعتز. وكتاب الحالى للحاتمى. وكتاب المحاضرة للحاتمى. وكتاب الصناعتين للعسكرى. وكتاب اللمع للعجمى. وكتاب العمدة لابن رشين. فجمعت من ذلك أحسن أبوابه وذكرت منه أحسن مثالاته ليكون كتابى مغنيا عن هذه الكتب لتضمنه أحسن ما فيها وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المناقضـــــة

(مخطوط البديع لابن منقذ)

باب المعارضة والمناقضة

ص ١٥٢ :

وهو أن يناقض الشاعر كلامه أو يعارض بعضه بعضاً كما قال خفاف :

إذا انتكث الخيل ألفيته   صبور الجنان رزيناً خفيفا

وقيل إنه أراد رزيناً من جهة العقل وخفيفاً وقيل إنه أراد رزيناً فى نفسه

وقال آخر :

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت   فلو جنّ إنسان من الحسن جنت

وكذلك الأبيات وهى :

إن التى زعمت فؤادك قلـــــها   خلقت هواك كما خلقت هواكها

بيضاء باكرها النعيم فصاغـــها   بلباقة فأدقها وأجلــــــــها

منعت تحيتها فقلت لصاحـــبى   ما كان أكثرها لنا وأقلـــــها

وكذلك قول أبى نواس :

ص ١٥٣ : كأن بقايا ما بقى من حبابها   تفاريق شيب فى سواد عذار

فشبه الحباب بالشيب والحمرة بالعذار ثم قال :

تردت به ثم انفرى عن أديمها   تفرى ليل عن بياض نهار

فناقض الذى جعله كالنهار ثم رجع فصيره أسود كالليل وجعله أبيض كالنهار. ومن ذلك قول عبد الرحمن بن القيس :

وددت إذا ما الموت حلّ بنفسها   يزال بنفسى قبل ذاك فأقبر

وهذا متناقض لأن القبل والبعد كقبل فكان مثل قولهم إذا مات زيد مات عمرو قبله وهذا لا يصح. ومنه قول المرار :

وخال على خديك يبدو كأنه سنا البرق فى دعجاء باد دجوها

ومعلوم أن الخال أسود وأما الخد فلا يكون أسود

ومن فساد الأشعار :

إذا ما الحب عشعش في فؤادي وحضّن بيضه طير البعاد
وأنبذت الهمـوم بِدَنّ قلبي فعربدت الهموم على فؤادي

ومن فساد النظم :

إن ابن سهل شديد في تتايهه ما كان يدري أأعطى المال أم حرما
لكنها خطوات من وساوسه يعطي ويمنع لا بخلا ولا كـرما

لأنه مقلوب وتروى للجاحظ

ص ١٥٤ : مرّ غراب البين من حـالق له نعيب فرشـقناه
عن قوس وضل يسهام الهوى فلم يزل حتى صرعناه
وباشـق لحب نصبنا له يبلبل الصدق فصدناه
واضطرب الباشق مستوحشاً فخيطت بالوصـل عيناه
فقر واستأنس حتى إذا أجـابنا حين دعـوناه
وثقت بالصيد فأرسـلته فعاد لي من كنت أهـواه

ولأبي نواس :

لما بدا ثعلب الصيد ود لنا أرسلت كلب الوصال في طلبه
فجـاء يسعى به معلقة وقد لوى رأسـه إلى ذنـبه

بديع ابن منقذ

باب الرجوع والاستثناء

ص ١٢٠ : اعلم أن الرجوع والاستثناء هو أن تذكر شيئاً ثم ترجع عنه مثل قولك ليس له عقل بل مقدار ما يوجب الحجة عليه. ومنه :

أليس قليلا نظرة إن نظرتها　　إليك ولكن ليس منك قليل

وقول دريد بن الصمة:

ص ١٢١ : غير الفوارس معروف بشكته　كاف إذا لم يكن من كربه كاف

وقد قتلت به عبساً وأخوتها　　حتى شفيت وهل قتلى لهم شاف

ومنه نبئت فاضح قومه يغتابنى　　عند الأمير وهل علىّ أمير

ومنه وما بانتصار إن غدا الدهر　　ظالمى علىّ بلى، إن كان من عندك النصر

ومنه ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم　　بهن فلول من قراع الكتايب

ومنه فتى جملت أخلاقه غير أنه　　جواد فما يبقى من المال باقيا

فتى ثم فيه ما يسر صديقه　　على أنّ فيه ما يسوء الأعاديا

ومنه لا تبعدن إلا من السوء إننى　　إليك وإن شطت بك الدار نازع

ومنه بيضاء فى وجنتها احمرار　　هن الليالى وهى النهار

ومنه وخدها أحمر شفاف ترف　　كالورد إلا أنه حين قطف

ومنه وأبيض فياض يداه غمامة　　على معتفيه ما تعب نوافله

أخو ثقة لا تهلك الخمر ماله　　ولكنه قد يهلك المال نائله

ومنه وإخوان تخذتهم دروعاً　　فكانوها ولكن للأعادى

وخلتهم سهاما صائبات　　فكانوها ولكن فى فؤادى

وقالوا قد صفت منا قلوب　　لقد صدقوا ولكن عن ودادى

أبو العلاء المعرى :

أيا المرهف البانى من المجد منزلا　　منيفاً له طنب على النجم ممدود

ومن بات للعافين من جود كفه　　خضم المدى عذب المشارب مردود

لقد ضيم إلا فى جنابك وأطن　　وأعوز إلا من أنا ملك الجود

ابن المغربي :

فتى الحرب يغنيه عن السيف كفه   وتكفيه من قود الجيوش العــزائم
ويعدل في شرق البلاد وغربها   على أنه للسيف والرمح ظالـــم

ص ١٢٣: فنيت وما يفني صنيعي ومنطقي   وكل أمر إلا أحاديثه فــــان

ومنه: إن تسألي عنا فأنا حُـلى العلا   بني عامر والأرض ذات المناكـب

ومنه: ولا عيب فينا غير أن سماحنا   أضرّ بنا والبأس من كل جـانب
وأفنى الردى أعمارنا غير ظالم   وأفنى الندى أموالنا غير عـائب
أبونا أبٌ لو كـان للناس كلهم   أباً واحداً أغناهم بالمناقـــب
يسعى به البرق إلا أنه فـــرس   في صورة الموت إلا أنه رجـــل

ومنه: يلقى الرماح بصدر منه ليس له   ظهر وصدر جواد ما له كفـــل

بديع ابن منقذ

التجنيس

ص١٢ : اعلم أن التجنيس ثمانية أجناس فمنها التجنيس المغاير وهو أن تكون الكِلـمتان اسماً وفعلا مثل قولـه تعالى حكاية عن بلقيس ﴿وأسلمتُ مع سليمانَ لله ربِّ العالمين﴾

ص ١٤ : التجنيس المماثل هو أن تكون الكلمتان اسمين أو فعلين كما يقال الله عزّ وجلّ : ﴿ فروح وريحان...﴾ وكتب بعض الأدباء إلى الرشيد: «أحسن لنا في النظر كما أحسنا في الانتظار».

ص١٧ : تجنيس التصحيف : هو أن تكون النقط فريقاً بين الكلمتين.. كما قال أبو تمام :

السيف أصدقُ أنباءً من الكتب   في حده الحدُّ بين الجدِّ واللعب

ص٢٠ : تجنيس التحريف هو أن يكون الشَكل فرقاً بين الكَلمتين مثل قوله :

أحبابنا ما بين فرقتكم وبين الموت فرق

ص٢٢ : تجنيس التصريف : هو أن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن

الأخرى بحرف كقول الله تعالى : ﴿ لكنّا أهدى منْ إحدى الأمم ﴾ ومثل قوله تعالى : ﴿ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ﴾ .

ص٢٦ : تجنيس الترجيع هو أن ترجع الكلمة بذاتها كما قال الله تعالى: ﴿ إنّ ربّهم بهم يومئذ لخبير ﴾ وقال جلّ جـــلاله : ﴿ ولكنا كنا مرسلين ﴾ كما قال بعض العرب :

وما منعت دار ولا عزّ أهلها   من الناس إلا بالقنا والقنابل

ص٣٠ : تجنيس العكس : هو أن تكون الكلمة عكس الأخرى كما قال الله تعالى حكاية عن هارون : ﴿ إنى خشيت أنْ تقول فرّقت بين بنى اسرائيل ﴾ وقال عبد الله بن رواحة الأنصارى يمدح النبى ﷺ وهو أمدح بيت قال العرب :

ص ٣١ : تحمله الناقة الأدماء معتجراً   بالبُرد كالبدر جلا نوره الظلما

فقوله بالبرد عكس قوله كالبدر

ص٣٣ : تجنيس التركيب هو أن تكون الكلمة مركبة من كلمتين كما قال أبو العلاء أحمد بن سليمان عفا الله عنه :

البابلية باب كل بلية   فتوقين دخول ذاك الباب

ولبعضهم وهو من المعجز الذى ليس مثله :

إن ترمك الغربة فى معشر تضافـــــروا وافيك على بغضهم

فدارهم ما دمت فى دارهم وأرضهم ما دمت فى أرضهـــم

باب التجزئة

ص٦٣ : اعلم أن التجزئة هو أن يكون البيت مجزأ ثلاثة أجزاء أو أربعة كما قال أبو الطيب المتنبى :

فنحن فى جذل والروم فى وجل   والبحر فى حجل والبر فى شغل

ومثله : فلا كبدى تهدى ولا فيك رحمة   ولا عنك إقصار ولا فيك مطمع

ومثله : وصالكم هجر وحبكم قلى وإنصافكم ظلم وسلمكم حرب

الاستخدامص٨٢ : هو أن تكون الكلمة لها معنيان فتحتاج إليها فتذكرها وحدها فتخدم للمعتين كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا

تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ والصلاة ههنا تحتمل أن تكون فعل الصلاة وموضع الصلاة فاستخدم الصلاة بلفظ واحد لأنه قال سبحانه : ﴿ إلا عابرى سبيل فدل على أنه أراد موضع الصلاة وقال تعالى: ﴿حتى تعلموا ما تقولون ﴾ فدلّ على أنه فعل الصلاة...

أنشدو البحترى :

فسقى الغضاء والساكنية وإن همو شبّوهُ بين جوانح وقلوب

فالغضا يحتمل أن يكون الموضع ويحتمل أن يكون الشجر فاستخدم المعنيين بقوله : والساكنية وبقوله : وإن هم شبوه

الإغــــــراق

ص٨٣ : هو أن يبالغ في الشيء بلفظه ومعناه كما قال المتنبي:

ص ٨٤ : عهدى بمعركة الأمير وخيلة في النقع محجمة عن الإحجـام.

وقوله أيضاً : وإذا أشفق الفوارس من وقع القنا أشفقوا من الاشفاق

الاتفاق والاطراد

ص٨٧: هو أن يتفق للشاعر شيء لا يتفق عاجلا كثيراً مثل قول أبي تمام :

لسلمي سلامان وعمرة عامر وهند بني هند وسعدى بنى سعد

وقوله يصف حصاناً:

بحوافر حفر وصلب صلب وأشاعر شعر وخلق أخلق

التوشــــيح

ص٨٩ : هو أن تريد الشيء فتعتبر عنه عبارة حسنة وإن كانتْ أطول منه كقول ابن المعتز :

آذريون: أتاك في طبقة كالمسك في ريحه وفي عبقه

قد نفض العاشقون ما صنع الهجر بألوانهم على ورقه

فمدار البيت موضوع على أنه أصغر

التشعيب

ص٩١ : هو أن يكون في الصراع الثاني كلمة من المصراع الأول مثل قول الشيخ أبي العلاء :

قد أورقت عهد الخيام وأعشـــبت   شعب الرحال ولون رأسى أغبر
ولقد سلوت عن الشباب كما سلا   غيرى ولكن للحبيب تذكـــر

الكناية والإشارة

ص٩٩ : اعلم أن الفرق بين الكناية والإشارة أن الإشارة إلى كل شيء حسن والكناية عن كل شيء قبيح مثل قوله عز وجلّ : ﴿ فيهنّ قاصرات الطرف ﴾ إشارة إلى عفافهن. وقوله سبحانه : ﴿ كانا يأكلان الطعام ﴾ كناية عن قضاء الحاجة.

المبالغةص١٠٤ : المعنى إذا زاد على التمام سمى مبالغة وقد اختلفت ألفاظه فى كتبهم فسماه قوم الإفراط والغلو والإيغال والمبالغة وبعضه أرفع من بعض

الازدواج

ص١١١ : وهو أن تزاوج بين الكلمات وجمل بكلام عذب وألفاظ عذبة حلوة كما قال الله تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم ص١٢٢ فاعتدوا عليه..﴾ وقال عزّ وجلّ : ﴿ عليماً حكيماً ﴾ ﴿ غفوراً رحيماً ﴾ وأشباه ذلك لأنه ربما يكون كلمتين مختلفتين وربما يكون مؤتلفا ومختلفا وكلمتين كلمتين (ورقة ٤٦ ب) كقول العرب :

ومطعـــم النصر يوم النصر مطعمه   أنىّ توجـــه والمحروم محروم
ومنه : لا صـــبر عنك بلى عليك تصبرى   الهجر دابك والتجلـــد دابى
لا تمزجى قدحى فإن مدامعـــى   تكفى وتفضل عن مزاج شرابى
لا أستطيع من الضنا أشكو الضنا ويكاد ما بى أن يـــرق لما بى

الترصيع

ص١١٦: هو أن يكون البيت مسجوعاً مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ﴾. ومثل قول المتنبى :

فى تاجه قمر فى ثوبه بشر فى درعه أسد تدمى أظافره

التذييل

ص١٢٠ : التذييل : هو أن يأتى فى الكلام جملة تحقق ما قبلها كقوله تعالى ﴿ إنّ اللهَ اشترى من المؤمنين أنفسهم ﴾ ثم حقق الكلام بقـوله ﴿ ومن أوفى بعهده من الله ﴾ وكـذلك ﴿ومن أحسن من الله قيلا ﴾ وكـذلك ﴿ إنه

لا يضيع أجرَ المحسنين ﴾ ﴿وهلْ نُجازى إلا الكفور ﴾ وهو كثير من القرآن.

ومنه قول النابغة : ولست بمستبق أخا لا كلمه على شعث أى الرجال المهذب

التشطير والمقابلة

ص١٢٨ : هو أن تقابل مصراع البيت الأول كلمات المصراع الثانى كقول جرير :

وباسط خير فيكم بيمينه   وقابض شر عنكم بشماليا

أبو الطيب المتنبى :

أزورهم وظلام الليل يشفع لى   وأنثنى وضياء الصبح يغرى بى

التطريف

ص١٢٩ : هو أن تكون الكلمة مجانسة لما قبلها أو لما بعدها أو متعلقة بها بسبب مِن الأسباب كقول أبى تمام :

السيفُ أصدق أنباء من الكتب   فى حده الحدُّ بين الجدِّ واللعب

ص١٣١ : باب الانسجام : أَن يأتى كلَام المتكلم شعراً من غير أن يقصد إليه وهو يدل على غور الطبع والغريزة مثل قول ابن هرمة لبعض الحجاب :

باللهِ ربك إن دخلت فقل له   هذا ابن هرمة واقف بالباب

الإغــــــراب

ص١٣٢ : قال قدامة هو أن يكون المعنى مما لم يسبق إليه على جهة الاستحسان فيقال ظريف وغريب إذا كان فرداً قليلا فإذا كثر لم يسم بذلك ومنه :

وما لبس العشاق ثوباً من الهوى   ولا بدلوا إلا الثياب الذى أبلىٰ

وما شربوا كأساً من الحب مرة   ولا حلوة إلا وشربهم فضــــــلى

الظرافة والسهولة

ص١٣٢ : أشعار العرب والمحدثين قد ورد فيها الظريف السهل كقول بعضهم :

هوى صاحبى ريح الشمال إذا جــــرت   أشهى لقلبى أن تهب جَنوبُ

يقولون لو عزيت قلبك لا رعوى   فقلت وهل للعاشقين قلــــــوب

باب الأقسام

ص١٤٠ : اعلم أن محاسن الشعر الأقسام الشريفة للمعانى اللطيفة مثل قول النابغة :

نبيت أن أبا قابوس أوعــدنى ولا قرار على زار من الأســد
ما إن أتيت بشيء أنت تكرهه إذا فلا رفعت ســوطى إلى يدى

باب الغلط

ص١٤١ : اعلم أن الغلط هو أن يغلط فى اللفظ وما يغلط فى المعنى مثل قول زهير :

فينتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم يرضع فيفطم

أراد أحمر ثمود وهو عاقر الناقة وقد احتج له بعض العلماء فقال أراد عاد الأخرى كما قال الله تعالى : ﴿ وأنه أهلك عاداً الأولى ﴾ فدلّ على أن ثمود الأخرى.

التفريط

ص١٤٦ : اعلم أن التفريط هو أن يقدم الشاعر على شيء فيأتى بدونه فيكون تفريطاً منه إذا لم يكمل اللفظ أو يبالغ فى المعنى وهو باب واسع عليه يعتمد النقاد من الشعراء... الخ.

باب الفساد

ص١٤٧ : اعلم أن الفساد هو فساد المجاورة والتشبيه أو غير ذلك يقصده الشاعر... الخ.

باب التضييق والتوسيع والمساواة

ص١٥٤ : اعلم أن النقاد قالوا أن يكون اللفظ على قدر المعنى ولا يكون أطول منه ولا أقصر ولذلك قالوا خير الكلام ما كانت ألفاظه قوالبا لمعانيه فمتى كان اللفظ أكثر من المعنى كان الكلام واسعاً وضاع المعنى فيه.

باب التهجين

ص١٥٦ : وهو أن يصحب اللفظ والمعنى لفظ آخر ومعنى آخر يزرى به ولا يقوم حسن أحدهما بقباحة الآخر فيكون كمدح بعضهم لعبد الله البجلى حيث قال :

يقال عبد الله من بجيله نعم الفتى وبئست القبلية
فقال عبد الله ما مدح من هجى قومه

باب الرشاقة والجهامة

ص١٦١ : أما الجهامة فهى الكلمات القبيحة فى السمع وأما الرشاقة فهى حلاوة الألفاظ وعذوبتها كما قال الشنفرى :

لتقرعن على السنّ من ندم إذا تذكرت منى بعض أخلاقى

باب الكشف

ص٢١٤ : وهو أن يكشف المتبع معنى المبتدع إذا كان فيه شيء من الخفاء

باب التقفية

ص٢٨٤ : وهو أن يأتى ذكر نكتة أو خبر أو غير ذلك يرمى إليه الشاعر أو الناثر مثل قوله تعالى: ﴿ فيهن قاصرات الطرف ﴾ فإنه يرمى إلى قول امرىء القيس :

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الإتب منها لأثرا

باب التلطف

ص٢٨٤ : وهو أن يلفق كلاما مع كلام آخر فيولد من الكلامين كلاما ثالثا كما روى عن مصعب بن الزبير أنه وشم على خيله: (عدة) فلما أخذها الحجاج كتب عليها (الفرار). *انتهى كتاب بديع ابن منقذ*

كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم

لضياء الدين أبى الفتح نصر الله بن محمد الشهير بابن الأثير

يعد هذا الجانب من جوانب الدربة الأدبية التى تهدف إلى إجادة الأديب فى فنين معاً هما الشعر والنثر فينثر الشعر وينظم النثر شعراً وقد اهتمت بيئة أقصى المشرق ممثلة فى الثعالبى بهذه الدربة الأدبية والتى تتناثر نماذجها بوفرة فى مؤلفات الثعالبى كلها ولقد حذت بيئة الشام حذو بيئة أقصى المشرق فى هذا السبيل ممثلة فى ابن الأثير فى كتابه (الوشى المرقوم) إذ يوضح هذا فى مقدمته قائلا :

كتاب (الوشى المرقوم فى حل المنظوم)

تصنيف الوزير الأجلّ العالم الفاضل

ضياء الدين أبى الفتح نصر الله بن محمد الشهير بابن الأثير

طبع بمطبعة ثمرات الفنون سنة ١٢٩٨ هـ

ص ٢ : ... أما بعد فإن لكتابة الإنشاء لباً وقشرا. وبطناً وظهراً وقد

وجدت الناس فيها على طريق قد سمج غابرها. وطرقت حتى استوى في المعرفة بها جالها وخابرها. وكانوا في ذلك كمن عدل عن أصول الشيء إلى
ص ٣ : فروعه وورد ثغب الماء دون ينبوعه. ولما عنيت بهذا الفن لامسته فوجدته خشن اللمس إلا أن الله منحنى فيه أدباً لا يحصل بأدب الدرس. وجعل غدى فيه أفضل من اليوم ويومى أفضل من الأمس وأصحبته في معرفته كالذى قال وجهت وجهى لله بعد انتقاله عن الكوكب إلى القمر إلى الشمس. وهذه درجة الاجتهاد ولا درجة التقليد. وهي التي لا يتمكن الجديدان من أخلاق ردائها الجديد. وعمدة الأمر فيها أن تصرف الهمة إلى حل الشعر وآيات القرآن والأخبار النبوية فإن ذلك هو زبدة مخضها وخلاصة محضها ونجوم سمائها وجبال أرضها. ولئن سبقنى إلى حل الشعر سابق. وطرق ورده قبلى طارق. فإنه ركب إليه هجيناً لا هجاناً وظن خواطر فيه سميعه وبصيره وكانت صماً وعِميا. وليس كل بيضاء شحمة ولا كل بيان بحكمة. وما مثل من سبقنى في هذا الفن ومثلى إلا كما قال أبو تمام :

مثل العجوز التي ولت بشاشتها   وبان عنها شباب كان يحظيها
لزت بها ضرة زهراء واضحة   كالشمس أحسن منها عند رائيها

على أن كلا من الناس باستحسان ما يقوله مغرى. ولا يزال المرء في أمان من عقله حتى يؤلف كتاباً أو يقول شعراً. وهذا هو معيار الأفكار.
ص ٤ والمضمار الذى لا تسلم فيه الجياد من العثار. ولما ألفت كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. قصرت فصلا منه على ذكر هذه الطريق. وأتيت فيها بالمعاني الجليلة التي تفتقر إلى الهم الدقيق. غير أنى أحلت في مواضع منه على هذا الكتاب.

وجعلت لذلك رمز الاختصار ولهذا مكاشفة الأسباب. وقد وسمته بالوشى المرقوم في حل المنظوم وبنيته على مقدمة وثلاثة فصول.

الفصل الأول : في حل الشعر

الفصل الثاني : في حل آيات القرآن

الفصل الثالث : في حل الأخبار النبوية

فمن منحه الله طبعاً سليما ورام أن يأتي بالحكمة في بيانه حتى يعد قلمه حكيماً فليقتبس من نوره. وليطلب الهداية من جانب طوره. وليدمن النظر في خفايا رموزه. وليعلم أن الفني من هذا الفن في ثروة كنوزه وأول ما أبدأ به مقدمة الكتاب فأقول :

اعلم أن الكاتب يحتاج إلى التشبث بكل فن والنظر في كل علم وإرصاد السمع لمحاورات الناس فإنه لا يعدم من ذلك فائدة فإن كلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها وقد تتبعت أقوال الناس في محاوراتهم فاستفدت بذلك فوائد كثيرة حتى من أكار وفلاح وأعجمي من الأعجام الأغتام ومن يجرى مجراهم وقد تصدر كلمة الحكمة من الجاهل بمكانها ورب رمية من غير رام. وعلي كل حال فإن صاحب هذه الصناعة ينبغي له أن يعلم ما تقوله النادبة في المأتم وما

ص ٥ : تقوله الماشطة عند جلوة العروس وما يقوله المنادى في السوق على السلعة فدع ما وراء ذلك وليس فن الكتابة كغيره من فنون العلم فإن كل علم له حاصر وضابط ويرجع صاحبه فيه إلى المسطور فترى المذهبي أو الجدلي إما أن ينقل مسألة يستغني فيها وإما أن يجادل في مسألة فعليه أن ينقل نقل المسطور إن كان مذهبياً ويجيد في المجادلة بتحسين الكلام إن كان جدلياً فلذلك ترى النحوى فيما يدرسه في علم العربية وكذلك الحاسب والطبيب وغيرهما وأما الكاتب فإنه لا حاصر له فيما يحتاج إليه من فن الكتابة لأنه مكلف أن يأتي بما يقوله من ذات خاطره والمعاني المستخرجة من الخواطر كعدد الرمل إكثاراً أو القطر إدراراً فينبغي له على ذلك أن يطلع في هذه العلوم جميعها ولا أريد بذلك أن يكون عالماً فإن هذا غير ممكن وإنما ينبغي له أن يشم رائحة كل علم أو يتشبث منه بشيء يدخل في صناعته والخطب هذا كبير لكن وجدت خلاصته ما يحتاج الكاتب إليه ثلاثة أشياء :

الأول : حفظ القرآن الكريم.

الثاني : حفظ ما ينبغي له حفظه من الأخبار النبوية على أن الأخبار لا يمكن الإحاطة بحفظها كما يمكن الإحاطة بحفظ القرآن وإنما يأخذ منها ما يدخل في هذه الصناعة وهذا يحتاج إلى فضل معرفة وثاقب نظر حتى

ىؤخذ منه ما يؤخذ ويترك وكنت أتعبت نفسى زماناً فى ذلك حتى جمعت فيه كتاباً يشتمل على أكثر من ثلاثة أخبار النبوية كلها. ص ٦ : يحتاج إليه

فى أسباب الكتابة وكنت ألزم مطالعة ذلك الكتاب لزوم المحتفل. ولا أزال فى مطالعته كالحال المرتحل. حتى صار لدى منضوداً. وبلسان قلمى معقوداً. وكذلك ينبغى للترشح لهذه الصناعة

الثالث : حفظ الأشعار الكثيرة التى لا يحصرها عدد مما يكون كل بيت منه فى الجودة بمنزلة قصيدة من غيره ومن الناس من ذهب إلى الإكثار من حفظ الخطب والرسائل لمن تقدمه وأنا لا أرى ذلك لأمرين أحدهما أن لا يعلق بالخاطر شىء مما سبق إليه غيرى من أرباب الكلام المنثور. والآخر أن المعنى فى الكلام المنثور إذا نقل إلى معنى فى كلام منثور فربما يبقى شىء من ألفاظ المعنى الأول فيما يصوغه الآخر من ألفاظه ولقد خطرت على نفسى أن أحفظ شيئاً من رسائل الناس وخطبهم حتى أنى حظرت على نفسى حفظ شىء من مقامات الحريرى وخطب ابن بناته وهما عكاز أهل الزمان من متعاطى هذه الصناعة وكل هذا فعلته فراراً أن يعلق بخاطرى شىء من تلك الألفاظ والمعانى فإن قيل لم منعت من حفظ الكلام المنثور وحثثت على حفظ الأشعار والذى فعلت ذلك من أجله فى أحد الطرفين يلزمك مثله فى الطرف الآخر فالجواب عن ذلك أنى أقول أما الشعر فإنه أكثر من الكلام المنثور بأضعاف مضاعفة وليس نسبة أحدهما إلى الآخر نسبة إلى كثير فضلا عن نسبة كثير إلى كثير بل هى بالنسبة إليه كالرقمة فى ذراع الدابة أو الشامة فى جذب البعير والكلام المنظوم هو الذى كان ص ٧ : ديوان

أهل الفصاحة فى الزمن القديم إذا عددت منهم مائة شاعر لا يمكنك أن تعد خطيباً واحداً ثم استمر الأمر على هذه الصورة إلى زماننا هذا فاستغرق الكلام المنظوم جميع المعانى فكان الأخذ منه أولى وهو الذى وصف الله أهله بأنهم يهيمون فى كل واحة. والذى بعثنى على الانكباب على حفظ الشعر دون الخطب والرسائل أنى إذا أخذت معنى من معانى الشعر وأودعته رسائلى كنت قد نقلت من ضد إلى ضد وهو أخفى وأستر ولو فعلت ذلك فى

الكلام المنثور لكان نقل مثل إلى مثل وذلك أشهر وأظهر فباعثى إذاً على حفظ الأشعار دون الكلام المنثور كثيرة الشعر واستغراقه للمعانى ولأن الأخذ منه أستر وأخفى وقد دللتك أيها المرتشح لهذه الصناعة على ما دللت عليه نفسى وهذا من دأب ذوى الأديان وبه وصف رسول الله ﷺ حقيقة الإيمان واعلم أن ها هنا باعاً على ما نصصت عليه هو أقوى من الباعثين الأولين وذلك أن مرادى من صناعة الكتابة إنما هو طريق الاجتهاد لا طريق التقليد وإذا قصرت نفسى على النظر فى مكاتبات من تقدم فكأنما أكون قد حذوت حذوهم وهذا ليس من شأنى ولا أربى وإنما الأرب كله فى طريقة عذراء لم تفترع. ومذهب غريب لم يبتدع. وقد قلبت هذا الفن ظهراً لبطن فلم أجد السلوك إلى هذه الطريق إلا بتحصيل هذه الأسباب الثلاثة وهى :

حفظ القرآن الكريم وحفظ ما يقارب حجمه من الأخبار النبوية التى

ص ٨ : تدخل فى باب الاستعمال وأهل مكة أخبر بشعابها وحفظ الأشعار الكثيرة على ما تقدم ذكره فإذا حصلت هذه الأسباب الثلاثة وأتقن تحصيلها أخذ صاحبها فى فن الكتابة يهب ويركد ويقوم ويقعد. ويصدر ويورد. ويخلط الصحيح بالسقيم. ويمشى مكباً على وجهه ثم سوياً على صراطٍ مستقيم. وفى أول الأمر لا يرى إلا صعوبة ووعورة وطريقاً مشكلة المذاهب كثيرة الشعاب فإذا أكره خاطره على سلوكه وشجعه على توردها فما تمضى به إلا هنيهة حتى يستمر به الطريق ويتضح لديه وأخلق بتلك الطريق أن تكون بديعة غريبة لا تشبه شيئاً من طرق المتقدمين وهكذا فعلت أنا فى فن الكتابة وربما سلك هذه الطريق قوم بعد تحصيل ما أشرت إليه من حفظ القرآن الكريم والأخبار والأشعار ثم تظلم فى وجوههم فى مبدأ الأمر فيعودون عنها ولا يدرون الحلاوة من المرارة أو التعب على منازل العليا أمارة.

الفصل الأول
فى حل الشعر

قد تقدمت القول بأن صاحب هذه الصناعة يحتاج إلى حفظ دواوين كثيرة لفحول الشعراء فإذا فعل ذلك فليدمن فى حل الأبيات الشعرية زماناً طويلا حتى تحصل له الملكة ليكون إذا كتب كتاباً أو خطب خطبة جاءته المعانى سانحة وبارحة وواتته السرعة فيما ينشئه ص ٩ : ذلك

ولا يحول بينه وبين الإبطاء وهذا شيء حصل بالتجربة فخذ فى ذلك ما قبلته التجربة لا ما قالته الألسنة اختياراً. وحدثنى عبد الرحيم بن على البيسانى رحمه الله بمدينة دمشق فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وكان إذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية فقال : كان فن الكتابة بمصر فى زمن الدولة العلوية غضاً طرياً وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من رئيس يرأس مكاناً وبياناً. ويقيم لسلطانه بقلمه سلطاناً. وكان من العادة أن كلا من أرباب الدواوين إذا نشأ له ولد رشيد شيئاً فى علم الأدب أحضره إلى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع قال : فأرسلنى والدى وكان إذ ذاك قاضيا بثغر عسقلان إلى الديار المصرية فى أيام الحافظ وهو أحد خلفائها وأمرنى بالمسير إلى ديوان المكاتبات وكان الذى يرأس به فى تلك الأيام رجل ياقل له ابن الخلال فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته من أنا وما طلبتى رحب بى وسهل ثم قال : ما الذى أعددت لفن الكتابة من الآلات ؟ فقلت ليس عندى سوى أنى أحفظ القرآن الكريم وكتاب الحماسة. فقال : فى هذا بلاغ ثم أمرنى بملازمته. فلما ترددت إليه وتدربت بين يديه أمرنى بعد ذلك أن أحل شعر الحماسة فحللته من أوله إلى آخره ثم أمرنى أن أحله مرة ثانية فحللته. واعلم أيها الطالب لهذا الفن أن هذه الحكاية تحقق عندك ما أشرت إليك به وكنت حفظت من الأشعار القديمة والمحدثة ما لا أحصيه كثرة. ثم اقتصرت بعد ذلك ص ١٠ : على

شعر الطائيين حبيب بن أوس وأبى عبادة البحترى وشعر أبى الطيب المتنبى فحفظت هذه الدواوين الثلاثة وكنت أكرر عليها بالدرس مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعانى وصار الإدمان لى خلقاً وطبعاً فلا تقنع أيها الخائض فى هذا البحر الذى لا ساحل له إلا بأن تفعل ما فعلته وتسلك ما

سلكته. إلا أني لا أنصّ عليك بحفظ هذه الأشعار الثلاثة بعينها فإن في الأشعار كثرة ولكل نظر واجتهاد وإنما ذكرت لك ذلك لتعلم وعورة هذه الطريق وطولها فتأخذ للأمر أهبته وتوفيه رتبته والله الموفق وبه الحول والقوة. وهذا الموضع النصيحة فيه للمتعلم وذاك أني قلبت الأشعار تقليب السماسرة للمتاع. ووزنتها بالقيراط وكلتها بالمد والصاع. وما عدلت إلى الطائيين والمتنبي إلا عن نظر ولا آثرتهم إلا أخذاً بالعين لا بالأثر وكنت سافرت إلى مصر سنة ست وتسعين وخمسمائة ورأيت الناس منكبين على شعر أبي الطيب المتنبي دون غيره فسألت جماعة من أدبائها عن سبب ذلك وقلت إن كان لأن أبا الطيب دخل مصر فقد دخلها قبله من هو مقدم عليه وهو أبو نواس الحسن بن هانيء فلم يذكروا لي في هذا شيئاً. ثم إني فاوضت عبد الرحيم بن علي البيساني رحمه الله في هذا فقال إن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس ولقد صدق فيما قال واذكرني بقوله هذا كلا ما كنت جاريت فيه بعض الأدباء بالموصل. وقد سألني عن الكاتب من هو ومن الذي يستحق هذا الاسم فقلت له الكاتب عندي ص ١١ : من

إذا كلفته أن يكتب عنك كتاباً في أمر من الأمور وأفضيت إليه بالمعنى جملة واحدة أخذه وفصله وأتى على وجه إذا تأملته قلت هكذا كان في نفسي ولكن لم أقدر أن أعبر عنه فهو ينطلق على خاطرك بما لا تقدر أنت أن تنطق به فهذا هو الكاتب الذي يطلق عليه اسم الكاتب فاستحسن مني غاية الاستحسان. وحيث انتهى القول بنا إلى ها هنا فلنأخذ في بيان حل الشعر وتفصيل أقسامه. فنقول حل الشعر ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول

وهو أدناها مرتبة أن تحل الشعر بلفظه وهذا لا فضيلة فيه وقد يجيء منه ما عليه مسحة من جمال وذلك نذر يسير إلا أن الغالب على ما يحل بلفظه أن يأتي غثاً بارداً عليه قرة البلل وفترة الخمل ومثاله كمن بناء ثم أخذ تلك الآلات المهدومة فأنشأها بناء آخر فإنه يجيء حينئذ مخلولق البناء لا محالة وكان الأولى به أن ترك تلك الآلات واتخذ آلات أخرى لتكون أحسن منها وأجمل وهذا لا أعده من صناعة حل الشعر في شيء على أني أجيزه للمتبديء فإنه لا يستطيع إلا ذلك فأما إذا حصل الإدمان وساعده الإمكان

فإنى أحظر عليه ما أجزته له أولا وافتيه بأنه لا يجوز له حل المعانى بالشعر بلفظها بعينه وأيسر ما فى ذلك من العيب أنه ينادى على نفسه بالسرقة لا سيما إذا كان الشعر أشعار السائرة فإنه ص ١٢ : يذكر

لفظ الأبيات المحلولة منه يعلم مكانة ولما طالت ممارستى لهذا الفن عقدته وصلابته وانكشفت خباياه لكثرة ما غربلته ونخلته وقد وجدت من الأشعار ما لا يجوز تغيير لفظه وهو عدة أنواع الأول كل بيت يتضمن مثلا من الأمثال فإذا أريد حله لزم منه أن لا يخرج عن اللفظ فمن ذلك قول أبى تمام :

لقد أسف الأعداء مجد ابن يوسف وذو النقص فى الدنيا بذى الفضل مولع

ومنها قول أبى الطبيب المتنبى :

لعل عقبك محمود عواقبه فربما صحت الأجسام بالعلل

وكلما يأتى على هذا المنهاج فإنه لا يجوز حله إلا بلفظه وهو الأحسن وذلك لأمرين أحدهما شائع المثل وألفة الناس إياه والآخر لأن الأمثال لا ترد فى الكلام إلا قليلة جداً وإذا ظفر الشاعر المفلق بشىء منها عسر على غيره أن يأتى بمثله وإن أخاه فى المعنى عسر عليه أن يواخيه فى اللفظ فلهذا اخترت حل أبيات الأمثال بلفظها لا سيما أمثال الأخبار النبوية كقوله ﷺ « إنَّ من البيان لَسحراً » وقوله « لا يحلُّ لامرىءِ يؤمن بالله واليومِ الآخر أن يسقىَ ماؤه زَرع غيره» وهذا مثل ضربه للنساء الحبالى وقوله «مثَل الجليس الصالح وجليس السوء مثل حامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أنَ يبعك وإما أن يجديك أو تجد منه ريحاً ص ١٣ : طيبة

ونافخ الكير إما أن يحرق ثوبك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثَة » وأشباه هذا كثيرة فى الكلام النبوى. وأمثاله فى القرآن الكريم تجرى هذا المجرى كقوله تعالى ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح، وكان الله على كل شىء مقتدراً﴾ الآية وكقوله تعالى : ﴿ أنزلَ من السماء ماءً فسالتْ أوديةٌ بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما توقدون عليه فى النار ابتغاء حليةٍ تلبسونها زبد مثله ﴾ وأمثال هذا فى القرآن كثير واعلم أن أمثال العرب لا يتغير ألفاظها أيضاً كقولهم « إن تسلم الجلة فالنيب هدر» وقولهم «إن ترد الماء بماء أكيس» وهو مثل يضرب فى الحزم. وكقولهم «اليوم خمر وغداً أمر» وكقولهم « كل

الصيد في جوف الفرا» وأشباه هذا أيضاً كثيرة وقد نثرت هذه الأمثال المشار إليها جميعاً على التوالى.... (١)

ص ١٧ : .... إذا أردت أن تحل الأمثال الشعرية بألفاظها فيجب عليك أن توافي بينه وبين الألفاظ التي تضمنها إليه وتبنيها عليه وفي ذلك صعوبة إلا على من يسره عليه الإدمان وأتاه الله طبعاً مجيباً وأقدره على اجتلاب المعاني من مواطنها ونحت الألفاظ من معادنها.

ص ١٨ : .... وإذا شئت أن تحل أبيات الأمثال فحافظ على أمثالها كما أريتك في هذا الموضع وقد يمكن تبديل ألفاظها بما هو في معناها كقولنا في بيت أبي تمام والوضيع بالشريف مولع أو والجاهل بالعالم مولع أو غير ذلك وكقولنا في بيت أبي الطيب المتنبي وقد تصح الأجساد بالأمراض أو قد تشفى الأجساد بالأسقام إلا أن ذلك لا يحسن في مثل هذا الموضع لوجوب المحافظة في الشعر لأنها قد شاعت في أيدى الناس ودارت على ألسنتهم فإذا غيرت وجيء بما هو في معناها لم يكن المثل ذلك المثل والغرض إنما هو المثل بعينه لا غيره.

النوع الثاني

من الأبيات التي لا يجوز تغيير لفظها وهو كل بيت تضمن ذكر قصة مشهورة وينبغي أن يحافظ على ألفاظها عند حلها...

ص ١٩ : النوع الثالث

من الأبيات التي لا يجوز تغيير لفظا وهو كل بيت تضمن ذكر ألفاظ يخص بها علم من العلوم من نحو أو حساب أو طب أو غير ذلك.

ص ٢٢ : النوع الرابع

من الأبيات التي لا يجوز تغيير لفظها وهو كل بيت تضمن ذكر قبيلة من القبائل أو بيت من البيوت المشهورة فإذا ورد مثل ذلك في الشعر فلا يرد إلا لفائدة اقتضت ذكره فينبغي أن يذكر كما جاء في الشعر أما القبائل فكبني ثعل في اشتهارهم بالإصابة في الرمي وأما البيوت فكبني عبر المدائن في الاشتهار بالتقدم والرياسة فيجب على الناثر أن يورد هذا

ص ٢٣ : وما يجرى مجراه على هيئته لكن ينبغي له أن يتصرف في صوغ

الألفاظ بالتقديم والتأخير والزيادة فيها على حسب ما يراه ولابد ها هنا من ذكر مثال واحد فيستدل به على أمثاله وأشباهه.

النوع الخامس

من الأبيات التى لا يجوز تغيير لفظها وهو كل بيت تضمن ذكر معنى من معانى التشبيه وذلك لأن التشبيه الوارد فيها يكون بلفظ مخصوص دال على معنى مخصوص وإذا غير لفظه زال ذلك المعنى.

ص ٢٥ : النوع السادس

من الأبيات التى لا يجوز تغيير لفظها وهو كل بيت صيغ بلفظ بلغ الغاية القصوى فى البلاغة فإذا أبدل بغيره من الألفاظ أفسد لأنه لا يأتى إلا منحطاً عنه ونازلا دونه وهذا لا تكاد تراه فى الشعر إلا قليلا فإن الشاعر المغلق قلما يصح له ذلك وربما كان فى شطر بيت ولا يكون بيتاً كاملا

ص ٢٧ : النوع السابع

من الأبيات التى لا يجوز تغيير لفظها وهو كل بيت استعمل فى التجنيس وهو الألفاظ المشتركة التى يكون لفظها واحداً ومعناها مختلفاً

ص ٢٨ : النوع الثامن

من الأبيات التى لا يجوز تغيير لفظها وهو كل بيت استعملت فيه ألفاظ المطابقة كاللفظ الدال على ضده من السواد والبياض والضحك ص ٢٩ والبكاء وما يجرى مجراه

ص ٣٠ : من الأبيات التى لا يجوز تغيير لفظها وهو كل بيت ينحصر معناه فى مقصد من المقاصد كقول أبى الطيب المتنبى :

فتبًا لدين عبيد النجوم ... ومن يدعى أنها تعقل
وقد عرفتك فى بالها ... تراك تراها ولا تنزل
ولو بتما عند قدريكما ... لبت وأعلاكما الأسفل

فقوله عبيد النجوم وأنها تعقل وقوله الأعلى والأسفل فإن هذه الألفاظ لابد من إيرداها كما ذكرت إذ لو غيرنا لفظة النجوم بلفظة الكواكب التى هى فى معناها لما حسن ذلك إذ الاشتهار إنما هو للنجوم وعلم النجوم ومن يقول أنها تعقل أو لاتعقل وكذلك الأعلى والأسفل فإن هذين اللفظين لا

يعتاض عنهما بما هو مثلهما.

ص ٣١ : (... هذا القدر كاف فى هذا الموضع لأنه كتاب تعليم وتمثيل لا كتاب تكثير وتطويل)

النوع العاشر

من الأبيات التى لا يجوز تغيير لفظها وهو كل بيت تضمن ألفاظاً فرائد فى محلها لا يسد غيرها مسدها بحيث إذا بدلت بما يرادفها تداعى بناء البيت وانهدم معناه فمن ذلك قول امرىء القيس :

وقد اغتدى والطير فى وكناتها   بمنجرد قيد الأوابد هيكل

فإن ألفاظه من وكنات ومنجرد وأوابد وهيكل فرائد فى مكانها لا يسوغ تبديلها بغيرها بل إذا أريد حله وجب أن يحافظ على تلك الفرائد

ص ٣٢ : وحيث انتهى بنا القول إلى ها هنا ونبهنا على هذه الأسرار التى خفيت على كثير من أرباب هذه الصناعة فلنتبع ذلك بتمثيل أمثلة فى حل الشعر بلفظه...

ص ٣٥ : ... وهذا ليس من الفصل الذى هو حل الشعر بلفظه وإنما ذكرته ها هنا لأنه من أقران هذا المعنى والأقوال تتبع فى حل بعض الشعر دون بعض وهذا يجىء فى الأقسام الثلاثة من حله بلفظه وحله يبعض لفظه وحله بغير لفظه إلا أن وجود القسمين الأخيرين أكثر من وجود القسم الأول والسبب فى ذلك أن حل الشعر يبعض لفظه والتصرف فى البعض بلفظ آخر أو حله بغير لفظه فإن المجال يتسع فيه ولا يتقيد فيه بقيد

ص ٤٠ : القسم الثانى

فى حل الشعر ببعض لفظه وهذا هو الطريقة الوسطى وهو عندى أصعب منالا من الطريقة العليا التى هى حل الشعر بغير لفظه وسبب ذلك أنك إذا حللت شعر شاعر مجيد قد فتح ألفاظه وزينها وأجادها فى ص ٤١ ديباجه سبكها فإذا تصديت لفك نظامه فقد لزمت أن تواخى لفظه بمثله فى الحسن والجودة وهذا لا يسمو إليه إلا من غذى بلبان الفصاحة مرضعاً وعرف مواضعها فلم يجهل منها موضعاً. وإذا لم يأتى بالمماثلة والمؤاخاة بين لفظه ولفظ الشاعر فقد كشف عن عرضه لنائله. وعرض لحمه لآكله. وإن

حل الشعر بغير لفظه فقد آمن من هذه الصورة وقد أوردت ها هنا أمثلة من هذا القسم ليكون قدوة للمتعلم..

ص ٤٢ ... فى هذا الكلام معان مأخوذة من الشعر معان مبتدعة لم يسبقنى إليها شاعر ولا كاتب...

ص ٧٠ : كنت ألفت كتاباً فى ذكر أدعية مخصوصة ضمنته مائة دعاء مما توضع فى الكتب السلطانيات والإخوانيات وضمنت على نفسى أن أودع كل دعاء منها معنى آية القرآن أو خبر من الأخبار النبوية أو معنى بيت سائر أوكثيراً ما اشتمل الدعاء الواحد منها على هذه المعانى الثلاثة.

(ويعيد الإشارة إليه ص ٩٧ فيقول ابن الأثير ومما ينخرط فى هذا السلك ما أوردته فى صدور الكتب من الأدعية وقد عرفتك فيما تقدم من هذا الكتاب أن أنشأت مائة دعاء وأودعت كلاماً من القرآن أو خبر من الأخبار النبوية أو معنى بيت سائر وأفردت لتلك الأدعية كتاباً يخصها).

ص ٧٠ : القسم الثالث

فى حل الشعر بغير لفظه. وذلك هو الطبقة العليا وهو أخفى لأمره وهو الذى لا يعلم من أين أخذ الناثر وإن علم كان فى موضع الاستهجان ومن المعلوم أن الآخرة لا يستغنى عن الاستفادة من الأول ولأن هذه الفضيلة اختص بها الأول دون الآخر لأنه سبق زماناً فسبق إلى استخراج المعانى إذا جاء الآخر بعد هذه واستخراج تلك المعانى كما استخرجها قبل هذا أخذ من ذلك ومازال أرباب النثر يتناقلون المعانى مناقلة ويتداولونها مداولة والفضيلة إنما تنفع فى سبك الألفاظ وإبرازها فى جلية رائعة وخواطر الناس متشاكلة فى الوقوع على المعانى وكثيراً ما يقع للآخر كما يقع للأول من غير وقوف على ما ذكره الأول وقد جربت هذا فى معان كثيرة فكان يقع لى معنى ثم أجده بعد ذلك فى كلام من تقدمنى وكثير من الناس يستوعرون الطريق فى نقل الكلام من لفظة إلى لفظة أخرى. وهذا القسم الثالث من حل ص ٧١ الشعر الذى هو نقل المعنى من لفظ إلى لفظ آخر وعر عندى وأضيق مجالا وذلك أن نقل الكلام من لغة إلى لغة يسهل بسبب أن ألفاظ غير ألفاظ هذه ولا يحتاج العارف بألفاظ اللغتين أن يرتاد ألفاظاً مترادفة يعبر بها فى نقله فإن أكثر ما يستعمل فى هذا الموضع من الألفاظ إنما هو الألفاظ المترادفة التى هى

أسماء كثيرة واقعة على مسمى واحد ثم إذا كان ناقل المعنى من لفظ إلى لفظ عارفًا بذلك فيحتاج مع هذه المعرفة إلى معرفة أخرى فوقها وهي اختيار الألفاظ المترادفة الذى هو متصف بأوصاف الفصاحة وهذا لا يحتاج إلى تطلبه فى نقل لغة إلى لغة أخرى فإن لهذه ألفاظًا ولهذه ألفاظًا فإذا أراد نقل المعنى من لغة إلى لغة غيرّ هذه الألفاظ من غير كبر كلفة.

ص ٧٢ .... فمن ذلك ما ذكرته فى وصف الكريم وهو قطعت مواهبه إلى مدى البلاد ولم أقطع إليه مدى. ومدت يدها نحوى ولم أمدد نحوها يدا فهى المسافرة إلى مقيم. وطاردة الإعدام عن كل عديم. والكريمة إذا غدا صوب الغمام وهو لئيم. فشكرى لها شكران شكر على العطاء وشكر على السرّع. ومن أحسن أوصافها تأتى للصنع لا للتصنيع. وهذا مأخوذ من قول أبى الطيب المتنبى :

وأنفسهم مبذولة لوفودهم   وأموالهم فى دار من لم يغد وفد

إلا أنى غيرت هذه الألفاظ ونقلتها إلى صورة أخرى مع ما أضفته إلى المعنى من الزيادات وهذا ضرب من الكيمياء والذى تقدم ذكره

ص ٧٥ : ومن هذا القسم ما ذكرته فى كتاب يتضمن تعزية وتهنئة لملك قام فى الملك الرضى فى قوله : ... وفى الذى ذكرته من الزيادة ما لا خفاء به وهو من باب نقل المعانى الذى هو الكيمياء وقد تقدم ذكره.

ص ٧٨ : .... هذا المعنى ينظر إلى قول أبى تمام... وهو الذى قبله وما يأتى بعده من باب الكيمياء الذى هو نقل الأعيان.

ص ٨٠ : واعلم أن من هذا القسم الذى نحن بصدد ذكره ضربًا يقال له توليد المعانى وهو أخص بالكيمياء الذى يبدل صور الأعيان. ويبرزها فى عدة من الألوان. فتارة يخرج منها لؤلؤًا وتارة ياقوتًا وتارة ذهبًا وتارة فضة وهذا هو أشرف الدرجات فى حل المنظوم ولا يكاد يتفطن لمكان الأخذ منه بل يظن أن الناثر هو المنفرد بصوغ تلك المعانى غير أن الطريق إلى ذلك كثيراً الأشكال دقيق المسلك لا يستطيعه إلا من أقدره الله على سلوك مضايقه وثبت قدمه فى مزالقه. وقد مهدته لك ها هنا سهلته عليك إن كنت ذا خاطر جوال. ولسان قوال. فمن ذلك ما ذكرته فى فصل من كتاب يتضمن شكر بعض المنعمين.

ص ٨١ : وهكذا ينبغي أن تؤخذ المعاني على حكم الاختلاس لا على
حكم الافتراس. وعلى سبيل المسائرة لا على سبيل المجاهرة

ص ٨٢ : ومن هذا الضرب ما ذكرته في فصل من الفصول وهو .... وهذا
المعنى يسترق السمع من بيتين من الشعر لأبى تمام :

أرى فضل مال المرء داء لعرضه كما أن فضل الزاد داء لجسمه

فليس لداء العرض شيء كبذله وليس لداء الجسم شيء كحسمه

وقد تقدم ذكر هذين البيتين فى موضع آخر من هذا الكتاب وهو القسم الثانى من حل الشعر وقد أعدتهما ها هنا لأنى ولدت منهما معنى آخر وهذا هو الكبريت الأحمر الذى هو الكيمياء على الحقيقة.

ص ٨٥ : الفصل الثانى

فى حلّ آيات القرآن

اعلم أن القرآن بضاعته زاكية فإذا رزقها إنسان يديرها ويتهجد فيها ويحسن التجارة فى معانيها وألفاظها فإنه يستغنى بها عن غيرها وما ذلك شيء يرزقه كل أحد فكم فى الناس من حافظ للقرآن عالم بتفسيره ولكنه فى استعماله كالتاجر الجبان الذى لا يركب براً ولا بحراً وليس يسره منه على هذه الحال إلاعسراً وهذا الأمر قد لابسته ومارسته ودارسته فوجدته يحتاج إلى تلاوة داعية ومواظبة لازمة وكنت إذا مررت بسورة من السور يسنح لى فى حل معان فيها مآرب وأوطار وأظن أنى قد استوفيت ما أريده منها ثم أتلوها بعد ذلك فيسنح لى معان آخر غير تلك المعانى الأول وكذلك كلما تجددت التلاوة تجددت معان بعد معان فينبغى للمنتصب لفن الكتابة أن يتقن حفظ القرآن الكريم وإذا حصلت له الملكة التامة فى حل الآيات التى يحتاج إليها فى الخطب المكاتبات فحينئذ تنفتح لديه أبواب وتوصله أسباب إلى أسباب ويأتيه خاطره لما يكن له فى حساب.

واعلم أن كتاب الله هو أنصح الكلام وما ينبغى أن يسلك به سلك الأشعار فى حلها بل ينبغى أن يحفاظ على ألفاظه لعدم القدرة على مماثلتها ومشابهتها.

ص ٨٦ : لكن أخذ الآية بجملتها ليس من هذا الفن فى شيء لأنه من باب
التضمين وهذا الذى نحن بصدده ها هنا هو ضربان أحدهما أن

يؤخذ بعض الآية فيجعل أول الكلام أواخر والآخر أن يؤخذ معنى الآية وقد أوردت تلك فى هذا الفصل أمثلة لتسلك بها الطريق وتجعلها هادية لك إليه..

ص ٩٩ الفصل الثالث

فى حلّ الأخبار

والنبوية والخطب فى حفظ الأخبار غير الخطب فى حفظ القرآن وذاك أن الأخبار لا حاصر لها ولا ضابط وينبغى لصاحب هذه الصناعة أن لا يقتصر على حفظ الصحيح منها الذى ثبت صحته بل يحفظ الصحيح وغير الصحيح طلباً للاستكثار من المعانى التى تقتضيها الحوادث الطارئة والوقائع المتجددة وقد أكثرت الوصية فى هذا فيما تقدم ومن لم ينبه بخيره طبعه لم تنبه قوارع سمعه

والسـيف ما لم يلـف فيه صيقـل   من سـنخه لم ينتفع بصقال

وإذا أحوجك الفرس إلى حركة سوطه وغنانه   فإنه لا يبلغ الغاية من مديانه

واعلم أن حل الأخبار النبوية كحل آيات القرآن فى انقسامها إلى قسمين أحدهما أن يؤخذ بعض اللفظ فيجعل أولا لكلام أواخر والآخر أن يؤخذ المعنى وحده ويتصرف فيه بوجود التصرفات وقد أودرت لك ها هنا ما تجعله لوردك مساغاً ولذكرك بلاغاً

ص ١٠٧ : ... وهذا المعنى قد ذكرته بلفظ آخر وأوردته فى كتاب المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر.

العقد الفريد للملك السعيد

لأبى سالم محمد بن طلحة (١) النصيبينى (٢)

هذه رسالة فريدة من رسائل البلاغة العربية تجمع إلى المنظور النفسى كتابة وخطاباً الأنواع الأدبية كلها مبرزة أهم الصور البلاغية فى جو الروحانية الدينية والمثل الخلقية الرفيعة ونبرز فيما يلى أهم ما جاء بالمقدمة تصوراً لهذه النظرة وتأكيداً لها بمعالجة المؤلف لفصوله.

كتاب العقد الفريد للملك السعيد

تأليف أبي سالم محمد بن طلحة الوزير (١)

طبع مطبعة الوطن سنة ١٣٠٦ هـ

ص ٢ : بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير إلى مولاه الراجى عفوه ورضاه محمد بن طلحة غفر الله له وعفا عنه، الحمد لله حامى حوزة بلاده، بملوك اجتباهم لحراسة عباده، وحباهم من ألطاف أمداده، بلطائف أفراده وصلواته على رسوله محمد المصطفى الذى جاهد فى الله حق جهاده، حتى ثقف من الإسلام أود مناده، صلاة ينجو بها قائلها من عناده، ويكررها على تعاقب أحقاب الزمان وآباده. وبعد فإن القلم إذا جرى فى القدم بتأييد الله وإسعاده، من اختصه من ملوك الدنيا بالمزايا الشريفة فأخباه من غراس سعيه ثمار مراد، وأيقظ طرف عزمه فى مكارم الأخلاق فتنبه من وسن رقاده، وركض طرف فهمه فى مضمار الوقائع فأدرك غامضها بجرى جواده، حتى يرى أن استعباده رقاب الأحرار بإسداد طارف إحسانه وتلاده، واستنفاده فى إحياء سنة العدل وإماتة سنة الظلم غاية جهده ونهاية اجتهاده.

ص ٣ : أنفع ذخائره التى تعيدها من عتاده لمعاده، فلا جرم يمنحه كل ذى فضل ونهى ثناء لسانه وشكر فؤاده، ويمحضه كل ذى زهد وتقى بقسط من صالح دعائه فى وظائف أوراده، كالمقام الكريم العالى المولوى السلطانى الملكى السعيدى النجمى أفاض الله عليه من لباس

---

(١) محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن، الشيخ كمال الدين أبو سالم القرشى العدوى النصيبينى مصنف كتاب العقد الفريد، ولد سنة اثنين وثمانين وخمسمائة، تفقه وبرع فى المذهب، وسمع الحديث بنيسابور من المؤيد الطوسى وزينب الشاعرية وحدث بحلب ودمشق، روى عن الحافظ الدمياطى ومجد الدين بن العديم وكان من صدور الناس، ولى الوزارة بدمشق يومين وتركها وخرج عما يملك من ملبوس ومملوك وغيره وتزهد، توفى ابن طلحة فى سابع عشر من رجب سنة اثنين وخمسين وستمائة».

السبكى : طبعات الشافعية الكبرى ص ٢٦ المطبعة الحسينية بمصر

(٢) نصيبين معجم البلدان: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشامل

ونصيبين أيضاً : قرية من قرى حلب.

ونصيبين أيضاً : مدينة على شاطىء الفرات كبيرة تعرف بنصيبين الروم.

قونية : من أعظم مدن الإسلام بالروم

التأييد فلاف أبراده وراض جوامع الأقدار لطاعته لتكون من أعوانه وأجناده وجعل طلى

أضداده، وكلى حساده يوم جلاده أغماداً لحداده، فإنه لاما تولاه الله بعين عنايته فى إصداره وإيراده، وحباه من خفى ألطافه بشرف نفس شفع به شرف ميلاده، وآتاه زمام ذلك كله فأذعن له الإقبال بأصحابه وانقياده :

ودرت له أخلاف كل سـجية نماها إلى العلياء طول نجـاده

وحاز رهان السبق فى حلبة العلى بذى شرف من صافنات جياده

وانضاف إلى ذلك أن غمرنى فى الأيام السالفة من طيب إحسانه بمدراره ومنحنى من سيب عطائه بتياره وأنزلنى من قلبه الشريف على تعهد عهدى بمقامه الكريم المنيف منزلة فرضت علىّ ترتيب حمده بتلاوته وتكراره فالإنسان إن لم يشكر المحسن إليه فإنه لكنود وإنه إن جمح إلى الإنكار والجحود فهو من آثار المبادىء التى شملته بين شاهد ومشهود فرأيت أنتى لا أقوم فى هذا المقصد المطلوب والمطلب المقصود بشكر سيل إحسانه السابغ البرود وحمد منهل إنعامه الشائع البرود إلا بتأليف كتاب تكون جواهر معرفته أزين لعارفه من حلى العقود ويزداد العالم به مهابة وجلال لا سيما يوم ضحور الجمع ووفود الوفود ويطلع بمطالعته على قيم الحاضرين بين يديه فى كل صدور وورود ويكون على الحقيقة خلاصة الصفات البشرية وزبدة الأخلاق الإنسانية التى عليها مدار قطب شرف السجايا وبها تدر أخلاق كرم المزايا وهى شجرة مثمرة لإبانة الأخلاق التى بها سعد الفارسون وفى مثلها فليتنافس بحقه الذى يقصر عن حقه فصاحة لسان الواصف وأنا أرجو من الله تعالى أن يجعله كتاباً تقر بمطالعته العيون وتصدق فى انتاجه الظنون فإنه فى جمع فرائد الفرائد ونوادر المقاصد كالفلك المشحون كلما قرأ منه مطالعة شيئاً دفعه إى حديث ذى شجون وحيث صنفته برسمه ووسمته باسمه سميته (بالعقد الفريد للملك السعيد) وجعلته مشتملا على مقدمة وقواعد.أما المقدمة

ص ٤ : فهى الغرض المطلوب من هذا الكتاب والحكمة المقصودة من مطالعته والحث على إدمان قراءته وملازمة النظر فيه وفى أمثاله (فأقول والله الموفق).

(مقدمة الكتاب)

قد ترشح فى أذهان أهل الدراية والعرفان وثبت عند ذوى العقول بالدليل

والبرهان أن الإنسان وإن كان نوعاً من الحيوان فهو العالم الأصغر فإن الله تعالى خلقه وركب فيه من القوى المختلفة والأخلاق المتناسبة والشهوات الغالبة ما يقتضى خروجه فى أكثر الأوقات عن الدوام على حالة واحدة فهو إن رأى تمكنه واستغناءه ظهرت عليه دلائل الطغيان ومخايل التجبر ودليله من القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ إنَّ الإنسان ليطغى أنْ رآه استغنى ﴾ وإن رأى عجزه واحتياجه ظهرتٍ عليه دلائل الضعف والاستكانة ودليله من التنزيل قوله تعالى ﴿ وخلق الإنسانُ ضعيفاً ﴾ وإن رأى كمال يقظته ورزانة عقله ومواقع تدبيره خدعته نفسه ولربما أوقعته أفكاره فى الوساوس والتقديرات وألفته ريح وهمه فى أودية الخيالات لاستعمال المخادِعات ودليله من التنزيل قوله تعالى ﴿ ولقد خلقنان الإنسان ونعلمُ ما توسوس به نفسه﴾ وإن رأى عجزه عن تكميل مطلوبه وخوفه من فوات مأموله ظهرت عليه مخايل التفتيش فأسرعت به إلى التلبس بالأمور وقبل وقت تمامِهاِ وحملتِهِ إلى مباشرة الأشياء قبل إبرامها ودليله من التنزيل قوله تعالى ﴿خلقَ الإنسانُ من عجلٍ﴾ وباعتبار هذه الأسباب والقوى حصل فيه التضاد فتارة يكون مسروراً وتارة محزوناً وتارة منبسطاً وتارة منقبضاً وتارة راضياً وتارة ساخطاً وتارة شجاعاً وتارة جباناً وتارة جواداً وتارة بخيلا وتارة قوياً وتارة ضعيفاً وتارة مطيعاً وتارة عاصياً وتارة مستقيظاً وتارة غافلاً وتارة ذاكراً وتارة ناسياً وتارة متجاوزة وتارة منتقماً فما من صفة من هذه الصفات وحالة من هذه الحالات إلا والإنسان معرض لها ولنقيضها وقد أشار أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى بعض كلامه إلى كشف الغطاء عما عليه الإنسان من اختلاف حالاته وتضاد صفاته على الوجه الذى شرحناه والتقسيم الذى أوضحناه قال عليه السلام : « أعجب ما فى الإنسان قلبه له مواد من الحكمة وأضداد من خلافها إن سنح له الرجاء أذله الطمع وإن هاج به الغضب اشتد له الغيظ وإن أسعف بالرضا نسى التحفظ وإن ناله الخوف فضحه الجزع وإن استفاد مالا أطفأه الغنى وإن غصته فاقة ص ٥ شغله الفقر وإن جهده الجوع أقعده الضعف وإن أفرط فى الشبع كظته البطنة وكل تقصير به مضر وكل إفراط له مفسد» فقد وضح ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام فى هذه الكلمات التى هى جواهر الكلم وغرر الحكم صحة ما ذكرناه من استعداد النفس البشرية لأنواع من الأخلاق والشيم وقد جعل الله سبحانه لكل صفة منها سبباً يحدثها وموجباً يقتضيها وهى تنقسم إلى صفات

حسنة مرغوب فيها : كالسرور والانبساط والرضا والشجاعة والجود والقوة والإحسان والطاعة والتيقظ وغير ذلك من الصفات الحميدة والأخلاق المرضية وإلى صفات مذمومة وحالات قبيحة تنفر النفس المطمئنة عن التحلى بشيء منها كالحزن والاقتباض والسخط والجبن والبخل والضعف والاساءة والمعصية والغفلة وغير ذلك من الصفات المذمومة والأخلاق الرديئة فلا جرم من أراد يحصل له شيء من الحالات المرغوب فيها والصفات الممدوح صاحبها سعى فى تحصيل السبب المقتضى لذلك ومن أراد إزالة شيء من الحالات المذمومة والصفات القبيحة سعى فى إزالة سببه أو فى تحصيل يقتضيه فإنه إذا حصلت له الصفة الحميدة زالت عنه الصفة القبيحة المناقضة لها ولا يمكن ذلك إلا بعد معرفة الأسباب فلا جرم كانت مطالعة هذا الكتاب المشتمل على معرفة هذه الأسباب وملازمة قراءته تؤدى إلى تحصيل المرغوب وتدفع المرهوب فحينئذ يتصور فى النفص صورة ذلك السبب المقتضى للحالة المحمودة المرغوب فيها فيقسم بها وصورة ذلك السبب الموجب للحالة المذمومة المرهوب عنها فيبعد منها ويحصل له من المعرفة الأسباب وتفاصيل لوازمها علم يستحضر به أجوبة ما يسأله عنه وما يجرى بين يديه من أنواع المخاطبات وأصناف المحاضرات إذ كم من ملك يختلف لديه عظائم الأمور ويتعارض بين يديه أسباب الحزن والسرور ويرد عليه رسل ملوك الأطراف بمختار ومحذور فيحتاج فى ذلك إلى رد وقبول وعلو ونزول وإشراق وأفول وإسعاف بمأمول وإيصال لمقطوع وقطع لموصول بحسب ما تقتضيه مصلحة المملكة التى لا يجوز عنها صدوف ولا عدول فإذا عرف أصول قواعد الأسباب ومحصول عقائد ذوى الألباب وضح له على الحقيقة صواب الجواب وأتى بالغرض المطلوب فى هذا الباب ونطق بما يشهدك بأ الله تعالى قد آتاه الحكمة وفصل الخطاب فمن طالع ما قدم اشتمل عليه هذا المصنف من المقاصد وأدمن

ص ٦ : الفكر فيما يتضمنه من الحكم الشوارد وحلى جيد فكره بجواهر ما فيه من فوائد القلائد وبنى عقيدته وعبادته على ما فيه من قواعد العقائد واقتضى سيرة من عرض بذكره من العظماء الأماثل والملوك الأماجد حصل لنفسه زيادة شرف توجب تعظيمه ونبله واستفاد به نباهة تشفه فى افتراع ذوى الفخار أصله وتزكى فعله ويحقق بذلك أنه قد رزق فضل عنايته من الله سبحانه فإنه يؤتى كل ذى فضل فضله. وحيث انتهى القول فى

المقدمة إلى هذا المقام فلنشرع الآن فى بسط الكلام وشرح القواعد المشتملة على إتمام المرام فنقول مقصود ما أردت الإشارة إليه وثمرة ما وقع التنبيه عليه يحصل بأربع قواعد كل قاعدة منها تشتمل على جواهر إذا نظمت فى عقود الأجياد ظهر حسن وجهها الوسيم ورجح وزنها فى نظر الخبير العليم وشهدت للمتحلى بها أنه لعلى خلق عظيم

- (وهذا تفصيلها)

القاعدة الأولى : فى مهمات الأخلاق والصفات

القاعدة الثانية : فى السلطنة والولايات

القاعدة الثالثة : فى الشرائع والديانات

القاعدة الرابعة : فى تكملة المطلوب بأنواع من الزيادات

ص ٢٢٧ : (تنبيه وإشارة) كما أن الانقطاع إلى الله طالب لعبادته والزهادة فى الدنيا للتفرغ لطاعته طريق موصل إلى النجاح من أليم عقوبته ووسيلة إلى الفوز الأكبر بدخول جنته وعنوان سعادة لسالكه بتوفيقه وهدايته فقد جعل الله لهذا الطلب الأعظم طرقاً أخرى وأقام لها أقواماً شرح لكل واحد منهم لسلوكه صدراً وفاوت أعمال مراتبهم فى التقرب إليه فجعل لكل شىء منها قدراً فأعمها نفعاً وأعظمها عند الله سبحانه وقعاً وأحب فاعليها إلى الله تعالى عقلاً وشرعاً من رزقه الله تعالى قدرة وسلطاناً فأقام الحق وبسط العدل وأحب الشرع وأغاث الملهوف ونصر المظلوم وردع الظالم وقمع المفسد وجبر الكسير وفك الأسير وفرج عن المكروب وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وحمى حوزة الدين ونظر فى مصالح المسلمين فهذا من أقرب الطائفين إلى الله منزلة وأقومهم طريقة وأخصهم بمحبة الله تعالى له فقد نقل عن النبى ﷺ أنه قال : «الناس عيال الله فأحبهم إليه أنفعهم لعياله» والله المسئول أن يعضد المولى السلطان لإقامة هذه السنن بتأييده ويجعله فى الدنيا والآخر بانتهاج هذه السنن من أسعده عبيده وينظم له جواهر هذه الصفات فى حلية عقوده ويمده من ملائكته المسومين بجند يكونون من أنصاره وجنوده بمحموداً له أجمعين.

العقد الفريد للملك السعيد تأليف ابن سالم ..

ص ٥٨ (عن عدل ابن طولون)

ولقد بلغني عن أحمد بن طولون قضية يؤثر في النفس الزكية سمعها ويحسن عند ذوى المعرفة والتوفيق وقعها وكان ابن طولون هذا مبسوط القدرة على البلاد المصرية نافذ الحكم فيها مهيباً مخوفاً يقوم بسياسة الملك ويعلى كلمة العدل ويأخذ نفسه بالإنصاف مع ما هو عليه من الجبروت المفرط والقتل المسوف. وكان يجلس للمظالم ويحضر مجلسه القاضى بكار بن قتيبة وجماعة من الفقهاء وأهل العلم مثل الربيع بن سليمان صاحب الإمام الشافعي وكان ابن طولون إذا جلس للمظالم يمكن المظلوم من الكلام ويسمع كلامه إلى آخره ويكشف ظلامته ويجلسه بين يديه مقرباً إليه ... الخ ...

ص ٦٦ : (نادرة قضية عبد الله بن مروان مع ملك النوبة)

ومما حوته بطوق الأوراق وأوضحته الرواة فى الآفاق....

ص ٨٥ : (غريبة تأكيد إيضاح وتجديد افتتاح)

مما يعد من محاسن الشيم ومكارم أخلاق أهل الكرم ويحث على الوفاء بالعهود والذمم ما رواه خمرة ابن الحسن الفقيه فى تاريخ قال قال لى أبو الفتح المنطيقى كنا جلوساً عند كافور الأخشيدى وهو يومئذ صاحب مصر والشام وله من البسطة والمكنة ونفاذ الأمر وعلو القدر وشهرة الذكر ما يتجاوز الوصف والحصر فحضرت المائدة والطعام فلما أكلنا نام وانصرفنا فلما انتبه من نومه طلب جماعة منا وقال امضوا إلى عقبة النجارين واسألوا عن شيخ منجم أعور كان يقعد هناك فإن كان حياً فاحضروه وإن توفى اسألوا عن أولاده واكشفوا أمره قال فمضينا إلى هناك وسألنا وكشفنا فوجدناه قد مات وترك بنتين إحداهما متزوجة والأخرى عاتق فعدنا إلى كافور وأخبرناه بذلك فسير فى الحال واشترى لكل واحدة منهما داراً وأعطى لكل واحدة منهما ثياباً وكسوة وذهباً كثيراً وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منهما رزقاً وأشهر أنهما من المتعلقين به لرعاية أمورهما فلما فعل ذلك وبالغ فيه ضحك وقال أتعلمون سبب هذا قلنا لا نعلم . فقال : اعلموا أنى مررت يوماً بوالدهما المنجم وأنا في ملك ابن عباس الكاتب بحالة رثة فوقفت عليه فنظر إلىّ واستجلسنى وقال : أنت تصير إلى رجل جليل وتبلغ معه ص ٨٦ : مبلغاً

كبيراً وتنال خيراً كثيراً وطلب مني شيئاً فأعطيته درهمين كانا معى ولم يكن معى غيرهما فرمى بهما فقال أبشرك بهذه البشارة وتعطيني درهمين ثم قال : وأزيدك أنت والله تملك هذا البلد وأكثر منه فاذكرنى إذا ما صرت إلى ما وعدتك به ولا تنسنى فبذلت له ذلك وقلت نعم فقال : عاهدنى أنك

تفي لي ولا يشغلك الملك عن افتقادي مناهدته ولم يأخذ الدرهمين ثم إني شغلت عنه بما تجدّد لي من الأمور والأحوال وصرت إلى هذه المنزلة ونسيت ذلك فلما أكلنا اليوم ونمت رأيته في المنام قد دخل عليّ وقال : أين الوفاء بعهدك وإتمام وعدك لا تغدر فيغدر بك فاستيقظت وفعلت ما رأيتم فنمت هذه القضية بمصر واشتهر إحسانه إلى بنات المنجم لوفائه لوالدهما فتضاعف الدعاء له والثناء عليه.

ص ٩٢ : (لطيفة في أن الوفاء يحمي من المعاطب)

وهو ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم وكان مطلعاً على أحمد بن طولون عارفًا ص ٩٣ : بأموره

عالما بوروده وصدوره فقال ما معناه : أن أحمد كان يربي من يطرح على الطرقات ويقيم لهم الكوافل ويدرّ عليهم النفقات رغبة في الثواب وتقرباً إلى الله تعالى بهذه الأسباب فوجد عند سقايته عند المعافر طفلا مطروحاً ... الخ ...

العقد الفريد للملك السعيد تأليف أبي سالم

ص ١٤٨ : (كتابة الإنشاء)

كتابة الإنشاء من مقومات الدولة وقواعد المملكة وصاحبها المباشر لها في خدمة السلطان معدود من أكبر الأعضاء والأعوان قائم في إتمام مقاصده وأغراضه مقام الترجمان نازل منه منزلة القلب واللسان من الإنسان فإنه المطلع على الأسرار المجتمع لديه خفايا الأخبار المنتفع به في طريقي النفع والإضرار فحاجة الدولة إليه كحاجته لهم إلى منسأته وذي السقم إلى أسأته والمعدم إلى مواساته إذ كم من عصب باغية أراق قلم الإنشاء بشباه دمها وكتائب جيش قابلها كتاب فردّها وهزمها وصياص منيعة نصبت الكتب إلى تسلمها سلمها ونواحي عواص اقتادت السطور إلى الطاعة محها وأنوف أنفة حطمها القلم ببرة الإذلال وخزمها وصفوف واقفة للنزل المنشيء عن موقفها قدمها فهو يقوم من ص ١٤٩ : منآد الدولة

مالا تقومه المقانب ويقوم بنصرة الملك في مواقف لا صل إليها الكائب وقلب عدو عاث على الدولة استدناه الكاتب بلطف اشنائه حتى انقلب وليا ومباين مائن استهواه ببراعة استدراكه إلى أن تركه خفياً ومنا وناء أوحى إليه من بلاغته ما قربه نجياً وجيش جاش للقاء تلا عليه من آيات الرغبة والرهبة

حتى خرّ أمراؤه للطاعة سجداً وبكيا . وهذا إلى غير ذلك من الأغراض المهمة والمقاصد العارضة الملمة التى لابد للمملكة من إقامة وظائفها وأداء مناسك مواقفها من تهنئة يعظم بها قدر النعمة الموهوبة وتعزية يبرد بها حرارة العبرة المسكوبة وشفاعة يقتاد بها زمام القبول لحصول المأربة المطلوبة فلهذا كاتب الإنشاء المعانى علم هذه المعانى ضارب فى أعشار العلوم بالقدح المعلى راكب من صهوات الفضائل مطا المحلى الأعلى فإن مواد صناعته وأمتعته بضاعته شروط براعته معرفة الآيات القرآنية وأسباب نزولها وعلم الأحدايث النبوية وكيفية مدلولها وفهم سير الملوك الأولى فى أفاعيلها وأقواويلها والتضلع من الحكمة والأمثال بتفريعها وتأصيلها والقطع على وقائع العرب. بجملها وتفاصيلها والتوسع فى أبحر المعانى الشعرية ما بين متقاربها وطويلها فبذلك يملك زمام البلاغة والبراعة ويرمى بقدمه على قمم أهل هذه الصناعة فإذا أمره السلطان بكتاب تخير له أفصح ألفاظه وأرجح معانيه وجعل مطلع دعائه مشعراً بالغرض المودع فيه ويختصره تارة ويطنب أخرى ويستعمل فى كل مقام ما هو أليق به وأحرى. وقديماً قال عمرو بن مسعدة وكان تفوق من البلاغة درّ أخلافها وتطوق من البراعة درّ أصدافها قال : أمرنى المأمون أن أكتب بين يديه كتاباً إلى بعض العمال على يد رجل له به عناية لحاجة الرجل عند المكتوب إليه وقال : أوجز ما استطعت وبالغ فى حقه فكتبت : كتابى إليك كتاب واثق بمن كتب إليه معتن بمن كتب له ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله والسلام قلما وقف عليه وقع عنه بموقع ظهرت لى آثار بشره وبرّه فالتعبير بالألفاظ القليلة عن المعانى الكثيرة وإبداؤها للسامعين فى الكلام القصيرة شاهد للكاتب برجحان فضله حامد له بلسان الأدب كله فهذا النوع من الإيجاز فى استعمال الحقيقة والمجاز معدود من دلائل الاعجاز وقد أجمع أرباب علم المعانى والبيان وقطع أصحاب التقدم فى هذا الشأن أن أوجز كلمة كانت العرب تستعملها وتتداولها أسنتهم النصيحة وتفضلها قولهم التل أنفى للقتل ويعدونها واسطة عقد الإيجاز ويحمدونها بلسان التفضيل ص ١٥٠ : والامتياز

فلما نزل القرآن الكريم وفيه قوله تعالى ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ وقرعت آياته أسماعهم وقطعت فصاحته عن معارضته أطماعهم أذعنوا له بخفض الجناح ورفض الجماع واعترفوا برجحان هذه الكلمة لما فيها من الكشف والبيان والتكملة والإيضاح ولا غناء عن كشف الغطاء عن وجه هذا الاجمال بين التفضيل وأبا الوجوه الموجبة لاعترافهم بالرجحان والتفضيل وهى خمسة :

الأول : أن قوله ﴿ فى القصاص حياة ﴾ عرى عن تكرار اللفظ خلى عن إعادته وقولهم القتل أنفى للقتل مشتمل على تكرار لفظ القتل وذكرها مرتين والتكرار يسقط فصاحة الكلام وجزالته،

الثانى : أنه أوجز وأخصر فى العبارة وأقل تطويلا فإن حروفه أقل عدداً من حروف قولهم.

الثالث : أنه أحسن تأليفاً للحروف المباينة فإن الخروج عند النطق من الفاء إلى اللام فى قوله تعالى ﴿ فى القصاص ﴾ أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة فى قولهم القتل أنفى وهى آخر القتل وأول أنفى لبعد مخرج ما بين الهمزة واللام وكذلك أيضاً الخروج من الصاد إلى الحاء آخر القصاص وأول حياة أعدل من الخروج من الألف إلى اللام وهى آخر أنفى ولام تعريف القتل إذ الهمزة تسقط وحسن تأليف الحروف أدخل فى الفصاحة.

الرابع : اشتماله على إقامة العدل والإنصاف بذكر القصاص الدال على المساواة فإن القصاص مأخوذ من التساوى ومنه سمى المقص مقصاً لاستواء جانبيه واعتدال طرفيه ولا كذلك لفظة القتل وما كان مشتملا عل بإقامة العدل والإنصاف كان أرجح.

الخامس : تصريحه بالغرض المطلوب المرغوب فيه وهو الحياة ولا كذلك قولهم.

فظهر بهذه الوجوه تفصيل أدلة الرجحان وتفضيل الجزالة والإيجاز فى علم البيان فمتى ملك الكاتب جواهر أنواع الكلام وسلك شعب البلاغة لاستجلاء وجوهها الوسام وأدرك معرفة أقسامها فأبرز فى كل مقام ما يليق به من الأقسام كان قد حاز قصبات الفضل وحصله وفاز بفضل الله فإنه يؤتى كل ذى فضل فضله وحكم له باقتعار غارب البلاغة المغربة واقتياد مراكب الفصاحة المعربة وجاء ألفاظ كاتبه ولها عذوبة وحلاوة وعليها بهجة وطلاوة وتستميل القلوب وتملك النفوس وتخدع الألباب فتنجح بها المساعى وتحصل المقاصد وتتم الأغراض وتقضى الجوابح فتكون حميدة الورود والصدور سعيدة فى جميع الأمور ولا يحصل ذلك إلا بسلوك شعب البلاغة التى متى ص ١٥١ : أحكمها الكاتب أصابها كوكب فهمه الثاقب وهى عشرة شعب: الاستعارة والتشبيه والكناية والإيجاز والإطناب والمغالطة والتضمين والاستدراج والمبادىء والمخالص. فهذه الشعب العشرة هى أصول وما عداها فيرجع إليها وأنا أشير إلى كل واحدة منها بذكر حقيقته ووصفه وأكشف وجهه ليعرفه ناظره

ولا جهالة بعد كشفه وأوضحه إن شاء الله تعالى إيضاحاً لا يأتيه الاشكال من بين يديه ولا من خلفه.

(الاســــتعارة)

الشعب الأول : الاستعارة وهو أن يحاول المنشىء تشبيه شيء بغيره ولا يؤثر الإتيان بلفظه التشبيه وإرادته طلباً لزيادة الدلالة مع الإيجاز فيستعير اسم المشبه ويكسوه للمشبه من غير تعرض لذكر المشبه لفظه فيحصل له زيادة فصاحة وحسن بلاغه ومثاله في القرآن الكريم في حق القرية التي كفرت بأنعم الله قوله تعالى ﴿ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ ووجه الاستعارة أن الثوب لما كان يحيط بجوانب لابسه ويشمله من جهاته استعاره اسمه للجوع والخوف حيث أراد الإخبار عن إحاطة الجوع والخوف من جميع الجهات فأتى بنظم هو أبلغ في تحصيل الغرض من الحقيقة وأفصح فإنه لو قال جعل الله الخوف والجوع محيطاً بهم من جوانبهم كأنه لباس لبسهم لم يكن فيه من الفصاحة والحسن كما ذكر سبحانه وتعالى من الاستعارة.

(التشـــــــبيه)

الشعب الثاني التشبيه وهو الدلالة على أن شيئين اشتركا في معنى هو ثابت لما دخلت عليه أداة التشبيه في نفسه وهو أشهر معانيه فيجعل المنشىء أحدهما التي لم تدخل عليه الأداة مثل الآخر التي دخلت عليه كقول القائل رجل كالأسد ووجه القمر ومثاله من القرآن الكريم في وصف العالم عند خروجهم يوم البعث والنشور قوله تعالى ﴿ يخرجون من الأجداث صراعاً كأنهم جراد منتشر ﴾ فإنه يكون الناس عند خروجهم من القبور مضطربين متحيرين قد طبقوا الجهات بكثرتهم وأسرعوا إلى إجابة الداعي بحركتهم لا يلوى بعضهم على بعض شبههم بالجراد المنتشر وجعلهم مثله نظراً إلى ما ذكرناه من المعنى.

(الكنايــــــة)

الشعب الثالث الكناية وهي أن يريد المنشىء إثبات معني هو تاليه وردفه من الوجود فيأتي به لتحسين كلامه وإيجازه ومثاله من القرآن الكريم في صفة عيسى عليه السلام وصفة أمه قوله تعالى ﴿ كانا يأكلان الطعام ﴾ كني بذلك عن خروج الخارج منهما لأنه من توابعه وروادفه فجاء الكناية أفصح وأوجز.

(الإيجـــــــاز)

الشعب الرابع الإيجاز قد تقدم ذكره والتنبيه عليه.

(الإطنـــــاب)

الخامس الإطناب وهو أن يذكر المنشيء كلاما ثم يعقبه بلفظ مدلوله حقيقة المدلول عليه بالكلام الأول تضميناً بذلك على زيادة وقع هذا المعنى ف يالنفوس وشدة الاعتناء به ومثاله من القرآن الكريم فى قصة الإفك فى حق عائشة رضى الله عنها قوله تعالى ﴿ إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ﴾ قوله ﴿ بأفواهكم ﴾ إطناب فإنه دل على حقيقة ما دل عليه قوله ﴿ وتقولون ﴾ لأن القول لا يكون إلا بالفم لكن نبه بهذا الإطناب على تعظيم هذا الأمر المركتب وشدة وقعه وقيمه وأكثر فضلا الكتاب يستعمولنها فى الوقائع المعتنى بها.

(المغالطـــــة)

السادس المغالطة وهو من أحسن ما يتعاناه المنشيء المجيد ويعتمده الكاتب الفريد ويختص بمواقف ما على حسن استعمالها فيها من مزيد وهو أن المنشيء أو المتكلم بكلام يدل على معنى له مثل أو نقيض فى شيء ويكون المثل أو النقيض أحسن موقعاً لإرادته والإيهام به ومثاله من القرآن الكريم فى حق المنافقين وقد صدرت منهم حركات وكلمات فى حق النبى ﷺ بالاستهزاء والاستسخار فقال تعالى: ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ﴾ فغالطوا فى الجواب عن ذلك بهاتين اللفظتين الموهمتين صدق ما كانوا حتى كذبهم الله تعالى بقوله ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾.

(التضمـــــين)

السابع التضمين وهو أن يأخذ المنشيء الآيات القرآنية والأخبار النبوية والأمثال العربية والأبيات الشعرية فيجعل سجعات كتابة مشتملة على شيء منها فتارة يأخذ الآية كاملة وكذلك الخبر والمثل والبيت وتارة يقتصر على شيء منها يتمم بها فقر سجعه فيكتسى كلامه بها رونقاً وإشراقاً ويعذب عند سامعه مذاقاً.

ص ١٥٣ : وهو شعب عني به أكابر الفضلاء وأكثر ما يستعمل فى الخطب والمواعظ فإنه يبين وقعها ويحسن وضعها.

(الاستدراج)

الثامن الاستدراج وهو أن يصوغ المنشيء لغرضه ألفاظاً يكسوها من اللطافة والبلاغة ما يخدع بها الألباب لينقاد معه إلى مراده وهذا الشعب وإن كان خفياًفهو الركن الأعظم والسنن الأقوم فى هذه الصناعة وكل من لم

يبلغ فى البلاغة إلى إحكام مقامات الاستدراج فقلما ينجح مسعاه ويسعف بمبتغاه وإذا تأمل المتأمل فى القرآن الكريم وجد فيه من حسن الاستدراج والتوصل ببلاغته وفصاحة مواضع كثيرة منها فى قصة موسى عليه السلام لما أراد أن ينقل قومه من أرضهم إلى غيرها فأخبر الله تعالى عنه بقوله ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤتث أحداً من العالمين ﴾ فبسط آمالهم وأسمعهم ما سر نفوسهم واستدرجهم به إلى قبولهم ما يأهرهم به ثم قال لهم مطلوبه ومقصوده وهو قوله ﴿ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ﴾ وفى هذه الآية وأمثالها من آيات الاستدراج من الحكم ما يحيط بأسرارها من رسخت فى علم البلاغة أخمص قدمه وانبجست عيون البراعة من شق كلمه.

(المبادى)

الثامن المبادى وهو أن يجعل المنشىء فاتحة كتابه وأوله دليلا على المقصود الى أنشأه له فينظر إلى الغرض المطلوب فيجعل التحميد أو الدعاء أو التضمين مشعراً بذلك فإنه من أعلى مراتب البلاغة والقرآن الكريم من المبادى والافتتاحات مواضع كثيرة تخرق عقول الفاضلين بفصاحتها منها قوله تعالى فى أول سورة النساء وغيرها ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾ فإنه افتتح كلامه بالنداء الذى يستفتح أبواب الأسماع ويتسحضر الأذهان لأجل الاستماع وهذا الشعب عظم النفع لمن حققه لا يفتح بابه إلا لمن طرقه .

(المخالص)

العاشر المخالص وهو أن يجعل المنشىء بين المعنى الذى ينتقل عنه وبين المعنى الذى ينتقل إليه تعلقاً وارتباطاً بحيث يكون الكتاب المشتمل على المعانى المتعددة والألفاظ الكثيرة من أوله إلى آخره كالمنتظم فى سلك واحد يأخذ بعضه بأزمة بعض وفى القرآن العظيم من ذلك مواضع تطرب ويستعذب

ص ١٥٤ : أوضاعها منها : قصة إبراهيم عليه السلام فى سورة الشعراء فمن تأملا حق التأمل من أولها وهو قوله تعالى ﴿ واتل عليهم نبأ إبراهيم إذا قال لأبيه وقومه ما تعبدون ﴾ إلى آخر القصة علم كيف تكون الفصاحة فى ارتباط الكلام بعضه ببعض والتخلص من معنى إلى غيره فإنه جمع فى هه القصة المختصرة من المعانى العظيمة وتخلص من بعضها إلى بعض بالألفاظ المتتابعة ما يحار فيه من له ذوق فى علم البلاغة.

فهذه الشعوب العشرة هي قواعد أصول الكتابة التي تستقر بها أوصافها وتدر عليها أخلافها فيما يرجع إلى معرفة البلاغة والفصاحة من علمي المعاني والبيان ولا غناء لمن حصل علم ذلك وأدركه ودخل في سننه وسلكه أن يعرف حال الحروف المتقاربة والمتباعدة والحروف المتصاحبة والمتضادة ليفتح بذلك أقفالها ويوضح أشكالها ويشرح أشكالها فإن حال التراجم عنوان فضل الكاتب وبرهان فكره الصائب وفهمه الثاقب فر معرفة حال الحروف في ذلك من أسباب اللوازم اللوازب. وقد استقصيت الكلام في أقسام الحروف وتركيبها وتسهيل معرفتها وتقريبها وأفهام تأليفها للمعتنى بها في الكتاب المسمى بالكوكب الناجم في معرفة التراجم ولولا أن الإسهاب موجب للإضجار والإطناب متعب للأفكار وأن الأولى سلوك سبل الاختصار والميل إلى الايجاز والاقتصار لما اقتصر لسان القلم على هذا المقدار ولنشر من محاسن الإنشاء وإيجاز منه أولوا البصائر والأبصار

كتاب حسن التوسل إلى صناعة الترسل

تأليف شهاب الدين أبي الثناء محمود بن سليمان الحلبي الحنفي صاحب ديوان الانشاء بدمشق (ت ٧٢٥هـ) ـ طبع بالمطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٨هـ

هدف شهاب الدين إلى إعطاء ثمرة تجربته الكتابية للناشئة من شباب الأدب الذين يريدون أن يبرعوا في الفن الكتابي فالرجل يعطي خبرته العلمية مركزاً على المقاييس الجمالية لذوق عصره في فن الترسل.

مناقشة لدراسة ابن القيم الجوزية عن التقديم والتأخير

أولا : الغرض الى سبق من أجله الكلام

ثانيا : هل التقديم والتأخير من أساليب المجاز؟ أم من أساليب الحقيقة ؟

ثالثًا : أقسام التقديم والتأخير .

أولا : ويبدأ الباحث بمناقشة النقطة الأولى فيرى أن العرب تستخدم أسلوب التقديم والتأخير ثقة في قدرتها على رائع الكلام وعلى التصرف فيه وفق مقاييس البلاغة والجمال ثم لأنه يحقق لهم الميزة الكبرى تتسم بها بلاغة العرب وهي الإيجاز

ثانيــاً : فيما يتصل بالنظر إلى أسلوب التقديم والتأخير وهل هو حقيقة أم مجاز فإن قوماً يرون أن التصرف في الترتيب الطبيعي المألوف للكلام تقديماً وتأخيراً وكأنهم بهذا لا يقصدون إلى معنى الإيجاز

الاصطلاحي وإنما المجاز اللغوى بمعنى التوسع والفريق الآخر يرى أنه ليس فى هذا الأسلوب مجاز على اعتبار أن الألفاظ فيه مستعمل فيما وصفت له ولا اعتبار لتقديم أو تأخير فيه.

ثالثـــاً : يقسم ابن القيم أنواع التقديم والتأخير إلى أربعة أقسام إما أن يتحقق أحدهما التقديم والتأخير زيادة فى المعنى وإما أن لا يتحقق ذلك والأقسام الأربعة هى :

(١) إما زيادة المعنى أو ما ليس ذلك.

(٢) التقديم أولى من التأخير.

(٣) التأخير أولى من التقديم

(٤) التقديم والتأخير متعادلان من حيث القيمة

بعد هذا التقسيم يمثل بأن تطبيقه لكل نوع على حدة فأمثلة النوع الأول ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ، ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ ، ﴿ والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق ﴾ وهذه الأمثلة تجمع إلى زيادة المعنى وجمال التأليف إما ما يفيد زيادة المعنى فقط كأمثلة «قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ؟ ﴾ ﴿ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ الخ حتى الآية ﴿ لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ﴾ ونلحظ هنا مع كثرة الأمثلة ومعظمها من النصوص القرآنية أنها تختلط أيضاً بأمثلة من النحو .

الثانى : فى هذا النوع تتداخل التقسيمات إلى حد يقرب من الألغاز ولكن يتضح منه اختلاط مسائل علم الكلام بمسائل من مناقشات البلاغيين حين تحيز جماعة للفظ وآخرون للمعنى ولكن على كل حال يجمل لنا عدد تلك الأنواع فى عشرة يتصور فيها أن التقديم أولى من التأخير . والذى أوقعه فى هذا الإضطراب أنه يحاول أن يحدد مجالات التعبير بالتقديم وهذا أمر يستحيل فيه الحصر أو التحديد. حتى آخر عبارة ... قال الإمام فخر الدين.

النوع الثالث : وهو ما لا يلزم تقديم فائدة فى المعنى من مثل تقديم الصفة على الموصوف والباحث لا يجد أمثلة له فى النصوص القرآنية لأن هذا النوع فى رأيه ركيك. ولذا يتمثل بأمثلة من شعر التعقيد منه الفرزدق أو غيره من الشعراء.

النوع الرابع : ويتمثل لها بأمثلة من النحو فى بابى الحال والاستثناء يتبعها بأمثلة من النصوص القرآنية يتوازن فيها التقديم والتأخير وهو يضع يدنا على أنه أحياناً

ما يعمد المفسرون إلى تقدير التقديم والتأخير لاعتبارات منها مثلا عصمة الأنبياء كما فى الآية المتحدثة عن يوسف.

كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان

تأليف شمس الدين أبى عبد الله محمد المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلى (ت ٧٥١هـ) تصحيح بدر الدين النعمانى

طبع مطبعة السعادة سنة ١٣٢٧هـ

ويتضح من الكتاب أن المؤلف يمزج بين الثقافة الفقهية والثقافة الأدبية والمثال التالى شاهد هذا يقول ص ١٨٩ : والوصف أصله الكشف والإظهار من قولهم ـ وصف الثوب الجسم إذا لم يستره ونمّ عليه وأحسنه ما يكاد يمثل الموصوف عيانا ولأجل ذلك قال بعضهم أحسن الوصف ما قلب السمع بصراً. ومنه فى القرآن العظيم كثير مثل قوله تعالى فى وصف البقرة التى أمر بنو اسرائيل بذبحها لما سألوا أن توصف لهم ﴿ ادع لنا ربك يبين لنا ما هى قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ﴾ وقوله لما سألوه أن يصف لهم لونها ﴿ قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ﴾ وقوله لما سألوه بيان فعلها قال ﴿ إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها ﴾

فجمع فى هذه الآية جميع الأحوال التى يضبط بها وصف الحيوان فإن الحيوان عند البيع والإجارة وسائر وجوه التمليكات يحتاج فيه إلى معرفة سنه ولونه وعمله ثم يفتقر فيه إلى معرفة عيوبه فنفى الله سبحانه وتعال يعن تلك البقرة كل عيب بقوله ﴿ لا شية فيها ﴾ فجمع فى هذه الآية جميع وجوه الوصف فإنه فى الأول وصف سنها وفى الثانى وصف لونها والثالث وصف خلقها وعملها.

خزانة الأدب وغاية الأرب

للشيخ تقى الدين أبى بكر على المعروف بأبى حجة الحمدى

وقد جمع فيه ابن حجة كل ما وصل إليه جهد البلاغيين من الصور البلاغية فى التعبير والتى رسمت كلها بألوان البديع وتمثل لها ابن حجة بشواهد من التقديم حتى عصره

تم بحمد الله

الفصل الخامس

بيئة مصر

عروس الأفراح

بالرغم من أن عروس الأفراح للسبكى هو شرح على تلخيص مفتاح السكاكى لكنه فى الواقع وثيقه بلاغية تعكس ذوق مصر [١] فى القرن الثامن الهجرى وتبين عن شخصية البهاء السبكى وهو يرهص بما يتحدث به المعاصرون من حديث الأسلوبية وقد تلقطنا من هذا الشرح ما يكشف عن شخصية المؤلف وعن المصادر البلاغية التى رجع إليها وعن هذه الوقفات التحليلية التى تكشف عن ذوق البيئة المصرية التى نبت فيها الشارح إذ يقول :

الجزء الأول من عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح

للإمام بهاء الدين السبكى المصرى

الطبعة الأولى، بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر

سنة ١٣١٧هـ

ص ٢ : بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العلامة حجة الإسلام مفتى الأنام أوحد الفصحاء والبلغاء شيخ النحاة والأدباء كنز المحققين وسيف المناظرين بهاء الملة والدين أبو حامد أحمد ابن سيدنا ومولانا قاضى القضاة بقية المجتهدين ولسان المتكلمين تقىّ الدين السبكى تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته الحمد لله الذى فتق عن بديع المعانى لسان أهل البيان ورتق الأفواه عن تفسير المثانى إلى أن فتحتها بلاغة آل عدنان ومحق ببراعة كتابة العربى مأسنة دينه القوى ما خالفهما من جدال اللسان وجلاء السنان ورزق الفصاحة المحمدية من الحكمة البالغة ما مزق حكم اليونان نحمده على نعمتى الإنشاء والإعادة ونشكره

ص ٣ : شكراً ورد من الخبر المسند فنصدر عن مبتداه بمنتهى السعادة وتشهد أن لا إله إلا الله ووحده لا شريك له شهادة تشتمل على جناس القلب فتسكن بمدّ النصر لهبا يرمى بشرر كالقصر وتنكس حصون الشرك بملائكة السبع الطباق لما شيد لها النفى والإثبات من القصر وتفتح عند موازنة الأعمال باب الغفران بعد المعاضلة وتحف بالجبر إذا بدت من كتاب السيآت تخاريج المقابلة ونشهد أن سيدنا محمداً

---

(١) للمؤلف بحث عن ملامح الشخصية المصرية فى الدراسات البيانية فى القرن السابع الهجرى فيه إلمام ببلاغة مصر قبل القرن السابع إجمالا، وبالبلاغة فى القرن السابع تفصيلا (طبعة المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون ... بمصر).

عبده ورسوله صاحب الفصل والوصل فى الواقعة إذا وقف الصف يوم الحشر والمسند إليه الشفاعة إذا التفت الساق بالساق واشتدّ كرب ذلك اللف والنشر ﷺ وعلى آل محمد وصحبه الذين اغتدو باستخدامه لهم ملوكاً يستعبدون معالى الصفات وارتدوا ملابس التقوى بتجريد قلوب لم يكن لها إلى غيره التفات واقتدوا به فهم فى التشبيه كالنجوم لأن محاسن الأمة.

ص ٤ : منهم استعارة وإليهم إضافات صلاة جارية على الخطاب المنصف والأسلوب الحكيم حاوية لتمام الاتصال بالصراط المستقيم وسلم تسليماً يعلق به اللسان الطاهر وبيطن القلب من اعتباره المناسب مما يساعده الظاهر مما خنقت للبلاغة راية مجد فى بنى غالب بن فهر وتعلقت بأزمة الفصاحة أهل مصر لما لهم من نسب وصهر.

(أما بعد) فإن تلخيص المفتاح فى علم البلاغة وتوابعها بإجماع من وقف عليه وإنفاق من صرف العناية إليه أنفع كتاب فى هذا العلم صنف وأجمع مختصر فيه على مقدار حجمه ألف ولم أزل مشغوفاً بعداً الفن وله محباً مشغول الخاطر بالعزم على التجرد إليه وإن كنت على غيره من العلوم مكباً منذ أبرزتنى الإرادة إلى الوجود إبراز الهلال وبشرتنى حال المولد بالبلاغ لهذا العلم براعة الاستهلال وآذنتنى الفراسة أن حسن التخلص حينئذ إنما كان كناية عن

ص ٥ : مقتضى

الحال وتعريضاً بحقيقة ما سيكون من إدراك الآمال :

أتا فى هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلبا خالياً فتمكنا

إلى أن أعريت عن حال التمييز وبلغت ما تنازع إليه النفس من الاشتغال بمصنفاته ما بين مطنب ووجيز فلم أطلع للمتأخرين فيه على تصنيف محكم تقر بتهذيبه العين ولا وقفت لهم فيه على تأليف مجمل أو مفصل أشاهد صحاح معانيه فلا أطلب أثر أبعد عين أما أهل بلادنا فهم مستغنون عن ذلك بما طبعهم الله تعالى عليه من الذوق السليم والفهم والمستقيم والأذهان التى هى أرق من النسيم وألطف من ماء الحياة فى المحيا ولو سيم أكسبهم النيل تلك الحلاوة وأشار إليهم بأصابعه فظهرت عليهم هذه الطلاوة فهم يذكرون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء، فضلا عن الأغمار الأعمار ويرون فى مرآة قلوبهم الصقيلة ما احجب من الأسرار خلف الأستار

والسيف لم يلف فيه صيقل　من طبعه لم ينتفع بصقال

فيا لها غنيمة لم يرجف عليها من خيل ولا ركاب ولم يزحف إليها بعدو عدية ولا بلحاق لاحق وانسكاب سكاب فلذلك صرفوا هممهم إلى العلوم التى هى نتيجة أو مادة لعلم البيان كاللغة والنحو الفقه والحديث وتفسير القرآن وأما أهل بلاد المشرق الذين لهم اليد الطولى فى العلوم ولا سيما العلوم العقلية والمنطق فاستوفوا هممهم الشامخة فى تحصيله واستولوا بجدّهم على جميلة وتفصيله ووردوا مناهل هذا العلم فصدروا عنها بملء سجلهم وكيف لا وقد أجلبوا عليه بخيلهم ورجلهم فلذلك عمرواً منه كل دارس وعبروا من حصونه المشيدة ما رقد عنه الحارس عنان السماء فى طلبه ولو كان الدين بالثريا لنا له رجال من فارس إلى أن خرج عنهم المفتاح فكأن الباب أغلق دونهم وظهر من مشكاة بلاد الغرب المصباح فكأنما حيل بينه وبينهم وأدارت المنون على قطبهم الدوائر فتعطلت بوفاته من علومه أفواه المحابر وبطون الدفاتر وانقطعت زهراتهم الطيبة عن المقتطف وتسلط على العضد لسان من يعرف كيف تؤكل الكتف فلم نظفر بعد هؤلاء الأئمة رحمهم الله تعالى من أهل تلك البلاد بمن يخص هذا العلم فألقى للطالب زبدته ومحض النصح فنشر على أعطاف العارى بردته ولا حملت ص ٦ قبول القبول إلينا عنهم بطاقة ولا حصلت للمتطلعين لهذا العلم على تلك الأبواب طاقة ولا رأينا بعد أن انطمست تلك الشموس المشرقة واندرست طبقة تحرى الفرقة ولم يبقى إلا رسوم هى من فضائلهم مسترقة من أطلع غصن قلمه من روض الأذهان زهرة على ورقة ولا من علق شنه يطبقتهم فيقال وافق شن طبقة بل ركدت بينهم فى هذا الزمان ريحة وخبت مصابيحه وناداهم الأدب سواكم أعنى وربَّ كلمة تقول دعنى :

وما بعض الإقامة فى ديار　يهان بها الفتى إلا بلاء

فعند ذلك أزمع هذا العلم الترحل وآذن بالتحول :

وإذا الكريم رأى الخمول نزيله　فى منزل فالرأى أن يتحوَّلا

وفزع إلى مصر فألقى بها عصا التيار وأنشد من ناداهم من تلك الديار :

أقمت بأرض مصر فلا ورائى　تخب بى الركاب ولا أمامى

ولقد وصل إلينا من تلك البلاد على التلخيص شروح رحم الله مصنفيها فإنهم ماتوا وهم أخبار وبيض وجوههم فى الآخرة كما سودهم بالمعالى فى هذه الدار لا تنشرح لبعضها الصدور الضيقة ولا تنفتح عندها مغلقة ولا يتقدح فيها زناد الفكر عن مسئلة محققة يتناولون المعنى الواحد بالطرف المختلفة ويتناوبون

المشكل والواضح على أسلوب واحدة كلهم قد ألفه لا يخالف المتأخر منهم المتقدم إلا بتغيير العبارة ولا يجد له علي حل ما أشكل على غيره أو استشكال ما اضتح جسارة ولا يطمع أن يذوق ما فى الاستدراك من اللذة ولا تطمح نفسه لأن يقال برز علي من سبقه وبذه على يسرى خلف من تقدمه حتى فى الكلمة الفذة ويسير أثره حذو القذه بالقذة قصارى أحدهم أن يعزو أبياتاً من الشواهد لقائليها ويوسع الدائرة بما لا يقام له وزن من تكميل ناقصها وإنشاد ما قبلها وما يلبسها وينشر للراغب مفردات الألفاظ من واضح كلام العرب ويذكر ما لا حرج على مخالفة من اصطلاحات لبعض أهل الأدب ولا يزيد فى شرح عبارة المصنع على الايضاح زيناً وجد فيه أم شيناً فلو نطق التلخيص لتلا ما جئتم به هذه ضاعتنا ردت إلينا ؟ هذا والشرح يطول والوقت ينفق ولم يكتب الطالب البيان وصول قد استفرغوا فى ذلك قوى أفكارهم واستوعبوا مدى أعمارهم فليت شعرى وقد انقضى العمر متى يسبحون فى اللجه ويجنحون إلى بياض المحجة أبعد أن يشيب الغراب ويرجع الشباب الحائل أم يصبرون إلى أن تعود إلى الدنيا القرون الأوائل.

وحتى يؤب القارظان كلاهما　　وينشر فى القتلى كليب لوائل.

وفى أية مدة يصلون إلى تلك اللطائف ويحصلون على تلك الحقائق إلى طاف بأركان بيتها ممن له حجر سليم ومقام كريم كل طائف

ص ٧ : لولا العقول لكان أدنى ضيغم　　أدنى إلى شرف من الإنسان

فكم من معضلة فى الكتاب يمرون عليها وهم عن حلاوة جلها معرضون ومشكلة يصححون ألفاظها وهم للمعانى ممرضون وكم أوردوا أسئلة وصارخ من التوفيق يناديهم لو قيل ما هكذا توردياً سعد الإبل. وكم هتف بطائرهم هاتف من العقل بصوت شجي هيهات ما هذا بعشك فادرجي وكم عاود النظر فى شيء من هذه الشروح علي سبيل التنزل مطابع ثم ثني طرفه وهو يقول يا خيبة المطامع ويحلف صادقاً أنها لم تكن تكتب إلا بأطراف الأصابع هنالك يعلم الطالب أنه أملى له فيما أملى عليه وأنه فى مهمة مهمل لا يجاب داعيه ولا يلتفت إليه :

فلو أنشدت نعشاً هناك بناته　　لمات ولم يسمع صوت منشد

وإنما أحلت ذلك على سوء تصرف من لسان الناقل أو يد الناسخ وأحلت أن يصدر شيء منه عن المصنفين فإنهم أرباب قدم فى العلم راسخ والله القائل :

أخا العلم لا تعجل بعيب مصنف ولم تتيقن زلة منه تعـــــــرف
فكم أفسد الرواى كلاما بعقله وكم حرّف المنقول قوم وصحفـوا
ص ٨ : وكم ناسخ أضحى لمعنى مغيراً وجاء بشيء لم يرده المصنف

فحداني ذلك على أن أشد جياد الحزم وأمدّ ركاب العزم إلى شرح للتلخيص يحى من هذه العلم الرفات ويدرك منه ما فات ويمتطى من معاليه أقصاها ولا يغعادر صغيره ولا كبيرة من أعمال مضغية إلا أحصاها ويجمع من شتاته ما تفرق شغر يغر ويضم من شذوره الذهبية ما ذهب أيدى سبأ وتمزق شذر مذر ويقتض من أبكاره ما مضت عليه القرون ويفتض من ختامه ما انطوى علي كل در مكنون وينسج منوال التفهيم تفاصيل محررة ويحوى من القصب ما أحرزو المدى وأطرب وسكرت عن تبعه أبصار قوم لم يذوقوا حل ألوانه المكررة ويقدم للطلاب معمولا على نمط ما قلاه من المتحلين باستعمال الأدب عام ولا خاص محشوا بتأليف حبات من القلوب تصلح مسيراً طبقاً عن طبق لدست الخواص مختصاً بصواب من مختار القول لأنه معمول مقدم وتقديم المعمول مفيد للاختصاص ويكون واسطة بين مفتاح المشرق ومصباح المغرب خلياً من العصبية حرياً بالنسبة إلى مصر فإنها بقعة من عند الله مباركة طيبة لا شرقية ولا غربية فسبحان فالق إصباحها عن اعتدالها يكون بين الحق والباطل فيصلا

وجاعل الشمس مصراً لإخفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا

وكيف لا يدرك الفسطاط من هذا العلم المدى ويسلك فى إبراز حقائقه طرائق قدداً ويستخرج من ص ٩ ركابه أفلاذ الأكباد ويضم من جياده ما سرح فى البلاد بداد وهو قد اقتلع من تخوم خوارزم أساس البلاغة. وأخذ زهرة أصفهان وأخلى ابن داود منها باغة. وزفت إليه من ثم الخريدة بالأغانى. وكفل لنيسابور التيمية فكان كما دل عليه الخبر خير المعانى واقتطع من جيد المغرب عقده ورشق مصنفاته بسهام النقد فما كأغنت عن ابن رشيق العمدة ونشر قلائد عقبانه ونثر زهر آدابه عن أفنانه واستولى على الذخيرة واستوفى محاسن أهل الجزيرة فلذلك رجوت أن تخرج طينته فى هذا العلم كتاباً يملى علي المقترين من العلم فيملأ صدورهم ملاءة وأن يرد ما أخذه عباءة ملاءة ثم أحجمت عن سلوك هذا المسرى.

ص ١٠ فصرت أقدم رجلا وأؤخر أخرى لعلمي أن الباع قصير والمتاع يسير والبضاعة مزجاة والصناعة لا تسعف الآمل كل وقت بما رجاه هذا

مع ضيق الوقت بأعداء ندرأ بالله فى نحورهم ونعوذ به من شرورهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرون ويمكرون ويصدفون عما انتهى إليهم منا فنتلو ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون :

أن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً ... منى وما سمعوا من صالح دفنوا

مثل العصافير أحلاماً ومقـــدرة ... لو يوزنوون يزف الريش ما وزنوا .

صمّ إذا سمعوا خيراً ذكرت به ... وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

يتناهبون من العمر الأيام والليالى ويحولون لو قدروا بين القلب وما يحاوله من العلوم والمعالى لا تصدع

ص ١١ : المواعظ قلوبهم فتردعهم ولا يسمعهم المذكر بأيام الله ولو أسمعهم ولم يرد الله نفعهم فما نفعهم هذا مع غشيان الفتنة لهم فى كل عام واتيان دائرة السوء عليهم بما ينحرهم كالأنعام وأن أحداً منهم لا يصل.

ص ١٢ : إلى ما يتمناه فأنا حول مائدة الكرم نستبشر بقوله تعالى أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله :

وأيامنا مشهورة فى عدوّنـــــا ... لها غرر معروفة وجحـــول

وأسيافنا ألطاف ربه دفاعـــــه ... منيع يردّ الطرف وهو كليل

معوّدة نصـــــراً من الله غالباً ... يعز على من كاده ويطــول

هو الصمد الفرد الذى مستجيزة ... عزيز وجار المعتدين ذلـــيل

سلى إن جهلت الناس عنا وعــنهم ... فليس سواء عالم وجهـــول

فإن رسول الله قطب رحــــائنا ... تدور رحانا حوله وتجـــول

الهم الله كلامنا ومنهم توبة تضع من الأوزار عن الظهور كلا وكفايا وإياهم حصائد الألسنة وهل يكتب الناس فى النار على وجوههم إلا وحساد على نعم الله تعالى لا فى اثنتين ولا يتربصون بنا إلا إحدى ص ١٥ : الحسنيين

لا أقول حان حينهم بل كفينا عينهم ومنيهم وحال الله بين متاهم وبينهم يريدون إطفاء العلم بأفواههم فلا يحصلون إلا على أتعاب شفاههم وتسويد جباههم.

وفي تعب من يحسد الشمس نورها ويجهد أن يأتي لها بضريب

نسأل الله أن يجعلنا من قوم عرفوا نعمته فحمدوا :

محسدين على ما كان من نعم لا ينزع الله منهم ما له حسدوا

إلى ما انضم إلى ذلك من فراق لذلك الوالد استولى على الجسد فهدّ قواه ورمى القلب بسهام الوجد فأصماه وشارفه باستيفاء أقسام الحزن عاملا على مباشرة سمي رقيبة ومعلاه فانصرفت آمال النفس عن ص ١٦ : الأماني وانحرفت عما كان يعزُّ عليها من معالي المعاني :

قد كنت أشفق من دمعي على بصرى فاليوم كل عزيز بعدهم هانا

إلى استفراق الزمان بذكر الدروس التي هي لغير هذا العلم موضوعه والأخذ في تصانيف في الفقه وأصوله نرجوا إكمالها إن شاء الله تعالى وتكميل ما شرع فيه من الخير سنة مشروعة فليت شعرى هل

ص ١٧ : تفضل من العمر عن هذه الشواغل بقية وهل دون هذه السهام القواتل من تقيه غير أنه قد أسعفت الألطاف الإلهية وأسعدت العناية المحمدية حتى وضعت لهذا الكتاب شرحاً ليس غائب الرسم فأعرّفه بالحد ولا مجانب الوسم فأصفه بما يوجب القبول أو الرذيل هو بادى الصفحة مدرك باللمحة وها أنا

ص ١٨ : قد أخرجته عن يدى وجعلته موقوفاً في سوق الاعتراض مصروفاً لمن يستحق منافعه وهو المبرأ من أمراض الأعراض فمن نظر بعين الانصاف واعتبره وهو مصاف وله بصحة الذهن اتصاف علم أهو جدير بأن ينبذ بالعراء ويهجر هجر واصل للراء أم هو حقيق بأن تضرب له أيدى النجباء آباط النجائب وتعقد الخناصر على ما فيه من عجائب المحاسن ومحاسن العجائب فإن تصفح الناظر فيه الغلط فليصفح ولا يكن من أناس بالأغليط يفرحون ولا يصلح ما يجده فاسداً فإن الله تعالى ذمّ رهطاً قال فيهم :

ص ١٩ : يفسدون في الأرض ولا يصلحون وإن رآه أمثل مما فرح الطلاب بجمعه من كلام كثيرين

فليعرّفه بقوله تعالى ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ وكأني بمن لا يعرف من التحقيق قبيلا من دبير ولا هو من التدقيق في العير ولا في النفير ولا تملك يده من هذا العلم قطميراً وإن بسط

ذراعيه بوصيد كهف العلم كأنه قطمير يجد فى كتابى هذا قواعد مخترعة ومعاقد هى فى بادىء الرأى هادمة لقواعد المتقدمين وإنما هى عند التأمل والتحقيق من كلامهم منتزعة وركوب لجة ما ركبها السابحون وسلوك محجة ما طرقها الشارحون ولا مسلكها القادمون والرائحون أو ينظر أول كلامي دون آخره ويقصر عن درك دقائقه حتى تمضى ساعاته حول ظواهره فيظن أن قد وجد نمرة الغراب أو أنه قد سبق الهجين الغراب

ص ٢٠ : عذرت البزل إن هى خاطرتنى فما بالى وبال بنى لبون

هيهات لا يدرك شأوى الضليع هذا الضالع ولا يملك ما طمع فيه وإنما تقطع أعناق الرجال المطامع فليعلم هذا القصير الباع المبطن من مكيدته ما استطاع أنه لم يبق وجهه بل فضح نفسه وصنفه ولأمر ما جدع قصير أنفه وأنه لا يزال يتقلب من كمده على الجمر ويأمر من اجتناب هذا الكتاب بالفحشاء ولا يطاع لقصير أمر

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه على قدر القرائح والعلوم

أيحسب أن ما فقده من كلام الشارحين صار الكتاب منه غفلا أم يظن أن التقصير أغلق على خزائنهم ص ٢١ دونى قفلا ولا يدرى أننى وردت حياضهم فرشفت صفواً وقذفت تفلا وجبت أنجادهم وأغوارهم فتخيرت منها ما يلح علوا وسفلا أولى له فأولى إن لم يعط القوس باريها لقد كان الأحرى به والأولى أن ينظر آخر الكلام أو يراجع من كتب المتقدمين ما فيها لاستيعاب لأطراف الكلام الموطا يرشده ويوقظه من سنة الكرى والاستذكار لما أسسه السلف من تمهيد القواعد ينشده :

أطرق كرا أطرق كرا إن النعام فى القرى

كأنما ضرب بينه وبين العلم بسور من الشدائد وجعل عليه دون هذا الكتاب سدّ من حديد فهو ص ٢٢ : يضرب فيه بذهنه الكليل الشارد وقيل ارجع وراءك فالتمس نوراً فإنما أنت تضرب فى حديد بارد حتى يرجع بخفى حنين ويمسى يحسده أشغل من ذات التحيين ولو أتى رشده لأنف أن يسخر منه الساخر واغترف من هذا البحر الزاخر واعترف بأنه الذى يلتقط منه جواهر المفاخر وترى الفلك فيه بشراع العلم مواخر ويقول من تقرع أسماعه كم ترك الأول للآخر وهب أنه ظفر بزلات معدودة وعثر على هفوات ليست أمثالها على جهابذة هذا الفن مردودة ألم يعلم أن السعيد من ص ٢٣ : عدت

غلطاته وردّت إلى استقصاء الأخطاء سقطاته

فمن ذا الذى ترضى سجاياه كلها   كفى المرء نبلا أن تعدّ معايبه

ولكن لأمر ما سوّد وعسى أن يكره الإنسان من ذم الحاصد ما تسفر عقباه عن محمد السعود

ص ٢٤ وإذا أراد الله نشـــر فضيلـــة   طويت أتاح لها لســـان حسود

لولا اشتغال النار فيما جاورت   ما كان يعرف طيب عرف العود

أعاذنا الله تعالى من هوى يرمى بالخرس لسان الاعتراف ويعمى أبصار البصائر عن جميل الأوصاف ويعمى القلوب. فلا يصل إليها نور الإنصاف ولما أوصلتنى السرى منه إلى صباح قد رصدته فلاح ص ٢٥ وأسفر صبحه فأجاب من سمع من مناديه حىّ على الفلاح وشرح طائره الميمون ببطاقة بالختم مبشرة بالقدوم يخفق بها جناح النجاح ووصلت فيه إلى اجتناء غروس ثمارها على أفنان الفنون مرتصة وحصلت منه على اجتلاء عروس فى حلى الأفراح على منصة حمدت الله تعالى على إتمام نعمتى الإتمام ص ٢٦ والافتتاح وسميته (عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح) ولقد احتوى هذا الشرح بحمد الله تعالى من المباحث التى هى من نبات فكرى فلم أسبق إليها ومن هبات ذكرى فما عثر أحد فيما علمت من أهل هذا الفن عليها على جملة لا أعقد لها عدداً حتى أفراغ من عدّ النجوم ولا أعهد لها مدداً سوى إلهام الحى القيوم وكأين فيه من شاهد يردّ على هذا العلم ما يدعين من حق ضائع ويثبت له عرفاً يحفظ ص ٢٧

طيب الثناء بعرف ضائع ويأمن من الإسقاط فإنى استخرجته بالفكرة وعدّلته بتزكيتى العقل والنقل عند قاصد من التأمل ليست عنده فترة وأجلسته فى مجلس العلماء فأثبتوا فخره وأطلت البحث عنه ولم أجده فى كتاب ولم أسمعه من ذى فطرة. واعلم أنى فرجت قواعد هذا العلم بقواعد الأصول والعربية وجعلت نفع هذا الشرح مقسوماً بين طالبى العلم والثلاثة وأكاد أقول بالسوية وأضفت إليه من إعراب الآيات الواقعة فيه ما هو محرر وإن كان رقيق الحاشية ومن ضبط ألفاظ أحاديثه النبوية ما كانت خباياه من الجامع الأزهر الصحيح فى زاوية وضمنته شيئاً من القواعد ص ٢٨ المنطقية والمقاعد الكلامية والحكمة الرياضية أو الطبيعية وأتحفته من فوائد الوالد وتحقيقه ومن فوائد علمه الطارف والتالد وتدقيقه ما هو تاج على هام الكواكب وسراج إذا ألهمت الهياهب وطراز على حله الطالب وغرّة فى جبهة العلم ترفع عن عين اليقين

الحاجب وهو الذى تلقفت عنه علم البيان وتكيفت منه بكل ما منحنى الله تعالى من المواهب الحسان وأنا أسأل الله تعالى وأتضرع إليه وأتوسل إليه بمحمد ﷺ فإنه أكرم خلقه عليه أن يسكنه وإياى وسائر ذريته فى الجنة مكاناً مرفوعاً وأن يجعل المحمول على ظهورنا من مقدمات سوء المنطق وغيره من أشكال للأعمال المنتجة للأصغر والأكبر من الأوزار موضوعاً واعلم أننى لم أضع هذا ص ٢٩

الشرح حتى استعنت عليه بنحو من ثلثمائة تصنيف وأنه تضمن الخلاصة من مائة تصنيف فى هذا العلم منها ما وقفت عليه ومنها ما وقفت على كلام من وقف عليه وقال أنه جمع بين طرفيه وأني اختصرت فيه أكثر من خمسين مصنفاً فى علم البلاغة وقفت عليها لم أترك منها إلا ما هو خارج عن هذا العلم أو قليل الجدوى فيه أو هو فى غاية الوضوح أو شواهد لا حاجة لها لكثرتها أو ما زاغ البصر عنه أو ما أن تأملته علمت أنه فاسد لا ترتضيه فمن ذلك :

ـ دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجانى
والبديع لابن المعتز
وإعجاز القرآن للرمانى
والوساطة لعلي بن عبد العزيز الجرجانى
والبديع لابن منقذ
وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجى
والعمدة لابن رشيق القيروانى
والعدة فى اختصار العمدة للصقلى
وكفايات البلغاء لأحمد بن محمد الجرجانى
والنصف من حلية المحاضرة للحاتمى
ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم
والصناعتان للعسكرى
ونهاية الإيجاز فى الإعجاز للإمام فخر الدين الرازى
والمعيار ص ٣٠ للزنجانى
وقوانين البلاغة لعبد اللطيف البغدادى
والمفتاح للسكاكى. وشرحه للإمام قطب الدين الشيرزانى وشرحه للشيخ ناصر الدين الترمذى

وشرحه للشيخ شمس الدين الخطيب الخلخالى. وشرحه أيضاً للشيخ عماد الدين الكاشى وشرحه أيضاً للقاضى حسام الدين قاضى الروم
وتنقيح المفتاح للشيخ تاج الدين التبريزى
وروض الأذهان للشيخ بدر الدين ابن ابن مالك. والمصباح أيضاً له
وضوء المصباح مختصر المصباح لابن النحوية. وشرحه له
والأقصى القريب للشيخ زين الدين محمد بن محمد بن محمد بن عمرو التنوخى
والمثل السائر للصاحب ضياء الدين نصر الله بن الأثير. والجامع الكبير لأخيه
ومختصر المثل السائر لابن العسال
والنصف الأول من كنز البلاغة لعماد الدين اسماعيل بن الأثير ومختصر كنز البلاغة المذكور لولد مصنفه
وروضة الفصاحة لزين الدين الرازى الحنفى
والفلك الدائر على المثل ص ٣١ السائر لعز الدين بن أبى الحديد
وقطع الدابر عن الفلك الدائر لعبد العزيز بن عيسى
وتحرير التحبير لابن أبى الإصبع
ومواد البيان لأبى الحسن على بن خلف بن على بن عبد الوهاب الكاتب
وبديع القرآن والتبيان لابن الزملكانى والبرهان له.
والتبيان للشيخ شرف الدين الطيبى. وشرحه له.
والإيضاح للمصنف
وحواشى الإيضاح للجزرى شيخ والدى فى علم الكلام
وشرح التلخيص للإمام الزاهد ولى الله شمس الدين القونوى. وشرحه أيضاً للخطيبى وشرحه أيضاً للشيرازى وشرحه للزوزنى
وشرح البديعية للصفى بن سرايا الحلى
والطريق إلى الفصاحة للشيخ الرئيسى علاء الدين ابن النفيس شيخ والدى فى الطب
والمقدمة فى علم البيان لشيخنا شمس الدين الأصفهانى الموضوعة فى أول تفسيره
والمقدمة فى البيان والبديع الموضوعة فى أول تفسير ابن النقيب
والنظم فى علم البديع لابن معطى

والفوائد الغياثية للشيخ عضد الدين

وإذا أردت أن تعلم مقدار ما رادته القريحة من المباحث والفوائد فراجع هذه الكتب فإنك تعلم أن غالب ما عندك عنها زائد وبالله تعالى أستعين... الخ...

المصادر الوارد ذكرها فى الجزء الأول من عروس الأفراح

ص ٣٦ قال الإمام فخر الدين فى تفسيره فى أواخر البقرة وفى كتابه اللوامع
ص ٣٧ قال عبد اللطيف البغدادى فى شرح الخطب النباتية
ص ٧٨ قال الصفانى فى العباب
ص ٧٨ قال الصفانى فى كتابه المسمى تكملة الصحاح
ص ٧٩ ... كما رأيته مضبوطاً بخط عبد اللطيف
ص ٧٩ ... وذكره فى الفائق (؟)
ص ٨٢ ... قال ابن جنى فى آخر سر الصناعة
ص ٨٧ حكى ابن الجوزى فى كتاب الحمقى
ص ٩١ قال الزوزونى فى شرح التلخيص
ص ٩٩ وبخط عبد اللطيف البغدادى
ص ٩٩ قال الكرمانى...
ص ١٠٤ من أنساب القرشيين للشيخ شرف الدين الدمياطى بخطه....
ص ١٠٥ ... وهذا البيت أنشده سيبويه فى الكتاب
ص ١١١ ... المبرد فى الكامل
ص ١١٢ الخطيبى فى مغنى اللبيب
ص ٣٦ قال الإمام فخر الدين فى تفسيره فى أواخر البقرة وفى كتابه اللوامع
ص ٣٧ قال عبد اللطيف البغدادى فى شرح الخطب النباتية
ص ٧٨ قال الصفانى فى العباب
ص ٧٨ قال الصفانى فى كتابه المسمى تكملة الصحاح
ص ٧٩ ... كما رأيته مضبوطاً بخط عبد اللطيف
ص ٧٩ ... وذكره فى الفائق (؟)
ص ٨٢ ... قال ابن جنى فى آخر سر الصناعة
ص ٨٧ حكى ابن الجوزى فى كتاب الحمقى
ص ٩١ قال الزوزونى فى شرح التلخيص
ص ٩٩ وبخط عبد اللطيف البغدادى
ص ٩٩ قال الكرمانى...
ص ١٠٤ من أنساب القرشيين للشيخ شرف الدين الدمياطى بخطه....

ص ١٠٥ ... وهذا البيت أنشده سيبويه فى الكتاب
ص ١١١ ... المبرد فى الكامل
ص ١١٢ الخطيبى فى مغنى اللبيب
ص ١١٦ رواه ابن حيان فى صحيحه
ص ١٣٠ يعقب السبكي على ما قيل فى البلاغة من تصاريف بقوله: والظاهر أن أكثر هذه العبارات إنما قصدوا بها ذكر أوصاف للبلاغة ولم يقصدوا حقيقة الحد ولا الرسم.
ص ١٥٠ الراغب قال فى كتاب الذريعة إلى محاسن السريعة
ص ١٥٨ صرح القاضى أبو بكر فى التقريب والإرشاد
ص ١٥٨ نقله الرافعى فى التذييب
ص ١٥٩ وذكر الآمدى فى أبكار الأفكار
ص ١٦٠ ذكره الغزالى فى المستصفى
ص ١٦٥ الزمخشرى فى المفصل
ص ١٧٣ ابن مالك فى الكافية
ص ١٧٤ يقول السبكي : ولنا فى هذين الوجهين مباحث ذكرناها فى شرح المختصر
ص ١٨٧ ابن الحاجب فى المختصر
ص ٢٢٢ رأيت كلاماً فى بعض التعاليق يوافقه لا أدرى من كلام من هو فأحببت أن أذكره بلفظه وهذا نصه
ص ٢٢٧ وقد أنكره ابن الحاجب تصريحاً فى أماليه ومختصره الكبير
ص ٢٢٨ واستبعاداً فى مختصره الصغير فى الأصول
ص ٢٣١ وقد أوعيت الكلام على هذه المباحث فى شرح المختصر فليطلب منه (من قول السبكي)
ص ٢٤٥ قال ابن سيده فى المحكم
ص ٢٤٨ وقول الزمخشرى فى الكشاف
ص ٢٥١ ... ووقع المجاز العقلي كثيراً فى القرآن
ص ٢٦٩ ... السكاكي يرى أن الاسماء اصطلاحية لكونه معتزلياً
ص ٢٩٢ ... ولم أر من تكلم على ذلك فليتأمل.
ص ٢٩٢ ... وقد تكلمنا على ذلك فى شرح مختصر ابن الحاجب.
ص ٣٣٣ قال الراغب فى مفرداته
ص ٣٣٤ الإمام صرح فى المحصول
ص ٣٣٤ النحاة ينظرون فيما يتعلق بالألفاظ والأصوليون أكثر نظرهم فى المعانى
ص ٣٣٧ قال الإمام فى البرهان
ص ٣٥٦ قال ابن الحاجب فى أماليه
ص ٣٥٦ قال فى الهداية

ص ٣٥٦ وفى شرح المنار لحافظ الدين
ص ٣٥٨ ... ذكر (الفرعين) الوالد فى بعض تكاليفه
ص ٣٥٨ ... وعرضت هذا المعنى على والدى بدرس الشامية بدمشق
ص ٣٦٢ ... ورأيت هذه الأبيات فى ديوان أوس بخط علي بن أبي الفتح بن جنى
ص ٣٦٦ ... بقى من الوصف أمور ذكرها فى «التسهيل»
ص ٣٦٩ وبعد أن كتبت ذلك بحثاً رأيته منقولا ...
ص ٣٧٢ ... ذكرها الوالد فى تصنيف له فى (مسئلة كل)
ص ٣٧٢ ... وقد نص عليه ابن السراج فى الأصول
ص ٣٧٢ فى سنن الترمذى
ص ٣٨٧ قال ابن الحاجب فى شرح المفصل
ص ٣٨٨ قال ابن مالك فى شرح التسهيل
ص ٣٩٠ قال البطليوسى فى شرح سقط الزند
ص ٤٩٠ كذا رأيته فى الصحاح للجوهرى وحلية المحاضرة للحاتمى والتوسعة لابن السكيت
ص ٤٩٣ ... وتداخل علم البيان وعلم المعانى كثير
ص ٤٥٢ ابن الحاجب قال فى شرح المفصل
ص ١٥٥ قال سيبويه فى كتابه
ص ١٨٧ وسبقه لذلك الهيلى فى نتائج الفكر
ص ١٨٩ ذكره أيضاً الأبدى فى شرح الجذولية
ص ١٩٠ ... تبع فيه الشيخ شهاب الدين العراقى أشار إليه البيضاوى
ص ١٩٢ نقل القرافى أن الفارسى قال فى الشيرازيات
ص ١٩٩ نقله الزمخشرى فى الكشاف
ص ٢٠٠ ذكره الطيبى فى شرح البيان
ص ٢٢٨ أنشد صاحب المغرب
ص ٢٢٩ قال ابن الحاجب فى أمالى الكافية
ص ٢٤٦ قال ابن مالك فى المصباح

ورأى مصدر ما فيعترف بأسبقيته مدى التغيير وقد يكون المصدر لمجهول فيذكره أمانة .

(٢) السبكى يكثر جداً من التمثيل لآيات القرآن الكريم

(٣) يبين أن السبكى كان مغرما بجمع الأصول الخطية لبعض المصادر

(٤) السبكى يحكى المدارس المختلفة فى دراسة البيان خالصاً برأى لنفسه

المصادر الوارد ذكرها فى الجزء الثانى -ں عروس الأفراح للسبكى. مع ملاحظات طائرة

ص ٤ صاحب الإفصاح
ص ٦ أنشده سيبويه فى باب التنازع والمبرد فى الكامل
ص ١٢ وقول الزمخشرى صناعة البيانيين وهو على عادته فى إطلاق علم البيان على المعانى
ص ٥٤ الطيبى فى شرح البيانى
ابن رشيق فى العمدة
ص ٧٥ فى المحكم عن الزجاج
ص ٨٨ ذكر الوالد رحمه الله فى تفسيره فصلا
ص ٩٠ .. كذا قال الخطيبى وما قاله غير موافق لكلام الأصوليين ولا للفقهاء
ص ١٣٦ صرح ابن خطيب زملكان فى البرهان
ص ١٥١ قال صاحب الفلك الدائر...
ص ٢٤٨ وقد نقل ابن عطية
ص ٢٥٩ هذا نص ابن عصفور فى المغرب
قول الزمخشرى فى المفصل
ص ٢٩٧ نقله ابن الشجرى فى أماليه
ص ٣٢١ ذكره أيضاً العبادى فى ترجمة الفارسى من أصحابنا .
ص ٣٢٢ ... وهو اختيار أبى حامد المروروزى والصيرفى من أصحابنا والمتولى كما ذكره فى كتاب الزكاة
ص ٣٢٣ : فقال إمام الحرمين فى البرهان ... ورأيت فى العدة فى الأصول لابن الصباغ

ج٢ ص ٤٨ : من عروس الأفراح
ص (فلما ـ ص ٤٩ كان علم البلاغ وتوابعها ص ٥٠ من أجل العلوم قدراً وأدقها سراً)
س ٨ : علم البلاغة تارة يطلق على العلوم الثلاثة التى تضمنها هذا المختصر وتارة يطلق على علم المعانى والبيان وعلم البديع حينئذ تابع والمصنف جعل علم البلاغة مجموع العلمين وجعل علم البديع من توابع البلاغة والتابع والمتبوع علماً واحداً....
ثم شرع فى تعليل ذلك فقال ص (إذ به تعرف

دقائق العربية وأسرارها)

ص ٥١ : ويكشف عن وجوه الإعجاز فى نظم القرآن أستارها) اعلم أن علم العربية على ما قال الزمخشرى يرتقى إلى اثنى عشر علماً غير أن أصولها أربعة اثنان يتعلقان بالمفردات هما اللغة والتصريف ويليهما الثالث وهو علم النحو فإن المركبات هي المقصود منه وهي كالنتيجة لهما ثم يليها علم المعانى ولعلك تقول أىّ فائدة لعلم المعانى فإن المفردات والمركبات علمت بالعلوم الثلاثة وعلم المعانى غالبه من علم النحو كلا إن غاية النحوى أن ينزل المفردات على ما وضعت له ويركبها عليها ووراء ذلك مقاصد لا تتعلق بالوضع مما يتفاوت به أغراض المتكلم على أوجه لا تتناهى وتلك الأسرار لا تعلم إلا بعلم

ص ٥٢ : المعانى والنحوى وإن ذكرها فهو على وجه إجمالى يتصرف فيه البيانى تصرفاً خاصاً لا يصل إليه النحوى وهذا كما أن معظم أصول الفقه من علم اللغة والنحو والحديث وإن كان مستقلا بنفسه.

ص ٥٣ : واعلم أن علمى أصول الفقه والمعانى فى غاى التداخل فرن الخبر والإنشاء اللذين يتكلم فيهما المعانى هما موضوع غالب الأصول وإن كان ما يتكلم عليه الأصولى من كون الأمر للوجوب والنهى للتحريم «وسائل الأخبار والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد والإجمال والتفصيل والترجيح كلها ترجع إلى موضوع علم المعانى فى أصول الفقه ما ينفرد به كلام الشارع عن غيره إلا الحكم الشرعى والقياسى وأشياء يسيرة..

... فإن قلت أين كان هذا العلم فى زمن الصحابة الذين يعرفون أسرار العربية وانكشفت لهم أوجه الإعجاز قلت كان مركوزا فى طبائعهم...

ج٢ : من عروس الأفراح للسبكى

ص ٧٥ : مما يوصف به الكلام والكلمة أيضاً البراعة وأهملها الجمهور وقد ذكرها القاضى أبو بكر فى الانتصار مع الفصاحة والبلاغة وحدّها بما يقرب من حد البلاغة

جـ٣ عروس الأفراح للسبكى

مصادر وملاحظات

١٤	قال شيخنا أبو حيان فى أول شرح التسهيل
ص ٦٨	وحكى صاحب المغرب
ص ٨٨	أطلق بدر الدين بن مالك فى شرح الألفية
ص ٩٨	... اختاره ابن سنان الشفاء
ص ١١٠	حكاه عبد اللطيف البغدادى فى شرح مقدمة ابن بابشاذ
ص ١١٠	خالفه ابن جنى فى سر الصناعة
ص ١٢١	وبعد أن كتبت هذا رأيت بخط والدى رحمه الله ما نصه
ص ١٤٧	قاله ابن الحاجب فى مقدمته للنحو
ص ١٥٠	ولكن فى البخارى...
ص ٢٠٤	نقل الشيخ أبو حيان فى تذكرته عن صاحب البديع
ص ٣٠٧	صرح به الإمام فخر الدير فى المحصول
ص ٣٠٨	قال الثعالبى فى فقه اللغة
ص ٣٢٢	قال الإمام فخر الدين فى المباحث الشرقية فى آخر الفصل السابع من الباب الثانى
ص ٣٤٤	قال فى شرح التجريد
ص ٣٩٣	قال الزمخشرى فى الفائق
ص ٣٩٣	وقال الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد فى شرح العمدة
ص ٣٩٤	وصاحب البسيط
ص ٤٠٨	اختاره ابن المنير فى الانتصاف
ص ٤٠٩	وجوّز الطيبى فى شرح الكشاف
ج٤	من عروس الأفراح للسبكى

ص ١٣ وللأصوليين خلاف فى أن المجاز موضوع أولا ذكرناه فى شرح المختصر
ص ٣٨ وبعد أن خطر لى هذا السؤال رأيت فى الانتصار فى إعجاز القرآن للقاضى أبى بكر الباقلانى ما يشير إليه
ص ٥٧ قال أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم فى كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء
ص ٥٩ والحاتمى شيخ السكاكى
ص ٢٧٤ (تنبيه) ما ذكرناه من الكناية هو باصطلاح البيانيين أما الفقهاء فقد ذكروا الكنايات والظاهر أنها عندهم مجاز فإذا قال الزوج أنت خليه مريداً الطلاق فهو مجاز ويسميه الفقيه كناية فلو أراد حقيقة اللفظ لكونه لازماً للطلاق ففى وقوع الطلاق نظر ولا أعلم فيه نقلا ولم يتعرضوا للفرق بين الكناية والتعريض إلا فى باب اللعان فإنه ذكروا التصريح والكناية والتعريض أقساماً وذكروا فى الخطبة على الخطبة التصريح والتعريض ولم يذكروا الكناية. وذكر الوالد فى شرح المنهاج الثلاثة واختار أن الكناية فى الخطبة على الخطبة حرام لأنها أبلغ من التصريح.
ص ٢٨٢ ... فيه خلاف حكاه الوالد فى تفسير المسمى بالدر النظيم
ص ٢٨٧ نقل المطرزى وصاحب المعيار
ص ٢٩٠ وقسمه صاحب بديع القرآن ثلاثة أقسام....
ص ٢٩٧ وقال المطرازى فى شرح المقامات
ص ٤١٢ ورد عليه الصقلى فى العدة....
ص ٤٥٠ رأيت فى مختصر الصناعتين للعسكرى....
ص ٤٥٢ وحكى القاضى أبو بكر فى كتاب الانتصار...
ص ٤٦٧ (تنبيه) اعلم أن أنواع البديع كثيرة وقد صنّف فيها وأول من اخترع ذلك عبد الله بن المعتز وجمع منها سبعة عشر نوعاً وقال فى أول كتابه وما جمع قبلى فنون البديع أحد ولا سبقنى إلى تأليفه مؤلف وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين فمن أحب أن يقتدى بنا ويقتصر على هذه فليفعل ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع ورأى فيه غير رأينا فله اختياره وعاصره قدامة الكاتب فجمع منها عشرين نوعاً تواردا منها على سبعة فكان جملة مازاده ثلاثة عشر فتكامل بها ثلاثون

نوعاً ثم تتبعها الناس فجمع أبو هلال العسكرى سبعة وثلاثين .

جـ ٤ : من عروس الأفراح للسبكى

ثم جمع ابن رشيق القيروانى مثلها وأضاف إليها خمسة وستين باباً من الشعر وتلاهما شرف الدين الشاشى فبلغ بها السبعين ثم تكلم فيها ابن أبى الإصبع وكتاب المحرر أصح كتب هذا الفن لاشتماله على النقل والنقد ذكر أنه لم يؤلفه حتى وقف على أربعين ص ٤٦٨ : كتاباً فى هذا العلم أو بعضه وعددها فأوصلها تسعين وادعى أنه استخرج هو ثلاثين سلم له منها عشرون وباقيها متداخل أو مسبوق به. وصنّف ابن منقذ كتاب التفريغ فى البديع جمع فيه خمسة وتسعين نوعاً ثم إن السكاكى اقتصر على سبعة وعشرين ثم قال : ولك أن تستخرج من هذا القبيل ما شئت وتلقب كلا من ذلك بما أحببت ثم إن صفى الدين بن سرايا الحلبى عصرنيا جمع مائة وأربعين نوعاً فى قصيدة نبوية فى مدحه ﷺ ثم إن المصنف ذكر من البديع المعنوى ثلاثين نوعاً ومن البديع اللفظى سبعة أنواع وذكر بينهما أموراً ملحقة بها يصلح أن تعد أنواعاً أخر وها أنا أذكر شيئاً مما ذكره الناس ليكون مضافاً لما سبق فعليك باعتبار ما هو داخل منها فى كلام المصنف وما ليس بداخل وباعتبار ما بينها من التداخل وبما أنبه فى أثنائها على شىء من ذلك... الخ...

ص ٥٤٧ (فى نسخة الأصل ما نصّه : قال المؤلف رحمه الله : فرغت منه ما بين المغرب والعشاء من ليلة الإثنين عاشر جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة والحمد لله...)

الفصـــل السادس

بيئـــة المغرب والأندلس

كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس

للشيخ أبى عبد الله محمد بن الكنافى الطيب

تحقيق الدكتور إحسان عباس ط دار الثقافة بيروت لبنان

يعد كتاب التشبيهات وثيقة أدبية هامة فى الأدب الأندلسى حتى نهاية القرن الرابع الهجرى فى عصرى الأمويين والعامريين بالأندلس إذ يجمع الصور الفنية لشعر شعرائها والتى ضمت ستة وستين باباً تناول كل باب موضوعاً فمن الباب الأول إلى الباب الثانى عشر فى إيراد الصور المتصلة بالطبيعة ومظاهرها المتنوعة ومن نماذجها قول محمد بن الحسين :

والجو أزرق والنجـــوم كأنها   ذهب تسربل لا زوردا أزرقا
وكأنما الجوزاء فيه تقـلـدت   سيفا،حمائله المجرة، معـرقاً

وبالثالث عشر يبدأ باب فى الخمر، ومن هذا الموضوع أبواب ثلاثة ثم يبدأ السادس عشر بالقيان والمغنيين وتأتى أبواب فى أدوات الغناء وفى مادة الغناء، أى الشعر الذى يعرض من خلاله المقاييس الذوقية عند الأندلسيين وبذلك ينتهى الجزء الأول ويفتتح الكتاب الثانى بالباب التاسع عشر، حيث تتعلق الصفات بذكر الجمال الإنسانى أو الحسن . ومن الطبيعى أن تجىء الأبواب التالية فى الشعر وأصداغ القيان والغلمان والوجه والخدود والعيون والثغور والقدود وبعد ذلك ينتقل إلى المواقف العاطفية وبهذا تنتهى الأبواب المتصلة بموضوعين كبيرين الجمال والحب ويبدأ الكتاب من الباب السابع والثلاثين بالتحول إلى وجهة أخرى فتتناول أبوابه مادتين :

(أ) الصراع بين الإنسان والطبيعة   (ب) الصراع بين الإنسان والإنسان

أما الجزء الثالث الذى يبدأ بالباب الثانى والخمسين فإنه يتناول الكتابة وأدواتها وبعض الآلات الحضارية وينتقل فجأة إلى الجانب الأخلاقى ثم أبواب فى الاعتبار بالغناء ثم يختم الكتاب بباب عنوانه «باب شواذ تقل نظائرها» .

الاقتضاب فى شرح أدب الكاتب

لابن السيد البطليوسى ت ٥٢١هـ

تحقيق عبد الله البستان، طبع المطبعة الأدبية ببيروت، سنة ١٩١٠م.

ص ٢ : قال أبو محمد عبد الله بن محمد ابن السيد البطليوسى غرضى فى كتاب هذا تفسير خطبة الكتاب الموسوم بأدب الكتاب وذكر

أصناف الكتبة ومراتبهم وجلّ ما يحتاجون إليه في صناعتهم ثم الكلام على مشكل إعراب أبياته ومعانيها وذكر ما يحضرني من أسماء قائليها وقد قسمته ثلاثة أجزاء الجزء الأول في شرح الخطبة وما يتعلق لها من ذكر أصناف الكتاب وآلاتهم . والجزء الثاني في التنبيه على ما غلط فيه واضع الكتاب أو التامكون عنه وما منع منه وهو جائز والجزء الثالث في شرح أبياته.

ص ١٤ : من الاقتضاب

وقوله (فأبعد غايات كاتبنا في كتاباته أن يكون حسن الخط قويم الحروف)

يريد أن الكاتب ينبغي أن تكون له مشاركة في جميع المعارف لأنه يشاهد مجالس الملوك التي يحضرها خواص الناس وعلماؤها ويتحاورون فيها في أنواع المحاورة وأصناف المذاكرة فلشدة زهادة الناس في العلم ورغبتهم عنه قد صارت غاية الكاتب أن يحسن الخط ويقيم حروف الكتابة فإذا صار في هذه المرتبة أهابته وظن أنه قد فاق أبناء جنسه.

وقوله (وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتاً في مدح قينة أو وصف كاس)

يريد أن الأدب له غرضان أحدهما يقال له الغرض الأدنى والثاني الغرض الأعلى فالغرض الأدبي أن يحصل للمتأدب بالنظر في الأدب والتمهر فيه قوة يقدر بها على النظم والنثر والغرض الأعلى أن يحصل للمتأدب قوة على فهم كتاب الله تعالى وكلام رسوله ﷺ وصحابته ويعلم كيف تبنى الألفاظ الواردة في القرآن والحديث بعضها على بعض حتى تستنبط منها الأحكام وتتفرع الفروع وتنتج النتائج وتقرن القرائن على ما تقتضيه مباني كلام العرب ومجازاتها كما يفعل أصحاب الأصول. وفي الأدب لمن حصل في هذه المرتبة منه أعظم معنوة على فهم علم الكلام وكثير من العلوم النظرية فقد زهد الناس في علم الأدب ـ وجهلوا قدر الفائدة الحاصلة منه حتى ظن المتأدب أن أقصى غاياته أن يقول أبياتاً من الشعر

ص ١٥ والشعر عند العلماء أدنى مراتب الأدب لأنه باطل يجلي في معرض حق وكذب يصور بصورة صدق وهذا الذمّ إنما يتعلق بمن ظن صناعة الشعر غاية الفضل وأفضل حلى أهل النبل فأما من كان بعض حلاه وكانت له فضائل سواه ولم يتخذه مكسباً وصناعة ولم يرضه لنفسه حرفة وبضاعة فإنه زائد في جلالة قدره ونباهة ذكره. وأبيات تصغير أبيات ويروى أبياتاً على التكسير والتصغير ههنا أشبه بغرضه الذى قصده من ذم المتأدبين

ص ١٧ : وقوله «إنما الجوهر يقوم بنفسه»

أما عند البصريين لها معنيان : أحدهما تحقير الشيء وتقليله والثانى الاقتصار عليه أما احتقار الشيء وتقليله فكرجل سمعته يزعم أنه يهب الهبات ويواسى الناس بما له فتقول إنما وهبت درهماً تحتقر ما صنع ولا تعبده شيئاً وأما الاقتصار على الشيء فنحو رجل سمعته يقول زيد شجاع وكريم فتقول إنما هو شجاع أى ليس له من هذه الصفات الثلاث غير الشجاعة وتستعمل إنما أيضاً فى رد الشيء إلى حقيقته إذا وصف بصفات لا تليق كقوله

ص ١٨ : تعالى ﴿ إنما الله إله واحد ﴾ وقوله ﴿ إنما أنا بشر مثلكم ﴾ وهذا راجع إلى معنى الاقتصار وذكر الكوفيون أنها تستعمل بمعنى النفى واحتجوا بقول الفرزدق :

أنا الزائد الحامى الديار وإنما   يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

قالوا معناه ما يدافع عن أحسابهم إلا أنا أو مثلى والذى أراده ابن قتيبة من هذه المعانى الثلاثة ههنا معنى التحقير والتقليل لأنه احتقر ما جاءوا به وبم تره شيئاً ألا تراه قاله مع هذيان كثير فجعله كله هذياناً وهذا ظريف جداً لأنا لا نعلم خلافا بين المتقدمين والمتأخرين من أصحاب الكلام أن الجوهر يقوم بنفسه والعرض لا يقوم بنفسه وكذلك رأس الخط النقطة والنقطة لا تنقسم وهو كلام صحيح لا مطعن فيه وهذا يدل على أنه كان غير بصير بهذه الصناعة لأنه عابهم بما هو صحيح وإن كان ينبغى أن يذكر مذاهبهم المخالفة للحق المجانبة للصدق كما فعل المتكلمون من أهل ملتنا رحمهم الله وقد روى أن الذى دعاه إلى الطعن عليهم فى كتابه هذا أنه كان متهماً بالميل إلى مذاهبهم واعتقادهم فأراد الله أن ينفى الظنّة عن نفسه بثلبهم والطعن عليهم.

ص ٢٤ : وقوله : «فصل الخطاب»

أى بيانه وأصل الفصل الفرق بين الشيئين حتى يمتاز كل واحد منهما من صاحبه ويسمى كل قول فرق بين الحق والباطل فصلا ومنه قيل للعضو الذى يمتاز من غير مفصل وفصل وقول الخطيب فى خطبته والكاتب فى رسالته أما بعد ين من شأن الخطيب والكاتب أن يبدأ أولا بحمد الله تعالى والصلاة على رسوله ثم يقول أما بعد ويبدأ باقتصاص ما قصد نحوه فيكون قوله أما بعد فصلا بين التحميد الذى صدر به وبين الأمر الذى قصده وحاوله.

وقوله «فالحمد لله الذى أعاذ الوزير أبا الحسن أيده الله من هذه الرذيلة»

يعني عبيد الله بن يحيى بن خاقان وكان وزيراً للمتوكل فعمل له ابن قتيبة هذا الكتاب وتوسل به إليه فأحسن عبيد الله صلته واصطنعه وعني به عند المتوكل حتى صرفه فى بعض أعماله

ص ٢٥ : وقوله « من موقف رجل من الكتاب»

قال ابن القوطية هذا الرجل هو محمد بن الفضل وهذا غلط لأن محمد بن الفضل إنما هو وزير للمتوكل وكان شاعراً كاتباً حلو الشمائل عالمًا بالغناء وولى الوزارة أيضاً فى أيام المستعين والخليفة المذكور ههنا إنما هو المعتصم وقال أبو على البغدادى هذا الكتاب هو أحمد بن عمار وكذلك قال الصولى وقد قيل هو الفضل بن مروان والمشهور أنه أحمد بن عمار وكان وزير المعصتم وكان الفضل بن مروان هو الذى عنى به حتى استوزره المعتصم وكان الفضل بن مروان وأحمد بن عمار ص ٢٦

لا يحسنان شيئاً من الأدب وكان عمار طحاناً من أهل المزار ولذلك قال فيه بعض الشعراء :

لا يعمر الرحمن ملك امرىء	يقيمه رأى ابن عمار
ما يفرق الطحان من جهـــلة	مـــا بين إيراد وإصدار

وقال رجل من الشعراء يقال له أبو شبل عاصم بن وهب البرجمى يهجوه ويهجو الفضل بن مروان لاصطناعه إياه وسعايته له حتى صار وزيراً.

ماذا احتملنا للفضل بن مـــروان	أباده الله من ظلم وعـــــدوان
حتى مضت ظلماً أيام دولتـــــه	لم يتضح به جاهاً ضوء إنســـان
أبقى دليلا عليه فى عمايـــــه	كما استدل على أصل بأغصان
مثلان فى العمى لم ينهضهما أدب	مستحوذان على جهل شبيهـــان
لولا الإمام أبو إسحاق أن لـــه	عناية بالقصىّ الدار والـــــدان
لأصبح الناس فوضى لا نظام لهم	ولم يدلّ على حق يبرهـــــان

فيقال أن المعتصم لما قرأ هذا الشعر ضحك وعزل أحمد بن عمار ويروى أن المعتصم وهو محمد بن هارون الرشيد يكنى أبا اسحاق كان قليل البضاعة من الأدب ويزعمون أن أباه كان عنى بتأديبه فى أول مرة فمرت به جنازة لبعض الخدم فقال ليتنى كنت هذه الجنازة لأتخلص من هم الكتب فأخبر بذلك أبوه فقال والله لأعذبنه بشىء يختار الموت من أجله وأقسم أن لا يقرأ طول حياته فلما صارت إليه الخلافة واتخذ أحمد بن عمار وزيراً ورد

عليه كتاب عامل الجبل يذكر فيه خصب السنة وكثرة الغلات وأنهم مطروا مطراً كثر عن الكلأ فقال لابن عمار وما الكلأ فتردد فى الجواب وتعثر ثم قال لا أدرى . فاقال المعتصم إنا لله وإنا إليه راجعون أخليفة أمىّ وكاتب أمىّ ثم قال ادخلوا علىّ من يقرب منا من الكتاب فعرف محمد بن عبد الملك الزيات مكانه من الأدب وكان يتولى مهرمة الدار ويشرف على المطبخ ويقف فى الدار وعليه دراعه ص ٢٧ سوداء فأمر بإدخاله عليه وقال له ما الكلأ فقال النبات كله رطبه ويابسه والرطب منه خاصة يقال له خلا واليابس منه يقال له حشيش ثم اندفع يصف به النبات من حين ابتدائه إلى حين اكتهاله إلى حين هيجه فاستحسن المعتصم ما رأى منه وقال ليتقلّد هذا الفتى العرض علىّ فكان ذلك سبب ترقيه إلى الوزارة وكان لمحمد بن عبد الملك حظ وافر من الأدب والنظم والنثر وكان أبوه إذا رأى جدّه فى القراءة لامه على ذلك وقال له ما الذى يجدى عليه الأدب ولو تحرفت فى بعض الصناعات لكان أجدى عليك إلى أن امتدح الحسن بن سهل فأعطاه عشرة آلاف درهم فقال له أبوه والله لا ألومك أبداً ولما وصله الحسن فقال :

لم أمتدحك رجاء المال أطلبه   لكن لتلبسنى التحجيل والغـــررا
ما كان ذلك إلا أننى رجـل   لا أقرب الورد حتى أعرف الصّدرا

وقوله : «ومن مقام آخر فى مثل حاله»

هذا الكتاب الثانى هو شجاع بن القاسم كاتب أوتامش التركى وكان يتولى عرض الكتب على المستعين أحمد بن محمد المعتصم وكان جاهلا لا يتحسن القراءة إلا أنه كان ذكياً تقرأ عليه عشرة كتب فيحفظ معانيها ويدخل إلى المستعين يسامره فيها ولا يغلط فى شيء منها ويروى أنه دخل على المستعين وذيل قبائه قد تخرق فقال له المستعين ما هذا يا شجاع وكان يستظرف ما يأتى به فقال يا أمير المؤمنين درس الكلب ذنبى فخرقت قباءة يريد درست ذنب الكلب فخرق قباءى ومدحه بعض الشعراء فقال له فى مدحه :

أبو حسن يزيد الملك حسناً   ويصدق فى المواعد والنعال
جبان عن مذلة آمليـــــه   شجاع فى العطية الســؤال

فقال له وما يدريك أنى جبان فقال إنما قلت أعزك الله أنك جبان عن البخل لا جبان عن الأعداء وهذا من أحسن المدح واستشهد بمن حضر فشهدوا ص ٢٨ : له فقال إنما تزينون ما أتى به فأنا أعطيه لمكانكم ورعايتكم لا لشعره لأنه قد هجانى وأمرك بصلة. ومدحه بعض الشطار بشعر يقول فيه:

شجاع لجاع كاتب لاتب معا | كجملود صخر حطه السيل من عل
فريص لميص مستمر مقـــدم | كثير أثير ذو شمال مهـــذب
فطين لطين أمر لك زاجـــر | حصيف لصيف حين يخبر يعلـم
بليغ لبيغ كلما شئت قلتـــه | وإن تسكت عن القول يســكت
أديب لبيب فيه عقل وحكمة | بشعرى حين أنشد يشـــهد
كريم حليم قايض متباســط | إذا جئته يوماً إلى البسط يســمح

وأعطى هذا الشعر لرجل طالبى فلقى به شجاعاً وهو على قارعة الطريق وحوله الناس فاستوقفه وأنشده إياه فضحك وشكره ودخل إلى المستعين فرغب إليه فى أمره فأعطاه عشرة آلاف درهم صلة وأجرى له ألف درهم راتباً فى الشهر.

وقوله « ومن قول آخر في وصف برذون أهداه وقد بعثت إليك أبيض الظهر والشفتين فقيل له لو قلت أرثم ألمظ».

هذا الكتاب الثالث لا أعلم إلى من هو ...

ص ٣٣ : وقوله « شيئاً من التصاريف والأبنية »

هذا العلم من أجلّ علوم العربية لأنه يهدى إلى معرفة الأصلى من الزائد والصحيح من المعتل والمقام من الناقص والمظهر من المدغم وأكثر المتعاطين لصناعة العربية لا يحسنونه وهو ينقسم ثلاثة أقسام.تصريف لفظ فقط وتصريف معنى فقط وتصريف لفظ ومعنى معاً فأما تصريف اللفظ فنوعان أحدهما تعاقب الحركات والحروف على اللفظ الواحد كقولك زيد وزيداً وزيد وأخوك وأخاك وأخيك. والثانى تغيير الصور مع اتفاق المعانى كقولهم رضل ضروب وضراب ومضراب وضرب وضريب فالألفاظ مختلفة والمعنى واحد وأما تصريف المعنى وحده فهو اختلاف المعانى مع اتفاق الألفاظ كالهلال يتصرف فى كلام العرب على عشرين معنى والقمر يتصرف على ستة معان والكواكب على خمسة والنجم على ستة ونحو ذلك وأما تصريف اللفظ والمعنى فهو أن يختلف اللفظ ويختلف المعنى باختلافه كقولك ضارب لفاعل الضرب ومضروب للذى وقع عليه الضرب ومضرب بفتح الراء للمصدر ومضرب بكسر الراء للمكان الذى وقع فيه الضرب أو للمان ومضراب للعود الذى يضرب به م وانقلاب الياء عن الواو يكون فى كل موضع تسكن فيه الواو وقبلها كسرة نحو ميزان لأنه من الوزن . وانقلاب الواو عن الياء يكون في كل موضع تسكن فيه الياء وقبلها ضمه نحو أيقن فهو موقن وانقلاب الألف عن الواو وعن الياء يكون فى كل موضع يتحرك فيه الواو والياء وقبلهما فتحة نحو قال أصله قول وباع أصله بيع وانقلاب الياء عن

ص ٣٤ : الألف في نحو سربال وسرابيل وانقالب الياء عن الواو ف ينحو عنقود وعناقيد .

ص ٣٥ : وقوله « وكانت العجم تقول من لم يكن عالمًا بإجراء المياه وحفر المتاوب إلى آر الفصل من طريق أمر هذا الوجه رحمه الله أنه نهى قارىء كتابه أولا عن النظر في شيء من العلوم القديمة وسماه هذياناً ثم جعل بعد ذلك يرغبه فيها وكأنه كره أن يكون هو الآمر بذلك فيتناقض قوله فنسب ذلك إلى العجم.

ص ٤٥ : وقوله « نحن نستحب لمن قبل عنّا وأتمّ بكتبنا »

يريد أن المتأدب أحوج إلى تأديب أخلاقه منه إلى تأديب لسانه وذلك تجد من العامة الذين لم ينظروا في شيء من الأدب هو حسن اللقاء جميل المعاملة حلو الشمائل يكرم لجليسه وتجد في ذوى الأدب من أفنى دهره في القراءة والنظر وهو مع ذلك قبيح اللقاء سيء المعاملة جافي الشمائل غليظ الطبع ولذلك قيل الأدب نوعان أدب خبره وأدب عشرة وقال الشاعر :

يا سائلي عن أدب الخبرة أحسن منه أدب العشـرة
كم من فتى تكثر آدابــه أخلاقه من علمه صغره

ص ٥٦ :وقوله : «ونستحب له إن استطاع أن يعدل بكلامه عن الجهة التي تلزمه مستثقل الأعراب»

يقول لا ينبغي للمتأدب أن يستعمل في كلامه مع عوام الناس الأعراب علي ما تستحقه الألفاظ في صناعة النحو فإنه إن فعل ذلك استخف به وصار هزأة لمن يسمعه وخرج إلى التقعر الذي تقدم ذكره وإنما ينبغي للمتأدب أن يقصد الألفاظ السهلة والإعراب السهل ويكون علي كلامه ديباجة وطلاوة تدلّ علي أنه متأدب ويجعل لكلامه مرتبة بين الألفاظ السوقية والألفاظ الوحشية فقد قال ﷺ : خير الأمور أوساطها » ومن هذه الجهة أتي المتقعرون فإنه حسبوا أن مكانتهم من الأدب لا تعرف حتي يستعملوا الألفاظ الوحشية فصاروا ضحكة للناس.

ص ٥٩ : وقوله : «وحش الغريب»

يريد ما لم تجر العادة باستعماله أو كان قليل الاستعمال شبه بالوحشي من الحيوان وهو ما يفر من الإنسان ولا يأنس به .

وقوله : «وأنا محتاج إلى أن تنفذ لي جيشاً لجبا عرمرما»

لا أعلم من الكاتب القائل لهذا الكلام

وقوله « وكقول آخر فى كتاب عضب عارض ألم ألمّ فأنهيته عذراً»

لا أعلم هذا الكتاب لمن هو ورأيت بعض الحواشى المعلقة أن أحمد بن شريح الكاتب ولا أعلم أحمد بن شريح هذا . ومعنى عضب قطع والألم المرض وعارضه ما يعرض للمريض منه وألمّ نزل وقوله «فأنهيته عذراً » أى جعلته النهاى فى العذر والمخاطب بهذا رجل كان كلفه أمراً فضمن له السعى فيه فقطع به عن ذلك مرض ب إليه يعتذر من تأخر سعيه بالمرض الذى عاقه عنه وقد ذكر ابن قتيبة هذا الكلام فى آلة الكتاب وغير ذلك من كتبه فلم يسمّ قائله من هو .

ص ٦٠ : وقوله «وتستحب له أن يتزل ألفاظه فى كتبه»

تنزيل الكلام ترتيبه ووضع كل شىء منه فى مرتبته اللائقة به وذكره فى الوقت الذى ينبغى أن يذكر فيه قال الله تعالى ﴿ ونزلناه تنزيلا﴾ .

وقوله « وليس يفرقون بين ما يكتب إليه أنا فعلت وبين من يكتب إليه ونحن فعلنا ذلك.» كذا الرواية عن ابن قتيبة وقال أبو على البغدادى والصواب بين من يكتب عن نفسه أنا فعلت وبين من يكتب عن نفسه ونحن فعلنا الآن هذا أمر يخص الكاتب دون المكتوب إليه والذى قاله أبو على هو الصحيح إلى لا مدفع فيه وإن كان قول ابن قتيبة قد كان يمكن أن يوجد له وجه يصح به إذا حمل عليه وذلك أن الكاتب لا ينبغى له أن يكتب عن نفسه نحن فعلنا ذلك إلا رلى من هو كفء وله فى المنزلة أو من هو دونه فى المرتبة ولا يجوز ءأن يكتب بذلك إلى من يعظمه ويوقره إنما ينبغى له أن يصغر نفسه ويضع منها فإذا حمل التأويل على هذا صح قول ابن قتيبة وإنما جاز للرئيس وللعالم أن يقولا عن أنفسهما نحن نقول كذا ونحن نفعل كذا لأن الرئيس يطاع أمره وله أتباع على مذهبه ورأيه فكأنه يخبر عن نفسه وعن كل من يتبعه ويرى رأيه وكذلك العالم وفيه وجه

ص ٦١ : آخر وذلك أن الرجل الجليل القدر النبيه الذكر ينوب وحده مناب جماعة وينزل منزلة عدد كثير فى علمه أو فى فضله ورأيه.

ص ٦٢ : وقوله «وعلى هذا الابتداء خوطبوا فى الجواب»

يريد أن الرجل يخاطب على حسب ما يخبر ن يقول أنا فعلت قيل له فى المخاطبة أنت فعلت وإذا كان يخبر عن نفسه بأن يقول نحن فعلنا قيل له فى المخاطبة أنتم فعلتم ولما كان الله يخبر عن نفسه بأخبار الجماعة فيقول

نحن نزلنا الذكر ونحن نقص عليك أحسن القصص خاطبه الكافر مخاطبة الجماعة فقال رب ارجعون ولم يقل رب ارجعن.

الاقتضاب للبطليوسي

ص ٦٦ : ... ولما كان أبو محمد بن قتيبة رحمه الله تعالى قد شرط على الكاتب شروطاً فى هذه الخطبة ألزمه معرفتها وكان الكتاب مختلفى الطبقات منهم من تلزمه معرفة تلك الأشياء ومنهم من يختص ببعضها دون بعض فإن علم غير ما هو مضطر إلى معرفته في صناعته كان زائداً فى نبه وإن جهله لم يكن معنفاً على جهله رأينا أن نذكر أصناف الكتاب وما يحتاج إليه كل صنف منهم مما يخص مرتبته وما لا يسع واحد منهم أن يحتمله ثم نذكر بعد ذلك آلة الكتاب التى يحتاجون إلى معرفتها كالدواة والعلم ونموهما ونجزى فى ذلك كله إلى الاختصار ليكون متمماً لفائدة هذه الخطبة وبالله التوفيق.

ذكر أصناف الكتب

أصناف الكتاب على ما ذكره ابن مقلة خمسة كاتب خط وكاتب لفظ وكاتب عقد وكاتب حكم وكاتب تدبير فكاتب الخط وهو الوراق والمحرر وكاتب اللفظ هو المترسل وكاتب العقد هو كاتب الحساب الى يكتب للعامل وكاتب الحكم هو الذى يكتب للقاضي ونحوه ممن يتولى النظر فى الأحكام وكاتب التدبير هو كاتب السلطان أو كاتب وزير دولته وهؤلاء الكتاب الخمسة يحتاج كل ص ٦٧ واحد منهم إلى أن يتمهر فى علم اللسان حتى يعلم الإعراب ويسلم من اللحن ويعرف المقصور والممدود والمقطوع والموصول والمذكر والمؤنث ويكون له بصر بالهجاء فإن الخطأ فى الهجاء كالخطأ في الكلام وليس على واحد منهم أن يمعن فى معرفة النحو إمعان المعلمين الذين اتخذوا هذا الشأن صناعة وصيروه بضاعة ولا إمعان الفقهاء الذين أرادوا بالإغراق فيه فهم كلام الله تعالى وكلام رسوله وكيف تستنبط الأحكام والحدود والعقائد بمقاييس كلام العرب ومجازاتها لفاعليه أن يعلم من ذلك ما لا تسعه جالته ثم يكثر بعد ذلك من معرفة ما يخص صناعته ويحتاج كل واحد منهم أيضاً إلى العفة ونزاهة النفس وحسن المعاملة للناس ولين الجانب وسماحة الأخلاق والنصيحة لمخدومه فيما يقده إياه ويعصمه به ثم يحتاج كل واحد منهم بعد ما ذكرناه إلى أمور تخصه لا

يحتاج إليها غيره ونحن نذكر ذلك بأوجز قول وأقرب بيان إن شاء الله تعالى وإنما نذكر مراتب الكتاب على ما كانت عليه فى القديم وأما اليوم فقد تغيرت عن رسمها العلوم ولكل دهر دولة ورجال ولكل حال إدبار وإقبال.

كاتب الخط

....

ص ٦٨ : وأن يكون تباعد ما بين السطور على نسبة واحدة إلى أن يأتى فصل فيزاد فى ذلك والفصل إنما يكون من تمام الكلام الذى يبدأ به واستئناف كلام غيره وسعة الفصول وضيقها على مقدار تناسب الكلام فإن كان القول المستأنف مشاكلا للقول الأول أو متعلقاً بمعنى منه جعل الفصل صغيراً وإن كان مبايناً له بالكلية جعل الفصل أكبر من ذلك فأما الفصل قبل تمام القول فهو من أعيب العيوب على الكاتب والوراق جميعها وترك الفصول عند تمام الكلام عيب أيضاً إلا أنه دون الأول.

كاتب اللفظ

وأما كاتب اللفظ وهو المترسل فيحتاج إلى الاستكثار من حفظ الرسائل والخطب والأمثال والأخبار والأشعار ومن حفظ عيون الحديث ليدخلها فى تضاعيف سطوره متمثلا إذا كتب ويصل بها كلامه إذا حاور ولا بأس باستعمال الشعر فى الرسائل اقتضاباً وتمثلا وإنام يحسن ذلك فى مكاتبة الأكفاء ومن دونهم ويكره ذلك فى مخاطبة الرؤساء والجلة من الوزراء لأن محله م يكبر عن ذلك إلا أن يكون الشعر من قرض الكاتب فإن ذلك جائز له وقد تسامح الناس فى تلك ص ٦٩ وخالفوا الرتبة القديمة ويحتاج الكاتب إلى معرفة مراتب المكاتبين عند من يكتب عنه وما يليق بهم من الأدعية والعنوانات على حسب ما تقتضيه مرتبة مخدومه بين مراتبهم فينزل كل واحد منهم مرتبته اللائقة ومراتب الكاتبين ثلاث . مرتبة من فوقك ومرتبة من هو مثلك ومرتبة من هو دونك.والمرتبة العليا تنقسم ثلاثة أقسام فأعلاه مرتبة الخليفة ووزيره ومن كان نظير الوزير عنده ثم مرتبة الأمراء ومن جرى مجراهم ممن هو دون الوزراء ثم مرتبة العمال وأصحاب الدواوين كذا قال ابن مقلة. والواجب أن تجعل لك ليفة مرتبة أرفع من كل مرتبة وألا يشاركه فيها وزير ولا غيره والمرتبة الوسطى تنقسم ثلاثة أقسام أيضاً فأعلاها مرتبة الشريف من الأصدقاء والعالم والثانية مرتبة الشيخ من الإخوان الذى يجب توقيره وإن لم يكن شريفاً

ولا عالماً والثالة مرتبة الصديق إذا خلا من هذه الأحوال.

والمرتبة السفلى تنقسم إلى ثلاثة أقسام أيضاً فأعلاها مرتبة من قرب محله من محلك والثانية مرتبة من لك رئاسة عليه ووليت عملا هو فيه من رعاياكم والثالثة مرتبة الحاشية ومن جرى مجراهم من رعيتك من الأولياء والخدم ولكل طبقة من هذه الطبقات مرتبة فى المخاطبة ومنزلة متى زيد عليها أو قصر به عنها وقع في الأمور الخلل وعاد ذلك بالضرر وذلك أن الرئيس إذا قصر به عما يستحقه أغضبه ذلك وأحنقه والتابع متى زيد على استحقاقه أطغاه ذلك وأكفره إلا أن يكون قد فعل فى الخدمة ما يقتضى ورفقعه تلك المنزلة إلى منزلة أعلى منها وليس فى هذه الطبقات من لا تعاب الزيادة في مخاطبته إلا الصديق والحبيب فكل ما تخاطب به مما يمكن المودّة ويوطد الألفة فإنه حسن وصواب فينبغى للكاتب أن ينزل كل واحد من هذه الطبقات فيمرتبة تليق به على قدر منزلته منه وعلى ما جرت به عادة الكتاب فى زمانه فإن العادات تختلف باختلاف الأزمنة فيستحسن أهل كل زمان ما لا يستحسنه غيرهم وللنساء مراتب فى مخاطبتهم ينبغى للكاتب أن يعرفها

ص ٧٠ : فمن ذلك أنه لا ينبغى للكاتب أن يدعو لهن بالكرامة ولا بالسعادة لأن كرامة المرأة وسعادتها موتها عندهنّ ولا يقال لواحدة منهن أتمّ الله نعمته عليك لأنهنّ ينكرن أن يكون شىء عليهن ولا يقال جعلنى الله فداءك ولا قدمنى إلى الموت قبلك لأ هذا يجرى مجرى المنازلة ولا يقال لواحدة منهنّ بلغنى الله أملى فيك لاستقباحهن أن يكون شىء فيهن وبالجملة فينبغي للكاتب إليهن أن يتجنب كل لفظة يقع فيها اشتراك ويمكن أن تتأوّل على ما يعتبر فإن ذلك يعد من خدمة ونبله.

كاتب العقد

وهو كاتب الحساب وكتاب الحساب ثلاثة كاتب مجلس وكاتب عامل وكاتب جيش فيعم هؤلاء الثلاثة أنهم محتاجون إلى أن يكونوا عارفين بالتقدير حتى يعلموا التجميل والتفضيل ومليًا ينبغى أن يخرجوه من الرؤوس فى الأعمال وما ينبغى أن يكون حشوا فى الكلام وأن يكونوا محتاطين ألفاظهم حتى تصح معانيها ولا يقع اشتراك فيها ... الخ .

ص ٧١ كاتب المجلس

كاتب العامل (حتى صفحة ٧٤)

...

ص ٧٤ : (كاتب الجيش (حتى صفحة ٧٦)

ص ٧٦ : كاتب الحكم (حتى صفحة ٧٨)

أمور الأحكام جارية فى شريعة الإسلام على أربعة أوجه حكم القضاء وهو أجلها وأعلاها ثم حم المظالم ثم حكم الديوان وهو حكم الخارج ثم حكم الشركة فينبغى لكاتب القضاء أن يكون عارفاً بالحلال والحرام وبصيراً بالسنن والأحكام وما توجيه تصاريف الألفاظ وأقسام الكلام ويكون له حذق ومهارة يكتب الشروط والإقرارات والمحاضر والسلات وقد ذكر الناس فى أوضاعهم من هذه المعانى.

ص ٦٨ : كاتب المظالم (حتى صفحة ٧٩)

ص ٧٩ : كاتب الديوان (حتى صفحة (٨٠)

ص ٨٠ :كاتب الشرطة (حتى صفحة ٨١)

ص ٨١ :كاتب التدبير

وأما كاتب التدبير فهو أعظم الكتاب مرتبة وأرفعهم منزلة لأنه كاتب السلطان الذى يكتب أسراره ويحضر مجلسه وهو الذى يدعى وزير الدولة المرجوع إليه فى جميع أنواع الخدمة وهذا الكاتب أحوج الكتاب المذكورين إلى أن تكون له مشاركة فى جميع العلوم بعد إحكامه لما يحتاج إليه من صناعته وينبغى أن يكون أكثر عمله التواريخ وأخبار الملوك والسير والدول والأمثال والأشعار فإن الملوك إلى هذه الأنواع من العلم أميل وهم بها ألهج وقلما يميلون إلى غير ذلك من العلوم وبالجملة ينبغى لهذا الكاتب أن يجرى إلى تعلم الأشياء التى يعلم أن رئيسيه يميل إليها ويحرص عليها وأن يتجنب كلما ينكره الملك وينافره فإن ذلك يحببه إليه ويحظى بمنزلته لديه ويدعو الملك إلى الإيثار له والتقريب والإغضاء على ما فيه من العيوب فقد روى أن زياداً أخا معاوية عوتب فى تقريبه لحارثة بن ص ٨٢ : بدر العدوانى

وكان قد غلب على أمره حتى كان لا يحجب عنه شيئاً من سره فقيل له كيف تقربه وأنت تعلم اشتهاره بشرب الخمر فقال كيف لى باطراح رجل كان يساير فى حين دخلت العراق ولم يصك ركابى ركابه ولا تقدمنى فنظرت إلى قفاه ولا تأخر عنى فلويت عنقى إليه ولا أخذ علىّ الشمس فى شتاء قط ولا الريح فى صيف قط ولا سألته عن علم إلا ظننت أنه لا يحسن غيره وإذا اجتمع للكاتب مع التفنن فى المعارف والعلوم الصفات ونزاهة

النفس عن القبائح فقد تناهى فى الفضل وجاز غاية النبل إن شاء الله

باب ذكر جملة من آلات الكتّاب لا غنى لهم عن معرفتها

... فأما البراءة المستعملة فى صناعة الكتابة فسميت بذلك لمعنيين أحدهما أن يكون من قولهم برئت إليه من الدين براءة إذا أعطيته ما كان له عندك وبرئت إليه من الأمر براءة إذا تخليت له عنه فكان المرغوب ص ١٠١ إليه

يتبرأ إلى الرغب بما أمله لديه ويتخلى عما رغب فيه إليه وقيل إنما كان الأصل فى ذلك أن الجانى كان إذا جنى جناية يستحق عليها العقاب ثم عفا عنه الملك كتب له أماناً مما كان يتوقعه ويخافه فكان يقال كتبت لفلان أى أمان ثم صار مثلا واستعير فى غير ذلك وقد جرت عادة الكتاب أن لا يكتبوا فى صدر البراءة بسم الله الرحمن الرحيم اقتداء بسورة براءة التى كتبت فى المصحف من غير بسملة

التوقيع

وأما التوقيع فإن العادة جرت أن يستعمل فى كل كتاب يكتبه الملك أو من له أمر ونهى فى أسفل الكتاب المرفوع إليه أو على ظهره أو فى عرضه بإيجاب ما يسئل أو منعه كقول الملك ينفذ هذا إن شاء الله أو هذا صحيح وكما يكتب الملك على ظهر الكتاب لتردّ على هذا ظلامته أو لينظر فى خبر هذا أو نحو ذلك،...

ص ١٠٢ التاريخ و(حتى ص ١٠٣)

ص ١٠٣ : ذكر أول من افتتح كتاب بالبسملة وأول من قال أما بعد وأول من طبع الكتب وأول من كتب من فلان إلى فلان بن فلان (حتى ١٠٥)

ص ١٠٦ : الاقتضاب للبطليوسى

الكتاب الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد وآله

قال الفقيه الأستاذ أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسى رحمه الله وهذا حين أبدأ بذكر مواضع من أدب الكتّاب يلزم التنبيه عليها وإرشاد قارئه إليها وليس جميعها غلطاً من ابن قتيبة ولكنها تنقسم أربعة أقسام. القسم الأول منها مواضع غلط منها فأنبّه على غلطه والقسم الثانى أشياء اضطرب فيها كلامه فأجاز فى موضع من كتابه ما منع فيه فى آخر القسم الثالث أشياء جعلها من لحن العامة وعوّل فى ذلك على ما رواه أبو حاتم عن الإصمعى وأجازها غير الإصمعى من اللغويين كابن الأعرابى وأبى عمرو الشيبانى ويونس وأبى زيد وغيرهم وكان ينبغى له أن يقول أن ما ذكره هو المختار أو الأفصح أو يقول هذا قول فلان وأن لا يجحد شيئاً وهو جائز من أجل إنكار بعض اللغويين له فيقول ذلك رأى غير صحيح ومذهب ليس بسديد. والقسم الرابع مواضع وقعت غلطاً فى رواية أبى على البغدادى المنقولة إلينا فلا أعلم أهى غلط من ابن قتيبة أم من الناقلين عنه وأنا شارع فى تبيين جميع ذلك وترتيبه على أبواب الكتاب بحسب كما أحاط به علمى وانتهى إليه فهمى وأضرب عن ذكر ما فى الخطبة من الأغلاط لأنى قد ذكرت ذلك فى الجزء الأول وبالله أستعين وعليه أتوكل.
ص ١٠٧

ص ٢٨٦ : تجز الكتاب بحمد الله وحسن معونته وصلى الله على محمد خاتم أنبيائه فى اليوم الثانى من ذى القاعدة سنة خمس وثمانين وخمسائمة

ص ٢٨٧ : الاقتضاب للبطليوسى

الكتاب الثالث

وهو شرح أبيات أدب الكتاب التى ذكرها ابن قتيبة فى كتابه

لابن السيد البطليوسى

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

قال الفقيه الأستاذ النحوى أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوس رحمه الله. وهذا حين أبدأ بشرح مشكل إعراب أبيات هذا الكتاب

ومعانيها وذكر ما يحضرني من أسماء قائليها وغرضي أن أقرن بكل بيت منها ما يتصل به من الشعر من قبله أو من بعده إلا أبياتاً يسيره لم أعلم قائلها ولم أحفظ الأشعار التي وقعت فيها وفي معرفة ما يتصل بالشاهد ما يجلو معناه ويعرب عن فحواه فإنا رأينا كثيراً من المفسرين المستشهدين بها قد غلطوا في معانيها حين لم يعلموا الأشعار التي وقعت فيها لأن البيت إذا انفرد احتمل تأويلات كثيرة كقول بعضهم من شرح أبيات كتاب سيبويه في قول العجاج

كشحاً طوى من بلد مختاراً   من يأسة اليأس أو حذارا

أنه يصف ثوراً وحشياً

وفي قوله أبي النجم : (لا يأتي لها من أيمن وأشمل) إنها يصف ظليماً ونعامة،. وقال بعض من شرح إصلاح المنطق في قول مزرّد :

قذيفة شيطان رجيم رمى بها   فصارت ضواة في لهازم ضرزم

أي وصف ناقة وأراد أنها حديدة شهمة كأنهما هي نار نفخها شيطان في جسم ناقة فتخلفت نطفة ثم مضغة فصارت كالضواة، وقال في قول حبيهاء الأشجعي :

فلو أنها طافت بطنب معجـــم   نفى الرّق عنه جديد وهو صالح

لجأت كأن القسور الجون مجها   عســـــاليجه والثامر المتناوح

أنه يصف امرأة وأراد أنها لو لمست عوداً يابساً لأورق في يدها وقال بعض المفسرين في قول الفرزدق :

هما نفثا في فيّ من فحويهما   على النابح العاوى أشدّ رجام

ويروى لجام أنه عنى أبويه . وقال في قوله :

وإن الذي يسعى ليفسد زوجتي   كساع إلى أسد الشرى يستبيلها

ص ٢٨٨ : إن معنى يستبيلها يقول ها ما بالك

والأشعار التي وقعت فيها هذه الأبيات تدل على خلاف هذه التأويلات ولم أقصد بما ذكرته تنقص العلماء والطعن على الكبراء فإن هذا أمر لم يكن يسلم منه بشر مما تقدم أو تأخر وإنما أردت التنبيه على شدة الافتقار إلى حفظ الأشعار وأن المتكلم في معاني الأبيات المنقطعة عن صواحبها لا ينبغي له أن يقطع على مراد قائلها والزلة في مثل هذا مغتفره لأن الإحاطة ممتنعة متعذرة

أحكام صنعة الكلام

لذي الوزارتين أبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلامي الأشبيلي الأندلسي

(من أعلام القرن السادس)

تحقيق محمد رضوان الداية ــ دار الثقافة ــ بيروت ــ لبنان

هدف الكتاب إلى بيان فضل النثر على النظم ومن ظريف هذا المبحث أنه يتعرض لفنون من النثر كاشفاً عن بلاغاتها كالخطب والرسائل والمقامات والأمثال والأسجاع والألفاظ ... الخ مستشهداً بين الحين والآخر بشواهد من كتاباته إلى جانب ما حشد به كتابه من نصوص المشارقة والمغاربة على السواء

العمدة فى صناعة الشعر ونقده

تأليف أبى الحسن بن رشيق القيروانى (ت ٤٦٣هـ)

مطبعة أمين هندية بمصر سنة ١٩٢٥

مؤلف الكتاب شاعر يضع بين يدى ناشئة الشعراء ونقاده ثمرة تجربته وقراءاته فى ميدان الشعر

كتاب المصباح فى علم المعانى والبيان والبديع

تصنيف بدر الدين أبى عبد الله محمد بن جمال الدين محمد بن عبد الله ابن مالك الأندلسى الطائى المتوفى ٦٨٦هـ ــ المطبعة الخيرية ١٣٤١هـ

على نصوص لأدباء المغرب والأندلس يستشهد بها المؤلف فى شرحه على مفتاح السكاكى والمصباح من أوجز شروح المفتاح.

المرقصات والمطربات

لنور الدين على بن الوزير أبى عمران موسى الغرناطى

(ت ٦٩٣هـ ــ ١٢٩٤م

طبع فى القاهرة سنة ١٢٨٦هـ

أبان فيه عن بلاغة فصحاء المتقدمين والمتأخرين من الشعراء وجعله يصفه مقدمة لجامع المرقصات والمطربات الذى لمحمد بن معلى الأزوى ورتبه على الأعصار والطبقات التى ينبنى عليها الجامع المذكور على الكلام فيها وهى خمسة :

(١) المرقص (٢) المطرب (٣) المقبول (٤) المسموع (٥) المتروك.

ص ٣٤٦ نثار الأزهار فى الليل والنهار

لجمال الدين الخزرجى المعروف بابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ سنة ١٣١١م صاحب معجم لسان العرب. وانثار الأزهار فى القسطنطينية سنة

١٢٩٨هـ تكلم فيه عن الليل والنهار والاغتباق والاصطباح والهلال وكماله والفجر ونسيم السحر وتغريد الطيور وصياح الديك والشمس فى الشروق والضحى والظهر والمغيب والكواكب وآراء المنجمين والفلاسفة وأسماء الأجرام السماوية إلى غير ذلك .

المرقصات والمطربات

لرئيس الأدباء وعميد الفضلا نور الدين على بن الوزير أبى عمران

طبع جميع المعارف فى ٢٦٥ ربيع الأول سنة ١٢٨٦هـ (١)

أبى عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن عمار بن ياسر العنسى الأندلسى رحمه الله .

(أما بعد) حمداً لله الذى شرف الإنسان، على سائر أنواع الحيوان، بنطق اللسان، ثم جعل أشرف بنى آدم من ارتقت درجته فى ذلك، وتلاعب بأطراف الكلام المشقق فى تلك المسالك.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبى الهدى والرحمة، الذى آتاه الله من جوامع الكلم ما هو أجلى من مصابيح الظلمة، القائل أن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة، فإن الله جلّ وعلا جعل قيمة كل امرىء ما يحسن ويقول، وشرف البلاغة بأن تأخذ الأفهام منها على قدر القرائح والعقول ولم يكن من أعنتها من هو عن مجال.

ص ٣ : رجالها قاصر، وحباها فى كل عصر بأكرم ولى وأعزّ ناصر، ولم يقصر الفضل على من تقدم، وأبان لنا مطارح القصور بمن جعل جنته (هل غادر الشعراء من متردم) وأجرى الحقيقة على لسان القائل :

فلو كان يغنى الشعر أفنته ما قرت حياضك منه فى العصور الذواهب
ولكنه صوب العقول إذا انجلت سحائب منه أعقبت بسحائب

وهدى إلى تبيين العلة، من قال فى ذلك فشفى الغلة :

---

(١) قال فى فوات الوفيات : على بن موسى بن سعيد المغربى الأديب نور الدين ينتهى إلى عمار بن ياسر ورد من المغرب وجال فى الديار المصرية والعراق والشام وجمع وصنف وهو صاحب كتاب (المغرب فى أخبار المغرب) و(الشرق فى أخبار الشرق) و(المرقص والمطرب) وهو هذا و(فلول الشعر) توفى بدمشق فى شعبان سنة ثلاث وسبعين وستمائة وذكر هذا الكتاب أيضاً صاحب كشف الظنون.

الناس بامتداح القـــــديم وبذم الحديث غير الذميم
ليس إلا لأنهم حسدوا السميّ فرقوا على العظام الرمـيم

ولله در ـ القائل أن المتقدمين بنوا فأوثقوا، وأن المتأخرين زينوا ونمقوا، ورأيت في رسالة (وإن لكل زمان . ما يليق به من البيان) وفي أخرى (الناس بأزمانهم . أشبه منهم بآبائهم، ولم تزل البلاغة في كل عصر بالمشاق والمغارب تطلع ما يزين سماؤها من شمس وبدر وكواكب. والمتصف من أطال عنان الاختيار دون اقتصار. ولم يخص بالفضيلة عصراً من الأعصار ولا مصراً من الأمصار. وإنى لما تغلغلت في الرحلة ما بين مشرق ومغرب وملأت سمعي من كل معجب بنفسه ومعجب. ولقيت من الخائضين في النظم والنثر، ما أشار إليه القائل بقوله الذى هو على الفرض أول من النسيم على الزهر :

الناس كالأرض ومنها هـــم من خشن فيها ومن لين
مر وتشكى الرجل منه الأذى واثمد يجعل في الأعين

قمت محتسباً للبلاغيين. وتبيين طبق الصناعتين. فاشتغلت بالكتاب الموسوم بجامع المرقصات والمطربات. وما يعنون به عن سائر الطبقات. وهو محتو على ما يتضمنه من الغرض المذكور في كتاب المشرق، في حلى أهل المشرق. وكتاب المغرب في حلى أهل المغرب ولما أشاع ذكر اشتغالي بالجامع المذكور تطلعت إليه همم أحالت أمانيها في الغرض من هذا الشأن عليه، وتكرر الطلب والس أن ينتهي إلى غاية الكمال، فجعلت هذا الكتاب كالمقدمة بين يديه، وصنفته ليكون كالمدخل إليه (وسميته عنوان المرقصات والمطربات) وضمنته من النثر زهرات مقتطفة ويسهل حفظها ومن النظم بدائع أبيات لا يشق علىالقلب والطرف ذكرها ص ٤ ولحظها مما يحاكي شعشة الشمس على صفحات الأنهار. ورقرقة الطل في لحظات الإزهار. ليرف على ما يثته ريحان القلوب، ويعطيه السمع لحظ المحب إلى المحبوب:

من كل معنى ولفظ كخمرة في زجاجة
يســـــرى النسيم إليه يبغي لديه علاجـه

ولم أتجاوز في النظم ألف بيت، مما لا تحدى عليه بلولا وليت
ورتبته على الإعصار ترتيب الفرائد في العقود، ومزجت المرقصات والمطبرات فيه مزج الحمرة بالبياض في الخدود، وفصلت ما بين فضلا الشرق وفضلا الغرب. كما فعل بين الجمعين حكم الطعن والضرب. ولم أتعرض

للكلام على التنقيض والترجيح. ولا تصرفت فى طريقتى التقبيح والتمليح. بل أتيت بقليل النثر فصلا بعد فصل وبالألف من النظم بيتاً أثر بيت مجرداً جميع ذلك لتسهيل الحفظ وبالله الاستعانة . ومن فضله نسأل الإبانة.

الطبقات التى بنى الجامع المذكور على الكلام فيها خمس : المرقص والمطرب والمقبول والمسموع والمتروك.

(فالمرقص) ما كان مخترعاً أو مولداً يكاد يلحق بطبقة الاختراع لما يوجد فيه من السر الذى يمكن أزمة القلوب من يديه. ويلقى منها محبة عليه. وذلك راجع إلى الذوق والحس مغن بالإشارة عن العبارة. كقول امرىء القيس فى القدماء :

إليها بعد ما نام أهلها   بسمو حباب الماء حالا على حال

وكقول وضاح اليمن :

قالت لقد أعييتنا حجـــــة   فأت إذا ما هجع السامر
واسقط علينا كسقوط الندى   ليلـــــة لا ناه ولا آمر

. وكقوله ابن حمديس الصقلى فى المتأخرين :

باكر إلى اللـــــذات واركب لها   ســـوابق اللهو ذوات المراح
من قبل أن ترشف شمس الضحى   ريق الغوارى من ثغور الأقداح

وقول أبى جعفر بن طلحة وزير ابن هود سلطان الأندلس وكاتبه :

والشمس لا تشرب خمر الندى   فى الروض إلا بكؤوس الشقيق

(والمطرب) ما نقص فيه الفوحى عن درجة الاختراع إلا أن فيه مسمة من ص ٥ الابتداع كقول زهير فى المتقدمين :

تراه إذا ما جئته متهللا   كأنك تعطه الذى أنت سائله

وقول حبيب فى المتأخرين :

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه   لجاد بها فليتق الله سائله

(والمقبول) ما كان عليه طلاوة مما لا يكون فيه غوص على تشبيهه وتمثيل وما أشبه ذلك كقول طرفة فى المتقدمين :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا   ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

. وقول ابن شرف فى المتأخرين :

لا تسأل الناس والأيام عن خبرى .   هما يثانك الأخبار تطفيلا

(والمسموع) ما عليه أكثر الشعراء مما به القافية والوزن دون أن يمجه الطبع ويستثقله السمع كقول امرىء القيس :

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل

. وقول ابن المعتز :

سقى الجزيرة ذات الظل والشجر. ودير عبدون هطال من المطر

(والمتروك) ما كان كلاً على السمع والطبع كقول المتنبي :

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا قلاقل عيسى كلهن قلاقل

والمقتصر على إيراده في هذا العنوان من الطبقات المذكورة ما كان من طبقتي المرقص والمطرب وكلاهما دائر على غرض الفكرة وإثارة المعاني وإلى ذلك أشار والدى بقوله :

إذا أنت لم تشعر بمعنى تثيره فقل أنا وزان وما أنا شاعر

وقد يلى من طبقتى المسموع والمقبول ما يكون توطئة للمرقص والمطرب فأجعله من جملة العدد بشناعة ما يتعلق به ومعظم الاعتماد فى هذا الكتاب على النظم لكونه أعلق فى الأفكار، وأجول فى الأقطار، وهو معين على نفسه، فى تذكاره ودرسه، ولم نخل بإهمال النثر بالكلية، بل أوردنا منه ما يكون كالعلم فى الحلة الوشية، والنثر فى كلامهم يطلق على ما هو مقيد بالسجع وما هو غير مقيد وجميع نثر القدماء داخل فى طبقة المقبول وربما تحتها وفى الجامع المتقدم الذكر ترتيب ذلك على الأعصار، مستوفى منه ما يختار، استيفاء مختار الأشعار، ولا نورد

ص إلا ما ان مقيد بالسجع المسنهل للحفظ مما هو داخل فى طبقتى المرقص والمطرب جرياً على ما اعتمدنا عليه فى النظم

عبد الحميد بن يحيى :

إمام بلغاء الكتاب والقدرة فى ضرب المثل، وما يليق أن يثبت من نثره فى هذا الكتاب، قوله من رسالة كتب بها عن آخر خلفاء بنى أمية وهو مروان الجعدى لفرق العرب حين فاض العجم من خراسان بشعار السواد قائمين بالدولة العباسية (فلا تمكنوا ناصية الدولة العربية، من يد الفئة العجمية، وأثبتوا ريثما هذه الغمرة، وتصحو من هذه السكرة، فسينضب السيل، وتمحى آية الليل، والله مع الصابرين، والعاقبة للمتقين).

إبراهيم بن العباس الصولى :

هو إمام كتاب الدولة العباسية فى ذلك العصر وقد حكى صاحب كتاب

زهر الآداب أنه ورد كتاب من بعض الكتاب إلى إبراهيم بن العباس يمدح رجل وذم آخر فوقع : (إذا كان للمحسن من الجزاء ما يقنعه، وللمسيء من النكال ما يقمعه، بذل المحسن ما يجب عليه رغبة، وانقاد المسيء لما يكلفه رهبة) فوثب الناس يقبلون يده.

عبد الله بن المعتز :

كان ينحو في نثره من التشبيهات والتخييلات وسائر ما يلوح عليه غوص فكره منحى طريقه في النظم فصدر عنه ما يليق بهذا الكتاب مثل قوله : (الأرض عروس مختللة في حلل الأزهار، متوجه بأكاليل الأشجار، موشحة بمناطق الأنهار، والجو خاطب لها وقد جعل يشير بمحضره البرق ويتكلم بلسان الرعد وينثر القطر أيدع نثار).

الفضل ابن العميد :

إمام الكتاب في المائة الرابعة وقال صاحب التيمية :

«أجمع أهل البصرة، في الترسل على أن رسالته التي كتبها إلى بلكا عند استصعابه عن ركن الدولة ـ غرة كلامه وواسطة عقده منها قوله: «كتابي وأنا مترجح بين طمع فيك ويأس منك، وإقبال عليك وإعراض عنك، وأنك تدل بسابق حرمة، وتمت بسالف خدمة، أيسرهما يوجب رعاية، ويقتضي محافظة وعناية، ثم تشفعهما بحديث غلول وخيانة، وتتبعهما بأنف خلاف ومعصية، وأدنى ذلك يحبط أعماله، ويمحق كل ما يرعى لك، لا جرم أني وقفت بين ميل إليك وميل عنك، أقدم رجلا لصدك وأخر أخرى عن قصدك. وأبسط يداً لاصطلاحك واجتياحك وأثني ثانية نحو استبقائك واستصلاحك، وأتوقف عن امتثال بعض الأمور فيك ضنا بالنعمة عندك ومنافسة في الصيغة لديك وتأميلا لفيئتك وانصرافك ورجاء لمراجعتك وانعطافك فقد ص ٧ يغرب العقل ثم يؤب اللب ثم يتوب ويذهب العزم ثم يعود، ويفسد الحزم ثم يصلح ويضاع الرأي ثم يستدرك ويسكر المرء ثم يصحو، ويكدر الماء ثم يصفو، فكل ضيقة إلى رخاء وكل غمرة إلى انجلاء، وكما أنك أتيت من إسراءتك بما لم تحتسبه أولياؤك، فلابد أن تأتي من حسناتك بما لا يرتقبه أعداؤك، وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت ماركبت، واجترمت ما اجترمت، فلا عجب أن تنتبه انتابهة تبصر فيها قبح ما صنعت، وسوء ما دبرت وأبرمت، وسأجري على رسمي في الإبقاء والمماطلة ما صلح وعلى الاستيناء والمطاولة ما أمكن طمعاً في إنابتك، وتحكيماً لحسن الظن بك، فلست أعدم فيما أظاهره من

أعذار، وأردفه من إنذار، احتجاجاً عليك واستدراجاً لك وأن يشأن الله يرشدك ويأخذ بيدك إلى إصلاحك ويسددك أنه على كل شيء قدير»

هدده وعدد عليه بين نعمة ونقمة : «تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابى والمس جسدك وانظر هل يحس وجس عرقك وانظر هل ينبض وفتش ما نخفت عليه أضلاعك هل تجد فيه قلبك ثم قس غائب أمرك بشاهده وآخر شأنك بأوله ».

قال الثعالبى : بلغنى عن بلكا وكان من آرب أمثاله أنه كان يقول: والله ما كان حالى عند قراءة هذا الفصل إلا كما أشار إليه الأستاذ ابن العميد ولد كفى كتابة عن الكتائب فى عرك أديمى واستصلاحى وردّى إلى طاعة صاحبى.

قال ابن سعيد : هذه الرسالة وإن أطنبوا فيها وجعلها الثعالبى واسطة لعقد ترسل ابن العميد فإنها طبقة المقبول ولكن قد خامرها من تغلغل الفكر في ترصيفها وإثارة ما انطوت عليه من المقصاد الماثلة بالأسماع ما يعلقها بأهدافها المطرب على الاصطلاح المقرر فى هذا الكتاب، وفيها أيضاً من إهماله التقيد بالسجع ما هو خارج عن شرط وليس فيه مما يجرى مجراها سواها والغرض فى إيرادها أن يكون عنواناً عن نمطها فهى من أرفع طبقاتها وصاحبها جليل القدر عظيم الذكر لا يليق أن يهمل اسمه، ولا يغفل ما يلوح عليه فهمه

(أبو الفتح بن أبى الفضل بن العميد)

ذكر الثعالبى أن أباه كان قد بالغ فى تأديبه وتهذيبه وجعل عليه عيوناً بالنظر لما يصدر عنه فاعلم أنه استدعى من صديق شراباً ليلة أنس فوجه لذلك الشخص واستدعى منه الرقعة التى كتب له بها فوجد فيها : « قد اغتنمت الليلة أطال الله بقاءك يا سيدى» ص ٨ ومولاى

رقدة من عين الدهر، وانتهزت فرصة من فرص العمر، وانتظمت مع أصحابى فى سلك الثريا، فإن لم تحفظ علينا هذا النظام، بإهداء المدام، عدنا كبنات نعسن والسلام» فاه فرحاً وإعجاباً بهذه الرقعة وقال : الآن ظهر أثر براعته ووثقت بجريه فى طريقى ووقع له بألف دينار

(أبو إسحاق الصابى) :

مكانته فى أئمة الكتاب مشهورة ومعظم ترسله من طبقة المقبول وكثيراً ما يهمل تقييد السجع ومما يدخل من ترسله فى طبقة المطرب قوله «هو أخفض قدراً ومكانة، وأظهر عجزاً ومهانة، من أن تستقل به قدم فى مطاولتنا،

أو تطمئن له ضلوع على منابذتنا، وهو في نشوزه عنا وطلبنا إياه كالضلة المنشودة، وفي ما نرجوه من الظفر به كالظلامة المردودة.

ومن أخرى : «وقد نزغ به شيطانه، وامتدت في الغي أشطانه ».

(الصاحب ابن عباد) :

هو تلميذ ابن العميد ولكنه فرقه بالصعود في طبقتي المرقصات والمطربات كقوله : نحن سيدي بمجلس غنى إلا عنك، شاكر إلا منك، قد تفتحت فيه عيون النرجس وتوردت خدود البنفسج وفاحت مجامر الأترج وفتقت فارات التاريخ وانطلقت ألسن العيدان وقام خطباء الأوتار وهبت رياح الأقداح ونفقت سوق الأنس وقام منادى الطرب وطلعت كواكب القدمان، وامتد سماء الندّ، فبحياتي إلا ما حضرت لنحصل بك في جنة الخلد وتتصل الواسطة بالعقد» .

وقوله في أخرى : «مجلسنا يا سيدى مفتقر إليك، معول في شرفه عليك فقد أبت راحته أن تصفو إلا أن تتناولها يمناك، وأقسم غناؤه أن لا يطيب حتى تفيه أذناك فأما خدود نارنجه فقد احمرت خجلا لإبطائك، وأما عيون نرجسه فقد حدّقت تأميلا للقائك، فبحياتي عليك إلا ما تعجلت لهذه الأوطار، لئلا يخبث من يومى ما طاب ويعود من همى ما طار» .

وكقول : «لا اعتراض بين الشمس والقمر، والروض والمطر»

وقوله : «ألفاظ كما تروق الأشجار، ومعان كما تضحك الأزهار، من غرته ثغور السلامة حدثته السن الندامة» .

كقوله : «أثنى عليه ثناء العطشان الوارد، على الماء البارد»

أبو النصر العتبي :

كاتب السلطان محمود، هو عندى أرفع الجميع طبقة فيما يليق بهذا الكتاب فإنه فيه أطال وأطاب وأخذ بالآزرة لا بالأهداب، وأنا أقسم على ذلك بأجلّ ما يقسم به وبراءتى عن يميني. وقوف المطالب بالتحقيق على كتابه الموسوم باليمنى ص ٩ : فقد

ضمنه من ذلك العجائب، وحط بمراقبة مراتب الكواكب، وعنوان محاسنه في هذا الباب قوله : «يوم رقت غلائل صحوة، وغنجت شمائل جوه، وضحكت ثغور رياضه، واطرد زرد النسيم فوق حياضه، وفاحت مجامر الأزهار، وانتشرت قلائد الأغصان عن فرائد الأنوار، وقام خطباء الأطيار، على

منابر الأشجار، ودارت أفلاك الأيدى بشموس الراح، فى بروج الأقداح، وقد سبينا العقل فى مروج الجنون، وجعلنا العذار بأيدى المجون، فبحث الفتوة التى زان الله بها طبعك، والمروءة التى قصر الله عليها أصلك وفرعك، إلا تفضلت بالحضور، ونظمت لنابك عقد السرور».

وقوله « خيفة سالت به فى أودية الظنون، وبسطت إليه أجنحة المنون، ونفرته عن ضم القوادم للسكون».

وقوله : «ولما تسامع القوم باقباله دبّ الفشل فى تضاعيف أحشائهم، وسرى الوهل فى تفاريق أعضائهم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت فجيوب الأقطار عنهم مزرورة، وذيول الخذلان عليهم مجرورة.

وكقوله : «لئن حرمت برك والدار دانية، ثم رزقته والسمافة نائية، فقد يضن الحبيب قريباً بوصاله، ثم يسمح بعيداً بطيف خياله، والله يطلع علينا سوالف تلك الأيام السوالف، مغلقة الأصداع بأعتاب الزمان معجمة الأطراف بجيلان الحسن والإحسان».

(بديع الزمان الهمزانى) :

من سابقى هذه الحلبة، وممن جاز فى مراتبهم أعلى رتبة، وشاهدى على ذلك قوله لمن قدم إليه كتابه قبل الوفود إليه : « كتابى والبحر وإن لم أره، فقد سمعت خبره، والليث وإن لم ألقه، فقد تصورت خلقه، والملك العادل وإن لم أكن لقيته، فقد بلغنى هيبته وصيته، ومن رأى من السيف أثره، فقد رأى أكثره، وهذه الحضرة وإن احتاج إليها المأمون، ولم يستغن عنها قارون، فإن الأحب إلىّ أن أقصدها قصد موال، والرجوع عنها بجمال أحب إلىّ من الرجوع بمال، قدمت التعريف، وأنا انتظر الجواب الشريف، فإن نشط الأمير لضيف ظله خفيف، وضالته رغيف، فليزجر له بالاستقبال، طائر الإقبال».

ومن محاسن تركيبه التى احتذى البلغاء فيها حذوه قوله : «أنا لقرب دار مولاى (كما طرب النشوان مالت به الخمر) ومن الارتياح إلى لقائه (كما انتقض العصفور بلله القطر) ومن الامتزاج بولائه (كما التقت الصهباء والبارد العذب) ومن الابتهاج بمزاره (كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب)

ص ١٠

(الأمير أبو الفضل الميكالى) :

له فى طبقات هذا الكتاب محاسن عنوانها مثل قوله : «لو استطعت لطرت إليك بأجنحة السحائب، وخطبت بالشكر على متون الكواكب»

وقوله : «كلام سلب الماء رقته، والنحل ربقته»

وقوله : «أيام ظل العيش رطب، وكنف الهوى رحب، وشرب الصهباء عذب»

(أبو محمد القاسم بن علي الحريري) :

إمام في عصره، ومقاماته قد شرفت وغرّبت حتى صار ابتذالها عيبها وعنوان ما يليق بهذا الكتاب من نثره قوله : «فقد أحاطت به أخلاط الزمر، إحاطة الهالة بالقمر»

وقوله : «وصل الكتاب الفلاني دام ممليه، متلألئة حالية معاليه، فتلقيته كما يتلقى الإنسان صحف الإحسان، لا بل كما تتلقى أنامل الراح، كؤس الراح، من أيدى الصباح فى نسمات الصباح»

(القاضى الفاضل البيسانى) :

آخر تقدم بفضله الأوائل، وغبر فى وجه قس أياد وكبان وائل لا أعلم بالمشرق والمغرب مثله، وعنوان عجائبه قوله : «ووافينا قلعة نجم وهى نجم فى سحاب وعقاب فى عقاب، وهامة لها الغرامة عمامة، وأنملة إذا خضبها الأصيل كان الهلال لها قلامه» وقوله : «وافى الأسطول الميمون فى خمسين غرابا طائراً من القلوع بزجنحته، كاسر المخالب أسلحته، فما وافى شملا إلا دعاه إلى الحين، وحقق ما يعزى إلى الغراب من البين»

وقوله : «ولقد لبد الماء فى اللبابيد فثقل وزنها، وانعكس فيها بالتشبيه فصار كالجبال عهنها».

(ضياء الدين أبو الفتح بن الأثير الجزرى) :

هو إمام كتاب المائة السابعة فى هذا وله فى ذلك رسائل مشهورة وعنوان بدائعه قوله : «الخادم يشكر إحسان مولانا الذى ظل عنده مقيماً وأصبح بتواليه مغرماً كما أصبح له غريماً»

وله فى صفة صيد ظبى : «فلما أحس بنا طار خفة حتفه، وكاد أن يخلف ظله من خلفه» وله فى العهد : «يبلغ المدى الأقصى فى أدنى وثباته، ويسبق الفريسة فلا يمسكها إلا عند التفاته».

وقوله : «وجه يرتوى من مائه الظمآن، مطرز بورد ونرجس وأقحوان، وإذا تأملته بين صدغيه علمت حينئذ أن الشمس تطلع بين قرنى الشيطان».

وقوله : «وجاء النيل يحكى رضابه جنى النحل، واحمرت صفحته فتيقنت أنه قد قتل المحل»

(ابن خيران المصرى) :

هو إمام كتاب الديار المصرية فى المائة الرابعة وعنوان طبقته قوله حين أمر

خليفة مصر الحكم
ص ١١ بهدم كنيسة قمامة بيت المقدس : «وقد خرج أمر الإمامة، فى هدم كنيسة قمامه أن يصير سقفها أرضا وطولها عرضاً».

(ابن الصيرفى المصرى) :

هو إمام كتاب المائة الخامسة بالديار المصرية كتب بها عن الخليفة الآمر ووقفت على ترسله فى نحو عشرين مجلداً، ومنه استمد القاضى الفاضل ومن أمعن النظر فى ترسل ابن الصيرفى علم ذلك، ومن ملح ترسله قوله : «وجاء غربان الماء ، تحكى قطع السحائب فى أديم السماء، يحسب الناظر أنها ركاب، قد طفت فى بحر السحاب، أو جنون محدقة والمجاذيف أهداب».

(ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبى الخصال) :

إمام كتاب الأندلس فى طرفى المائة الخامسة والسادسة وواسطة دره قوله: «أعزّك الله فإنى حططت والنوم مغازل، والقمر منازل، والريح تلعب السراج، وتصول عليه صولة الجاج، فتارة تسدده سناناً، وطوراً تحركه لساناً، وآونة تطويه حبابه، وأخرى تنشره ذؤابه، وتقيمه إبرة لهب، وتعطفه بزة ذهب، أو حمة عقرب، وتقوسه حاجب فتاة، ذات غمزات، وتتسلط على سليطه، وتزيله عن خليطه، وتخلفه نجماً، وتمده رجماً، وتسل روحه من ذبالة، وتعبده إلى حالة وربما نصبته إذاً جواد، ومسخته حدق جراد، ومشعته خاطف برق يكف بودق، ولثمت بسناه قنديه، ولفت على أعطافه منديله، فلا لحظ منه للعين، ولا حظ للناظر فى اليدين،والليل زنجى الأديم تبرى النجوم، قد حللنا سياجه، واغترفنا أمواجه، فلا مجال للخطة، ولا تعارف إلا بلفظه، لو نظرت فيه الزرقاء لاكتملت، أو خضبت به الشيبة ما نصلت، والكلب قد صافح خيشومه ذنبه، وأنكر البيت وطنبه، والتوى التواء الحباب وجلده الجليد، وضربه الضريب وصعد أنفاسه الصعيد، فحماه مباه، ولا هدير له ولا نباح، والنار كالصديق أو كالرحيق وكلاهما عنتاء مغرب، أو نجم مغرب».

(عيسى بن خير العكيلى) :

وجدت فى ترسله، وهو من فضلا المائة السادسة ـ قوله اللائق بهذا الكتاب : «أنا أطال الله بقاء الكاتب الفاضل سراج العلم، وشهاب الفهم فى جلس قد خجلت حدود تفاحه، وضحكت ثغور أقاحه، وخفقت فوقنا للطرب ألوية وسالت بها للهو أودية، وحضرتنا مقلة فصر انسانها، وصحيفة فكن عنوانها، فإن رأيت أن تصل رلينا القفد، ولتحصل بك فى جنة الخلد

صقلت نفوساً أصدأها بعدك

ص ١٢ : وأنرت سرجاً أدجاها فقدك»

(الفتح بن عبد الله) :

صاحب القلم من ائمة كتاب الأندلس في المائة السادسة ونثره في كتاب القلائد قد اشتهر عند العام والخاص ابدعاه فيه ومن عنوان طبقته قوله : «يوم قد نشر من غيمة رداء ند، وسكب من قطر ماء ورد، وأبدى من برقه لسان نار، وأظهر من قوس قزحه حنايا أنس قد حفت بشقيق وجلنار، والروض قد بعث رباه، وبث الشكر لسقياه»، وقوله : «ليلة قد ثنى السرور منامها، وامتطى حبور غاربها وسنامها، وراع الأنس فؤادها، وستر بياض الأماني سوادها، وغازل نسيم الروض زوّارها وعوّادها».

وقوله في شخص يذمه : «رقّ جفن الدين، وكمد نفوس المهتدين، أشهر سخصفاً جنوناً وهجر مفروضاً ومسنوناً، ناهيك من رجل ما تطهر من جنابة، ولا أظهر مخيلة إنابة، ولا أقر بباريه ومصوره، ولا قر عن تباريه في ميدان تهوره».

(أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الحجازي) :

من ائمة بلاغة النثر في العصر المذكور وله في كتاب المسهب بلاغة لاحقة بالطبقة العالية ومن عنوان ذلك قوله : «ملك قمري الوجه سحابي اليد روضي الخباب، لو برز للبحر تطأطأت أمواجه، ولولد للشمس توارت بالحجاب».

(أبو جعفر بن عطية الطرطوشي) :

إمام الكتاب في صدر دولة عبد المؤمن وعنوان طبقته كقوله : «وقد حكت الدماء على صفحة الماء، حمرة البرق في زرقة السماء»

وقوله : «وقد هزم عبد المؤمن رياحاً وهم من بني هلال بن عامر، وحلّ الويل بهلال بن عامر، فأمل الهلال وخرب العامر».

(أبو عبد الله بن عباس) :

من بني عبد المؤمن وواسطة عقد ترسله قوله في رسالة كتبها عند نزول الناصر على المهدية براً وبحراً واسترجاعها من أيدي الملثمين : «ولما حللنا عرى السفر بأن حللنا حمى المهدية، تفاءلنا بأن يكون لمن ألم بساحتها هدية، فأحد قنابها أحداق الهداب بالعين، وأطنا لمختلس وصالها غربان البين فبات

بليله نابغيه وصامخ يوماً صافحته فيه يد البلية، ولما اجتلينا منها عروساً قد مد بين يديها بساط من الماء وتوجت بالهلال وقرطت بالثريا ووشرحت بغيوم السماء، والسحب نسجت عليها أردانا تبديها تارة متلثمة وطوراً سافرة، وكأنما شرفاتها المشرف أنامل مخضبة بالدياجي مختتمة بالكواكب الزاهرة، تضحى ضاحكة عن شنب لا تزال تقبله أفواه المجانيق، وتمسى باسمة.

ص ١٣ : عن لعس لا تبرح ترشفه شفاه سهام الحريق، خطبانها فأرادت التنبيه على قدرها والتوقير فى إغلاء مهرها. (ومن خطب الحسناء لم يغله المهر) فتمنعت تمنع القصورات فى الخيام، وأطالت إعمال العامل فى خدمتها وتجريد الحسام، إلى أن تحققت عظم موقعها فى النفوس، ورأت كثرة ما ألقي إليها من نثار الرؤوس، فجنحت إلى الإحصان بعد النشوز، ورأت العلاج فى الامتناع من قبول الإحسان لا يجوز، فأمكنت زمامها من يد خاطبها بعد مطاولة خطبها وخطابها، وأمتعة على رغم رقيبها بعناقها ورشف رضابها، فبات بها مرسا حيث لا حجال إلا من البنود، ولا خلاف إلا من دماء أبطال الجنود، فأصبح وقد تلألأت بهذه البشائر وجوه الأقطار، وطارت بمسارها سوانح البرارى وسوانح البحار فالحمد لله الى أقر الحق فى نصابه، واسترجعه من أيدى عصابة، حمداً يجمعها بشمل النعم، ويلقحها كما تلقح البحار الديم، فشنفوا الأسماع بهذه البشائر، واملؤا الصدور بما يرويه لكم من أحاديثها كل وارد وصادر، الفتح الذى تفتحت له أبواب السماء، وعم الأمن والخير به بسيطى الأرض والماء، وفشكر الله عليه فرض، فى كل قطر من أقطار الأرض (النجم القوصى وزير صاحب حماة) :

من بلغاء أهل مصر فى المائة السابعة ومن عنوان طبقته قوله : «ولما نزلنا ساحة الرياض نثرت علينا أغصانها درر الأزاهر عن قرى، ومدت لنا مقتطعاتها سبائك فضة تثير كف النسيم فيها جوهرا، والأطيار تتخاصم فى إكرامنا بكل فنن، وتهز نسيفاً من كل قد نتذكر به بسيف ابن ذى يزن، والراح فى الأكوس تدور، كأنها شموس فى بدور، والخدود على غررها شاهدة، وإن أمست الألسن لها جاحدة».

(ابن أبى منصور الدمياطى) :

وزير المالك الأشرف من بلغاء المائة السابعة بالديار المصرية ومما يشفع فى ذكره فى هذا الكتاب قوله : «صدرنا فى بعض العشايا على بعض البساتين

المجاورة لبحر النيل فرأينا فيه بئراً عليه دولابان متحاذيان قد دارت أفلاكها بنجوم القواديس، ولعبت بقلوب ناظرينها لعب الأماني بالمفاليس، وهم يئنان أهل الأشواق ويفيضان دمعاً أغزر من دموع العشاق، والروض قد جلا للأعين زبر جده، والزصيل قدراقه حسنه فنثر عليه عسجده، والزهر قد نظم جواهره في أجياد الغصون، والسلاسل

ص ١٤ : قد أزالت من سلاسل فضتها كل مصون، والنبت قد اخضر شاربه وعارضه وطرف النسيم قد ركض في ميادين الزهر راكضه، ورضاب الماء قد علاه من الطل طى، وحيات المجارى جارية تخاف من زمرد النبات أن يدركها العمى، والبحر قد صقل صيقل النسيم درعه، وزعفران العشى قد زلقي في ذيل الجو ردعه، فاستحوذ علينا ذلك الموضع استحواذا وملأ أبصارنا حسنا وقلوبنا التذاذاً، وملنا إلى الدولابين شاكين أزمراً حين شجت قيان الطير بألحانها، وشدت على عيدانها، أم ذكراً أيام النعيم وطابا، وكانا أغصانا وطابا، فنفيا عنهما لذيذ الهجوع، ورجعا للنزوع، وأضافا الدموع، طلبا للرجوع».

(أبو العباس الغثاني) :

كاتب صاحب أفريقية، علم في الكتاب تعجز بلاغته ومن فصوله نثره قوله : «سر إلى مجلس يكاد يسير شوقاً إليك، ويطير بأجنحة جواه حتى يحل لديك، فلله كماله إن طلعت بدراً بأعلاه، وجماله إن وضحت غرة بمحياه، فهو أفق قد حوى نجوماً تتشوف إلى طلوع بدرها لتقتبس منه، وقطر قد اشتمل على أنهار تتشوق إلى بحرها لتستمد منه وتأخذ الزيادة عنه، فإن منثت بالحضور، وإلا فياخيبة السرور».

(أبو الوليد بن الحنان) :

هو ممن يلحق بهذه الطبقة من بلغاء عصرنا بل يتقدمهم بقوله «نحن في روض مجلس أغصانه الندماء، وغمامة الصهباء، فبالله عليك إلا ما كنت لروض مجلسنا نسيماً، ولزهر حديثنا شميماً، وللجمس روحاً، وللطيب ريحاً، وبيننا عذراء رجاجاها حذرها، وحبابها تفرها، بل شقيقة حوتها كمامه، أو شمس حجبتها غمامة إذا طاف بها معصم السابق نورده على غصنها، أو شربها مقهقهة مخمامة على فننها، طافت علينا طوفان القمر على المنازل إذ يجول، وأنت وحياتك إكليلنا وقد آن له بالإكليل حلول.

(علي بن سعيد) :

مصنف هذا الكتاب وقع له مما يدخل فى هذه الطبقة قوله : السماء قد نشرت عرار الشمس ونثرت بنفسج الغمام، وغرست سوسن القطر فى صفحة كل نهر فما الانتظار بانداء ورد المدام».

عنوان المرقصات والمطربات

لنور الدين على بن الوزير أبى عمران

شعراء المشرق الذين ذكر لهم المؤلف أبياتاً مرقصة فى القرن السابع

ص ٥١، ٥٦ شعراء المائة السابعة

ابن الساعاتى، محب الحلبى، راجح الحلى، ابن خطيب خوارزم، عبد الملك، ابن جلال الدين الفقيه، ابن أردخل التكريتى، ابن عنين، الحسام بن بهرام الحاجرى، أبو الفضل بن حمود الحلبى، خليل بن على الحنفى، العماد السلمانى، الشريف الطوسى الموسوى، الصاحب بهاء الدين زهير الحجازى، القاضى بدر الدين عبد الواحد بن عبد الله بن أبى جراده الحلبى، علاء الدين بن يعيش، عون الدين بن العجمى، مجد الدين بن زبلاق، ابن غزى الموصولى، ابن الحلاوى الموصلى، مجد الدين بن الظهير الأربلى، الجلال بن الصفار النيسرى، تاج الدين بن أبى الحوارى، شهادب الدين التلعفرى، النجم القمراوى، فتيان الشاعورى، ابن عوض المصرى، ابن اسرائيل، نجم الدين بن بطريق البغدادى، شرف الدين بن نجيم الموصلى، فخرت الترك أيدمر مولى وزير الجزيرة

أبو عبد الله الكردى، سعد الدين بن العربى الدمشقى، بدر الدين الذهبى، نور الدين الأسعردى، المهذب بن الخيامى، الجمال بن خطلخ الأموى

عنوان المرقصات والمطربات لنور الدين على بن الوزير أبى عمران

ص ١٥ : النابغة الذبيانى ... ومن التشبيهات العقم عندهم قوله فى طيور الحرب :

تراهن خلف القوم خزراً عيونها جلوس الشيوخ فى ثياب المراتب

وهى ثيا خطوط

عنترة : إن كانوا قد جعلوه فى ترتيب الكتاب المصنف فى أشعار الجاهلية آخراً فإنه متقدم بالنظر إلى معانى الغوص فمن يصدر ص ١٦ عن فكرته مثل قوله :

جادت عليه كل عين ثـــره فتركن كل حديقة كالدرهم
وخلا الذباب بها فليس ببارح غرداً كفعل الشـــارب المترنم
هزجاً يحك ذراعه بذراعـــه قدح المكب على الزناد الأجذم

طـــرفة : ورد له فى شعره مرقص كدّره اسفلاق لفته وهو قوله :

يشق حباب الماء خير ومهابها   كما قسم الترب المفايل باليد

وهذا عندهم من التشبيه العقم يصف به السفينة فى شقها الماء وانقسام الموج عن جريتها والمقايل الملاعب بالتراب الذى يقسمه ليخفى فى أحد أقسامه ما يستخرجه صاحبه..

ص ١٧ علقمة : معانى الغوص فى شعره معدومة وأقرب ما وقع له قوله :

أوردتها وصدور العيس مسنفة   والصبح بالكوكب الدرى منحور

يشير إلى أن كوكب الصبح مثل سنان الحربة طعن به فسال منه دم الشفق وإذا تبين هذا المعنى كان من المرقصات

ص ١٨ : **قيس بن الحطيم** : يدخل فى أصحاب معانى الغوص بقوله :

... **حسان بن ثابت** : شاعر رسول الله ﷺ المويد ص ١٩ بروح القدس مما ألحقه من معانى التخيل الغوصى بطبقة المطرب قوله ...

النابغة الجعدى : هو من شعراء النبى ﷺ وأنشدوا له فى التشبيهات العقم قوله ..

ص ٢٠ : **الحطيئة** : ثبوت له فى التشبيهات العقم قوله ...

الشماخ : ومن التشبيهات العقم قوله فى القوس ...

ص ٢٣٢ : (شعراء الإسلام إلى انقضاء الدولة الأموية)

ذو الرمة : فارس أهل ذلك العصر فى معانى الغوص لتولعه بالتشبيه والتمثيل وحسن التخيل وهو رئيس المشبهين الإسلاميين وحلى الحجازى فى الحديقة أنه كان يقول إذا قلت: (كأنّ) ولم أجد منها مخلصاً فقطع الله لسانى ومن عجائب تشبيهاته قوله ...

ص ٢٣ **مضرس بن ربعى** : من التشبيهات العقم عندهم قوله فى نعامه

مطير بن الأشئم : من التشبيهات العقم عندهم قوله ...

مجنون ليلى : شعره وإن كان فى الغزل عارياً من التشبيهات فإنه لم يخل فى طريقه من حسن الغوض والتخيل على ما يأخذ بمجامع القلوب كقوله فى المرقص ...

ص ٣١ : (الباقون من شعراء صدر الدولة العباسية الكائنين فى آخر المائة الثانية)

أبو نواس: هو من أئمة أصحاب معانى الغوص ولاسيما فى أوصاف الخمر

ص ٣٣ :   **(شعراء المائة الثالثة)**

حبيب بن أوس الطائى : قد جعلوا من مخترعاته قوله ... الخ ...

ص ٣٧ : على ابن الرومى : يقولون أنه أحق الناس باسم شاعر لكثرة اختراعه وحسن توليده.

ص ٣٩ : عبد الله بن المعتز : هو إمام المشهبين فى الدولة العباسية ومن محاسنه المرقصات

ص ٤٥ : (شعراء المائة الخامسة)

أبو الحسن التهامى : أنا أقدم هذا الرجل فيما وقفت عليه من حسن الغوص ومن التوليد والابتداع

ص ٤٦ : أبو العلاء المعرى : هو جليل القدر فى الغوص وكثرة التخيل...

عنوان المرقصات والمطربات

لنور الدين على بن الوزير أبى عمران

ص ٥٦ : شعراء المغرب من أول الديار المصرية إلى البحر المحيط.

الجاهلية وما بعدها إلى المائة الرابعة عاطلة مما هو مشرط هذا الكتاب

(شعراء المائة الرابعة)

أبو عمرو بن عبد ربه :

إمام أهل أدبها بالأندلس ومصتفيها وفرسان شعرائها وهو صاحب كتاب العقد له فى المرقص :

ياذا الذى خط العـــذرا بخده　　خطـــين هجا لوعة وبلال
ما كنت أقطع أن لحظك صارم　　حتى اكتسيت من الغذار خمائلا

وقوله الذى حكم له المتنبى بسماعه أنه شاعر الأندلس :

ص ٥٧ : يا لؤلؤاً يسبى العقـــول أنيقاً　　ورشا بتعذيب القلـــوب خليقا
ما أن رأيت ولا سمعت بمثله　　دراً يعود من الحيـــاة عقيقا
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه　　أبصرت وجهك فى سناه غريقا
يا من تقطى خصـــره من رقه　　ما بال قلبك لا يكـــون رقيقا

(ابن هذيل الأعمى) له فى المرقص :

بما وضعت على قلبى يدى بيدى　　وصحت فى الليلة الظلماء واكبدى
ضجت كواكب ليلى فى مطالبها　　الصمـــاء من كمـدى
وليس لى جلد فى الجب ينصرنى　　فكيف أبقى بلا قلب بلا جلـــد

وكيف أشرح ما ذاب الجمـــاد له ... لمن غدا خائفاً إشــــــارتي بيدى
لما رآني مشيراً للســــــــــلام بها ... ألقى على خدّه مضـــاعف الزرد

يوسف بن هارون الرمادى : له فى المرقص قوله :

ولم أر أحلى من تبسم أعين ... غداة النوى عن لؤلؤ كان كامنا

وقوله الذى لم يقل فى وصف سحابة انسجمت على الربا ونقطت وجوه الغدر أن أحسن منه :

هوت مثل ما يهوى العقاب كأنما ... تخاف فوات المحـــل فهى تبادر
تشـــــــم دواتيها الربا فتثيرها ... كما شـم أذيال العروض الضفائر
كان انتشار القطـــر منها ضوابط ... تدور على الغـــدران منها دوائر

اسم البيكار عند أهل الأندلس الضابط

(**الشريف المروانى الطليق**) : له فى المرقص قوله يصف غلاماً أشقر :

غصن يهتز فى دعـــص نقا ... يجتنى منى فؤادى حـــرقاً
سال لام الصدغ فى صفحته ... سيلان التبروانى الورقـــاء
هى الحســــــن فيه إنما ... بحسن الغصـن إذا ما أورقا
وكأن الكــــأس فى أنمله ... شفق أصبح يغلـــو فلقا
أصبحـــــت شمساً وفوه مغرباً ... ويد الساقى المحبى مشــرقا
وإذا ما رغبت فى فمـــــــه ... تركت فـى الخد منه شفقاً
وعلى الأصائل رقـــة من بعده ... فكأنها تلقى الذى ألقـــاه
وغدا النســـــيم مبلغاً ما بيننا ... فلذاك رتق هوا وطاب شذاه
الروض مبســـمة وتكهته الصبا ... والورد اخضله الندى خدّاه
فلذلك أولع بالريـــــاض لأنها ... أبداً تذكرنى بمن أهـــواه

(**جعفر بن عثمان الحاجب**) له فى المرقص قوله :

كلمتنى فقلت در سقيط ... وتأملت عقدها هل تأثر
فازدهاها تبســـم فارتنى ... نظم در من التبســـم آخر

وقوله فى الخمر :

خفيت على شرابها فكأنما ... يجدون رياً من إناء فارغ

(**ابن فروج الجيانى**) صاحب كتاب الحدائق له فى المرقص :

بدت فى الليل ســـافرة فأتت — دياجـــــى الليل سافرة القناع
فملكت النهى حجاب شوقى — لأجرى فى العفاف على طباعى
كذاك الـــروض ما فيه لمثلى — ســـوى نظر وشم من متاع
ولست من الســوائم مهملات — فاتخـــذ الرياض من المراعى

(ابن هانىء الأندلسي) : له فى المرقص قوله فى قصد ملك جواد على جواد سابق :

عد شأو مطالب وركائب — حتى امتطيت إلى الغمام الريحا

وقوله : وزن حمرة خده وعذاره — تفاحـــة رميت لتقتل عقـربا

(تميم المعز) له فى المرقص قوله :

اطلع الحسن من حسنك شمساً — فـــــوق ورد من وجنتيك أطلا
فكأن العذرا خاف على النــورة — جفافًا فمد بالشعــــــر ظلا
كأن بقايا الليل والصنـــبح طالع — بقية لطخ الكحل فى الأعين المؤرق

المقداد المصرى : له فى المرقص قوله :

يقول من لامنى عليه أرى — فيه جفــــاء وذاك يغرينى
فى خده آية الرضـــا أو ما — أضحى بورد الحياء يحيينى

أبو الحسن العقيلى : من ولد عقيل بن أبى طالب له فى المرقص قوله :

وللأقاصى قصير كلها ذهب — من حولها شرفات كلها درر

ص ٥٩ : **منصور الفقيه** : له فى المرقص قوله :

قالوا العمى منظر قبيـــــح — قلت بفقدى لكم يهون
ما فى الأنام شـــــىء — تأسى على فقـده العيون

ابن وكيع التنيسى : له فى المرقص قوله :

قم سقنى والخليج مضطرب — والريح تثنى ذوائب القضـب
كأنها والريــــــاح تعطفها — صف قنا سندســـية العذب
والجو فى حلـــــة ممسكة — قد طرزتها البروق بالذهـــب

(شعراء المائة الخامسة)

أبو عمرو بن الدراج القسطلانى : له فى المرقص قوله :

،معاقل من سوسن قد شيدت — أيدى الربيع بناءها فوق العـــذب
شرفاتها من فضة وحماتـــــها — حول الأمير لهم سيوف من ذهب

إدريس بن اليمان : له فى المرقص قوله :

ثقلت زجاجـــات أتتنا فرغاً حتى إذا ملئت بصرف الراح
فكادت تستطير بما حـــوت إن الجســوم تخف بالأرواح

أبو عامر بن شهيد : له فى المرقص قوله :

ولما تملأ من ســـــكره ونام ونامت عيون العســس
دنوت إليه على قـــربه دنو رفيق درى ما التمـــس
أدب إليه دبيب الكـــرى وأسمو إليه سمو النفـــس
فبت به ليلتى ناعــــما إلى أن تبسم ثغر الفلـــس

أبو جعفر اللمائى : له فى المرقص :

عاد من أقبل فى جـنح الدجى يتهادى كتهادى ذى الرجـاء
بددت ريح الصبا لؤلـــؤه فانبرى يوقد عنه ســـرجا

أبو حفص بن برو الأصفر : له فى المرقص :

وكـــان الليل حين لوى ذاهبا والصبح قد لاحـــا
كله ســـوداء أحرقها عامد أســرج مصباحا

الوزير الإمام أبو محمد بن حزم : له فى المرقص قوله :

ص ٦٠ : لا تلحنى فى حبه إن بدا شاحب لون قد عراه النحول
فإن غصناً لم تـزل دائماً عليه شمس لحـر بالذبول

المعتمد بن عباد مالك أشبيلية له فى المرقص قوله :

سميدع يهب الآلاف مـبتدأ وبعد ذلك يلقـــى وهو معتذر
له يد كل جـــبار يقبلها لولا نـــداها لقلنا أنها الحجر
وقوله : وليل بعطـــف النهر إنما قطعته بذات سوار مثل منعطـــف النهر
نضت بردها عن غصن بان منعم فيا حسن ما انشق الكام عن الزهر

ابن الرضى : له فى المرقص قوله :

مروا بنا أصـــلا من غير ميعاد فأوقدوا نار قلبى أى إيقـــاد
لا غرو أن زاد فى وجدى مرورهم فرؤية الماء تذكى غلة الصاوى

المأمون بن المعتمد : له في المرقص قوله :

قـــوس لخـــم وهم ماهم أهل الندى والباس يوم الكفاح
كم كخلوة من عيون القـــنا وورده من خدود الصـــفاح

أبو بكر له عمار وزير ابن عباد : له في المرقص قوله :

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبـرى والنجم قد صرف العنان عن الســرى
والصبح قد أهدى لنا كافـــورة لما اســترد الليل منا العنبـــرا
والروض كالحسناء كسا زهرة وشـيا وقلده نـداه جوهـــرا
أو كالغلام زها بورد رياضـــه خجـلا وتـــاه بآسهن معذرا
روض كأن النهر فيه معصـــم ضاف أطل على رداء أخضرا
وتهـــزه ريـــح الصبا فتخاله سيف ابن عباد يبدد عسـكرا
أثمرت رمحك من رؤوس ملوكهـم لما رأيت الغصن يعشق مثمـرا

أبو الوليد بن زيدون وزير ابن عباد : له في المرقص قوله :

كأننا لم نبت والوصـــــل ثالثنا والسعد قد غض من أجفان واشينا
سـران في خاطر الظلماء يكتمنا حتى يكاد لسان الصبح يغشـــينا

حبيب الأندلسي وزير ابن عباد : له في المرقص قوله :

إذا ما أردت كؤس الهـــوى ففي شربها لست بالمؤتلي
مدام تعتق بالناظـــــــرين وتلد تعتق بالأرجـــل ص ٦١

ابن حصن كاتب المعتمد بن عباد : له في المرقص :

وما هاجني إلا ابن ورقاء هاتف على فنن بين الجـــزيرة والنهر
مفستق ظهر لا زوردي كلكل موشي الكلى أحوى القوادم والظهر
أدار على الياقوت أجفان لؤلـؤ وصاغ على الأجفان طوقاً من التبر
حديد شبا المنقار داج كأنـــه شبا قلم من فضة مدمن حـــبر
توسد من فرع الآراك أريـكة ومال على طيِّ الجناح مع النمـــر
ولما رأى دمعي مراقا أرابـــه بكائي فاستولى على الورق النضـــر
وحث جناحيه وصفق طـائرا وطار بقلبي حيث طـار ولا أدرى

الوزير أبو عامر بن عبدوس: له في المرقص قوله في فرس أبيض في عرفه لمعة حمراء :

يا حسن هذا الجواد حين بد في شية لم تكن لذى بلق
قام عليه النهـــار مدعيا فاعترفت عرفه بذا الشفـق

ابن وهبون المرسي : له في المرقص :

ذنبي إلى الدهر فلتكره سجيته   ذنب الحسام إذا ما أحجم البطل

وقوله وقد استحسن المعتمد بن عباد بيتاً من شعر المتنبي :

تنبأ عجباً بالقريـض ولو درى   بأنك تروى شعـــــره لتألها

البجلي : له في المرقص :

رقت ورق أديمها من حسـنها   فتكاد تبصر باطناً من ظاهـــر

يندى بماء الورد مسيل شعرها   كالطل يسقط من جناح الطائر

أبو الفضل بن شرف : له في المرقص :

لم يبق للجور في أيامكم أثر   إلا الذي في عيون الغيد من حور

وقوله : تقلدتني الليالي وهي مدبرة   كأنني صارم في كف منهـــزم

عبد الله بن القابلة السبتي : له في المرقص :

ووجه غزال رق حسـناً أديمه   يرمي الصب فيه وجهه حين ينظر

اللقـــــاء به رشــــا   تكاد امحيا من لحمياه تقطـــر

ص ٦٢ : ولم يتعـــرض كي أراه وإنما   أراد يريني أن وجهي أصـــفر

ابن رشيق : صاحب كتاب العمدة له في المرقص قوله، وقد غاب المعتز بن باديس سلطان أفريقية وجاء عيد فكان ماطراً :

تجهم العيد وانهلت بـــوادره   وكنت أعهد منه البشر والضحـكا

كأنه جاء يطوي الأرض من بعد   شوقاً إليك فلما لم يجدك بكـــى

خط العذرا له لا ما بصفحـــته   من أجلها يستغيث الناس باللــوم

عبد الله بن محمد العطار : له فى المرقص :

وكاس ترينا آية الصبح والدجى فأولها شمس وآخـــــــرها بدر
مقطبة ما لم يزرها مزاجـــها فإن زارها جاء التبسم والبشــــــــر
فيا عجباً للدهر لم يخل مهجة من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

عبد الرحمن بن بحبيب : له فى المرقص قوله :

مجرى جنوبى دماء وهو ناظرها ومتلف القلب وجداً وهو مربعه
إذا بدا حـــال دمعى دون رؤيته يغار منى عليه فهو برقعــــــــه

أبو عبد الله بن شرف : له فى المرقص :

تحت الظلام الذى مثل الظليم حنا والبدر بيضته والجواد حىّ

وقوله :

أفنى دموعى وجسمى طول هجرهم فانظموا إلى ملتقى طل على طلل

على بن يوسف التونسى : له فى المرقص :

حين اعتلت أنواره وجنت كف الغزالة وردة الشفق

عتيق الوراق : له فى المرقص قوله فى رثاء الفقيه ابن خلدون وقد دفن ليلا :

دفنوا صبحهم بليل وجاءوا حين لا صبح يطلبون الصباحا

عمر ابن القاضى المسيلى : له فى المرقص قوله :

أن يخترم خلفا حـــمام فابنه منه لنا خلف وحـظ وافـر
نور تساقط حين أصبح مثمرا والنور يسقط نفسه إذا يثمر

عبد الوهاب المثقالي : له فى المرقص :

كأنما الشامة فى خده   حبة مسك فوق تفاحه

ص ٦٣ : **ابن الغطاس** : له فى المرقص قوله فى وصف الخيار :

جسم لجين يكاد يجـــــرى   لولا ترديه ثوب ســـــام
ما اعترضته العيـــــــون إلا   حالت به مقبض الحسام

ابن أبى مفتوح : له فى المرقص قوله :

لحية ميمون إذا حصلــــت   لم تبلغ المعشـــار من ذره
تطلعت فاستقبلت وجهـــه   فأقسمت لا أنبتت شعره

ثقة الدولة جعفر بن تأييد الدولة ملك صقلية : له فى المرقص قوله فى غلامين جميلين أحداهما بثوب أحمر والآخر بثوب أسود :

أرى بدريـــن قـــد طلعـــا   على غصنين فى نســــــــق
لـــدى ثوبـــين قد صبغـــا   صباغ الخد والحــــــــدق
فهــــذا البدر فى غســــق   وهذا الشمس فى شــــــفق

وقوله : رأتنى وقد شبهت بالورد خـــدها   فتاهت وقالت قاس خدى بالـــورد
كما قال إن الأقحوان كمبسمى   وإن قضيب البان يشبهه قـــــدى
وحق صفا ماء النعـيم بوجـــنتى   وحسن الجبين الصلت والفاحم الجعدى
لئن عاد للتشبيه يوماً حـــرمته   لذيذ الكرى لا بل أذوقه فقـــدى
إذا كان هذا فى البســـاتين عنده   فقولوا له لم جاء يطلـــبه عندى

القائد الحسن بن مشكور : له فى المرقص قوله فى النيلوفر :

كــؤوس من يواقـــيت تفتـح عـــن دنانـــير
وفى أحشـــائها زهـــر كألســـنة العصـــافير

محمد بن الحسن الكاتب : له فى المرقص قوله :

لا يصل من صَـــدَّتنيها أبـداً واسـتغن عـــنه
كـن كمثل الكـــرم يعلق بالـــذى يقـــرب مـــنه

على بن الطربى : له فى المرقص قوله :

وأحور مائل اللحظات عـــنى دسست إليه من بشقى وسيطاً
فجاء به على مهل وســـتر كما يستدرج اللهب السليطا

ابن عتيق الصغار : له فى المرقص قوله :

ص ٦٤ : وأضرمت فى القلب نار الجوى فهذه الأدمع عنها شرر

عبد العزيز بن الحاكم : له فى المرقص قوله :

وكان البـــدر والمريـــخ إذا وافى إلـــــيه
ملك توقـــــد ليلا شمعة بين يديـــــه

عبد الحسن بن إبراهيم الورداني : له فى المرقص

وأتى الصباح فلا أتى وكأنـــه شيب أطلّ على سواد شـباب
وكأنما شفق السماء خضـــابه يبدو كنعمان بأرض ســراب

القاضى الجليس أمين الدين المصرى : له فى المرقض :

ومن عجب أن الصـــوارم والقنا　　يحض دماء والسيوف ذكـــور
وأعجـــب من ذا أنها فى أكفهم　　تأجج ناراً والأكف بحـــور

صنهاج : له فى المرقص قوله : وقد زلزلت الأرض بمصر فى أيام الحاكم:

بالحاكم العدل أضحى الدين مقـليا　　نجل الهدى وسليل السادة الصلحا
مازلزلت مصر من كيد يـراد بها　　وإنما رقصت من عـــدله فرحا

هاشم بن إلياس المصرى : له فى المرقص :

كأن بياض البدر من خلف نخله　　بياض بنان فى اخضرار نقـــوش
وكأنما المريخ بين نجومــــــه　　يا قوتة فى لؤلـــؤ متبـــــدد

ابن مكنسة : له فى المرقص قوله :

والسكر فى وجنته وطرفــــــه　　يفتح ورداً ويغض نرجـــــسا
ابريقنا عاكف على قــــــدح　　تخاله الأم ترضع الولـــــدا
أو عابد من بنى المجـــوس إذا　　تـوهم الكاس شعلة سجـــدا

أبو الطاهر بن دواس الكتابى : له فى المرقص :

لما رأيت البياض حـــــين بدا　　فى أسود الشعـر صحت وأخزنى
هذا وحق الإلهِ أحســـــــبه　　أول خيط ســـدى من الكفن

يعقوب بن كلس اليهودى وزير العزيز: له فى المرقص قوله: وقد سبق طيره طير العزيز:

قل لأمـــير المؤمنين الـــــذى | له العلا والمثـــــــل الثاقـــب
طائرك الســـــــــابق لكنه | لم يأت إلا ولــــه حاجـــب

الموفق أبو الحجاج بن محمد صاحب ديوان المكاتبات : له فى المرقص قوله فى الشمعة :

وصعده لدنة كالتبر يفـــتق فى | جنح الظلام إذا ما أبرز فلقـــا
تدنو فيخرق برد الليل لهذمـــها | وإن نأت رتق الإظـــلام ما فتقا
وتستهل بماء عند وقـــــدتها | كما تألق برق الغـــيث واندفقا
كالصب لوناً ودمعاً والتظا وضنى | وطاعة وســـــهادا دائماً وشقا
والحب حسناً وليناً واســـتوا وشذا | وبهجة وطـــروفاً واجتنا ولــــقا

أبو على الأنصارى : له فى المرقص قوله : فى خيمة نصبها الأفضل :

ما كان يخطر فى الأفكار قبلك | تسمو علواً على أفق الها الخيـــم
أن حتى أتيت بها شماء شـاهقة | فى مارن الدهر من تبديها شمـــم
والطير قد لزمت فيها مواضــــعها | لما تحقق منها أنها خــــــدم
أخيلها خيـــلك اللاتى تغير بـــها | فليس تنزع عنها الحزم واللجـــم
كأنها جنة والســـــــاكنون بها | لا يستطيل على أعمارهم هـــرم
أن أنبتت أرضها زهراً فلا عجـــب | وقد همت فوقها من كفك الديم

القاضى أبو الفتح بن قدوس : له فى المرقص :

وكلما رام نظماً فى معاتبـــــتى | سددت فاه بنظم اللثم والقـــبل
وبات بدر تمام الحســن معتنقى | والشمس من فلك الكاسات لم تفل
فبت منه أرى النار التى سجـدت | لها المجوس من الإبريق تسـجد لى

مد بن مفرج : له فى المرقص قوله فى وصف الغيث :

ومن العجائب أن أتى من نسجه　　وخيوطه بيض بساط أخضر
أرض وافق وكلا بيلاغه　　فالزهر ينظم والسحائب تنثر

وعباد الاسكندرانى : له فى المرقص قوله :

كأن شمسه من فضة حرست　　خوف الوقوع بمسمار من الذهب

براهيم بن شعيب المصرى : له فى المرقص :

يا ذا الذى ينفق أمواله　　فى حب هذا الأسمر الفائق
ما الذهب الصامت مستكثرا　　انفاقه فى الذهب الناطق

عبد الله بن الطباخ : له فى المرقص قوله فى أحدب :

قصرت أخادعه وغاب قذاله　　فكأنه مترقب أن يصفعا
وكأنه قد ذاق أول صفعة　　وأحس ثانية لها فتجمعا

ظافر الحداد الإسكندرانى : له فى المرقص قوله :

ونفرّ صبح الشيب ليل شبيبتى　　كذا عادتى فى الصبح مع من أحبه
له.　وكأنما الدولاب يزمر كلما　　غنت أصوات الضفادع أشيز
وكأنما القمرى ينشد مصرعا　　من كل بيت واليمام يجيز

علي بن حبيب التميمي : الكاتب المصرى له فى المرقص قوله :

أقمت بالبركة الغراء مدهقة　　والماء مجتمع فيها ومصفوح
إذا النسيم جرى فى مائها اضطربت　　كأنما ريحه فى جسمها روح

الجليس بن الحباب : له في المرقص قوله :

والعود أحمد بالكريم وقلما يغنى الحيا إلا على تكـــــراره

(شعراء المائة السادسة)

أبو اسحاق بن خفاجة : له في المرقص قوله :

وعشى أنس أضجعتنا نشـــــوه فيه تمهد مضجعي وتدمـــــث
خلقت على بها الأراكة ظلـــها والغصن يضفى والحمام يحـــدث
والشمس تجنح للغروب مريضـــة والرعد يرقى والغمامة تنفـــــث
وقد خلقت ليلا علينا يد الهـوى رداء عناق مزقته يد الفجـــــــر
نمّت بأشرار الرياض خميلـــــة لها الزهر ثغر والنسيم لســــــان

ابن اللبانة : له في المرقص قوله :

بروحى وأهلى جيرة ما استعنتهم على الدهر إلا وانثنيت معـــــانا
أراشوا جناحي ثم بلوه بالنـــــدى فلم أستطع من أرضــــهم طيرانا

ابن بسام صاحب الذخيرة : له في المرقص قوله :

إلا بادر فلا ثانى ســـــوى مـا عهدت الكاس والبدر التمـــــام
ولا تكسل برؤيته صباحــــــا تفض به الحديقة والمــــــدام
فإن الـــــــروض ملتثم الى أن توافـــيه فينحـــط اللـــــثام

أبو جعفر الجزار البطرانى : له في المرقص قوله :

وما زلت أجنى منك والدهر ممحل ولا ثمر يجنى ولا زرع يحصـــد
ثمار أياد دانيات قطـــــــوفها وأوراقها ظل على ممـــــــدد

ترى جاريًا مـــــاء المكارم تحتها　　وأطيار شكرى فوقهن تغـــــرد

ن وضاح المرسى : له فى المرقص قوله لرئيس قطع عنه إحسانه فقطع عنه مدحه :

هل كنت إلا طائرًا بثنائــــكم　　فى دوح مجدكم أقوم وأقعـــد
أن تسلبونى ريشكم وتقلصـــوا　　عنى ظلالكم فكيف أغــــرد

بن الزقاق البلنسى : له فى المرقص قوله :

وأغيد طاف بالكـــؤس ضحى　　وحثها والصباح قد وضـــحا
والروض أهدى لنا شـــقائقه　　وآسه العـــنبرى قد نفحـــا
قلنا وأين الأقـــداح قـــال لنا　　أودعته ثغر من سقى القـــدحـــا
فظل ساقى المـــدام يجحـــد ما　　قال فلما تبســم افتضـــحا

أبو الصلت : صاحب الحديقة: له فى المرقص قوله لمن جاد عليه قبل مدحه:

لا غروا أن سبقت يداك مدائحى　　فتدفقت جـــدواك ملء انائــها
يكسى القضيب ولم تحن أثمـاره　　وتطوق الورقـــاء قبل غنائـــها

الحجازى صاحب المذهب : له فى المرقص قوله :

كم بت فى أسر السهاد بليلـــة　　ناديت فيها هل بجنحـــك آخر
أو قام هادى الصبح يظهر ملـــة　　حكمت بأن ذبح الظلام الكافـــر

محمد بن سعيد : عم جد مصنف هذا الكتاب له فى المرقص قوله :

يا هـــذه لا ترومـــــــى　　خداع من ضـــاق ذرعــه
تبكى وقد قتلـــــــتنى　　كالســيف يقطـــر دمـــعـه

ابن أخيه أبو جعفر بن عبد الملك بن سعيد : كتب إلى حفصة الشاعرة إثر ليلة وصال بات بها فى موضع يعرف بجود مؤمل وهو منتزة :

ص ٦٨: رعى الله ليلا لم يـــرح بمذمم عشيه واراتا بجـــود مؤمـــل
وغرد قمرى على الـدوح وانثنى قضيب من الريحان من فوق جدول
ترى الروض مسروراً بما قد بدا له عناق وضم وارتشـــاف مقبل

فجاوبته تقول :

لعمرك ما سرت رياض بوصـــلنا ولكنها أبدت لنا الغل والحســـد
ولا صفق النهر ارتياحاً لقـــربنا ولا صدح القمرى إلا لما وجـد
فلا تحسن الظن الذى أنت أهـله فما هو فى كل المواطن بالرشـد
فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه لأمر سوى كى ما تكون لنا رصد

ابن سفرة المرينى : هو أبو الحسين بن سفرة : له فى المرقص قوله :

لو أبصرت عيناك زورق فتـــية يبدى لهم لهج الســـرور مراحه
وقد استداروا تحت ظل شــراعه كل يمد بكاس راح راحـــــه
لحسبته خوف العواصف طائـــرا من الحنو عل يبنيه جناحـــــه

أبو عبد الله الرصافى البلنسى : له فى المرقص قوله فى غلام حائك :

جذلان تلعب بالمحراك أنملـــه على السدى لعب الأيام بالـدول
ضماً بكفيه أو فحصاً بأخمصه تخبط الظبى فى إشـــراك محتبل

ن مغير : له فى المرقص قوله :

تراه عينى وكفى لا يباشــــره   حتى كأنى فى المرآة أبصـــره
آتى بلا رحب ولا مكـــــنة   وقع العصافير على الســـنبل

بن تقى : له فى المرقص :

حتى إذا مالت به ســـنة الكرى   زحزحته شيئاً وكان معــــانقى
باعدته عن أضلع تشـــــتاقه   كى لا ينام على وســـاد خافق

ابن حيون الأشبيلى : له فى المرقص قوله فى شطر العين لا يفارقه الدمع :

شترت فقلنا زورق فى لجـــــة   مالت بإحـــــدى دفتيه الريح
وكأنما اسنانها ملامـــــــــها   قد خاف من غرق فظــل يميح

ابن قلاقس الإسكندارنى : له فى المرقص قوله :

قرنت بواد الصدغ صــــاد المقبل   وأغربت فى لام العذرا المبلســل
فإن لم يكن وصل لديك لآمــل   فلم لاح فى مرآك للمتأمـــــل

ابن حمد يس الصقلى : له فى المرقص قوله :

أشرب على بركة نيلوفـــــــر   محمرة الأوراق خضـــــــراء
كأنما أزهارها أخرجـــــــــت   أمنة النــــــــار من المـــاء

(شعراء المائة السابعة)

الأسعد بن مماتى : له فى المرقص قوله :

مررت بدار الملك والنيل آخذ   بأطواقها والموج يضربها ضربا

ابن سناء الملك : له فى المرقص قوله :

لا تخش منى فإنى كالنسيم ضنى	وما النسيم بمخشى على غصـن
وأشكو إلى ليل الغذائر غـــدرها	وأملى عليه وهو فى الأرض يكتب

النجيب بن الدماغ : له فى المرقص قوله :

يارب إن قدرته لمقـــــبل	غيرى فللمســـواك أو للأكؤس
وإذا قضيــت لنا بعين مراقـــب	فى الحب فلتك من عيون النرجس

جعفر بن شمس الخلافة : له فى المرقص قوله :

يارب ليل قد طرقـــــــــــ	ـــه وســـاد الحب ســــرا
ففشثت قفلا من عقـــــير	ـــق أحمر وســــرقت درّا

الكمال بن النبيه : له فى المرقص قوله :

وكوب الصبح نجاب على يديه	فحلق تملأ الدنيا بشـــــائره

البرهان بن الفقيه : له فى المرقص قوله :

اقتطف الســـــوداء من لمتى	أخذا مع البيضاء إذ تشــــرفه
فتخلف البيضـــــاء أمثالها	وتغضب السودا فما تخـــلف
حماقة الســـــودان من هاهنا	يعرفها من كان لا يعـــرف

الأمير سيف الدين سابق : له فى المرقص قوله :

ولقد شربت مع الحبيب مدامـــه	عذراء إلا أنها شمطـــــاء
والروض فيه تكبر وتواضـــــع	شمخ القضيب وخمــــر الماء

ص ٧٠ : **الصاحب جمال الدين بن مطروح** : له فى المرقص قوله :

إذا ما اشتهى الخلخال أخبار قرطها فيا طيب ما تملى عليه الضفـائر

وقوله : وجاءنى فى حلة معصفرة قوموا انظروا الغصن فى أصائـــله

شرف الدين الديباجي : له فى المرقص قوله :

شهر الحسام وكالإقاحة خـــده ثم انثنى كشقائق النعـــــمان

لو لم يكن طرباً براحـــــته لما غنى بضرب مثالث ومثـــــان

ابن شاور : له فى المرقص قوله :

لا تـــــثق مـــن آدمـــى فى واد بصفـــــــــاء

كيف ترجـــو منه صفـــوا وهو من طين ومــــــاء

الزكي بن الإصبع : له فى المرقص قوله :

ولما رأيتك عند المـــــــديح جهم المحيا لنا تنظـــــــر

يتقنت بخلك لى بالنــــــدى لأن الجهامة لا تمطـــــر

أبو الحسن الجزار : له فى المرقص قوله :

من منصفى من معـــــشر كثروا على وأكـــــثروا

صادقتهم وأرى الخـــــرو ج من الصداقة يعســــر

كالحظ يسهل فى الطـــرو س ومحوه متعـــــذر

وإذا أردت كشـــــطته لكـــــن ذاك يؤثـــر

التاج بن غنوم الإسكندراني : له فى المرقص قوله :

لا غرو للأعين أن رقـــرقت دموعها حين وداع الســـفر
فالنور قد أصبح مســـتعبرا وليس إلا لوداع الســـحر

سلطان أفريقية أبو زكريا بن عبد الواحد : له فى المرقص قوله :

تفضـــل بطعم له ملبـــس صلابـــة وجـه لئيم حكى
إذا بزعن جســـمه ثوبـــه أتاك كما تمضغ المصطـــكى

أبو علي بن العفون : له فى المرقص قوله :

أخواك يا ابن الأكـــرمين يحنه رأيا بها ما لم يكن فى الجـــنة
عنباً ملاحيا وخمـــراً حـــره وظلالها من تحت أغصن كـرمة
فشرابنا البنت الشـــمول ونقلنا باللام واســـتظلالنا بالحـــرّة

أبو جعفر بن طلحة وزير بن هود صاحب الأندلس وكاتبه : له فى المرقص قوله :

يا هل ترى أظرف من يومـــنا قلد جـــيد الأفق طـوق العقيق
وانطق الورق بعيـــــدانها مرقصة كل قضـــيب وريـــق
والشمس لا تشرب خمر النـدى فى الروض إلا بكـــؤس الشقيق

مرح الكحل: له فى المرقص قوله :

نهر يهيم بحســـنه من لم يهم ويجيد فيه الشـــعر من لم يشـــعر
ما اصفر وجه الشمس عند غروبها إلا لفرقة حسن ذات المنظـــــر

مطرف الغرناطي : له فى المرقص قوله :

١ـ سقتني والحمام يبكى صباحاً   فتخال الـــــرذاذ من مقلتـــيه
وكان النسيم جاء إلى الغصـــــن دخيلا مسترفداً ما علـــيه
فانثنى كالكريم وافاه ضـــــيف   ثم ألقى ما يديه لـــــــــديه

ابراهيم بن محبوب كاتب بن الرستمي صاحب صقلية : له فى المرقص قوله :

حلقوك تغيير الحسنك غـــيره   فازداد حسنك بهجـــــة وبهاء
كالخمر زال فدامها فتشعشـــعه   والشمع قط زبالة فاســــتناء

أبو القاسم بن طلحة الصقلي : له فى المرقص قوله :

أيتها النفـــــس إليه اذهـــــبى   فحبه المشهور من مذهـــــبى
مفصص الثغـــــر له فقطـــة   مسكيّة فى خـــــدّه المذهب
آيسنى التوبـــــة من حـــبه   طلوعه شمساً من المغـــــرب

ابن جبر الصقلي : له فى المرقص قوله فى الشمعة :

وصعدة لبست ســــربال مشتهر   بالحب منغمس فى الدمع والحرق
مازال يطعن صدر الليل لهذمــها   حتى غدا سائلا منه دم الشـــفق

أبو جعفر بن عباس : له فى المرقص قوله :

شربت مذ دب فوق الجو عارضه   حتى بدا شائبًا بالصبح مختـــسيا
فلم أدع ذهب الصهباء من قدحى   حتى رأيت خليع الليل قـد ذهبا

عفيف الدين بن تلمساني : له فى المرقص قوله :

ساروا فيا وحشة الوادى لبعدهـــم   عنه ولا سيما القضبان والكـــثب
وقوله : وأعد لى حديثه فلسمعى   فرط وجد باللؤلؤ المنثـــــــور
ثم صف لى ذؤابة منه طالـــت   ودجت فهو ليلة المهجـــــور

أبو الحسن الراقشى : له فى المرقص قوله :

ألا لله نهـــــر فى ريـــاض   يحض على الشجـــاعة من رآه
تلاعب للحـــــباب به فند   وأدمى بالشـــــقائق جانبـاه

ابن الصابونى الأشبيلى : فى ذكر العذرا : له فى المرقص قوله :

وما خيلت نفســـــى إلىّ بأنه   ستفعل أفعال السيوف الحـمائل

أبو الوليد بن الحنان : له فى المرقص قوله :

والسحب قد نثرت فى الروض لؤلؤها   فضمها الشمس فى ثوب من الذهب
ودوحة أطربت منها حمائمهـــا   أفق السماء فلم تبرج تنقـــطها
تحكى الكمامة منها راحة قبضت   يلقى السحاب لها درا فيبســـطها
وقوله: والكاس حلتها حمراء مذهـــبة   لكن أزرتها لؤلؤ الحـــــبب
وقوله: ودوح بدت معجـــــزات له   تبين عليه وتدعـــــو إلـــيه
جرى النهر حتى سقـــه أرضه   فمال يقبـــل شـــكراً يديه
وكف الصبا ضيعت حلـــه   فقام الحمـــام ينادى عـــليه
كساه الأصيل ثياب الغـــنى   فحل طبيـب الدياجـــى لديه
وجاء النســـيم له عائـــد   فقام له لاثما معطفـــــه

أبو عبيد بن أبي الحسين بن سعيد: وزير صاحب أفريقية: له في المرقص قوله في دولاب

ومحنية الأصلاب تحنو على الثرى　　وتسقى نبات التـــرب در الترائب
تعد من الأفلاك أن مياهــــــها　　نجوم لرجم المحـــل ذات ذوائب
وأطربها رقص الغصون ذوابـــلا　　فدارت بأمثال السيوف القواضب

موسى بن سعيد له في المرقص قوله وهو والد المصنف :

ألا حبذا روض بكرنا له ضحـــى　　وفي وجنات الورد للطـــل أدمع
وقد علت بين الغصون نسيـــمه　　تمزق ثوب الظل منه وترقــــــع
ونحن إذا ما صلت القضب ركعا　　تظل لها من زهرة السـكر نركع

علي بن سعيد مصنف هذا الكتاب : له في المرقص قوله من أبيات في جورة الصالحية بمصر يذكر إحداق النيل بها :

وعانقها من فرط شوق لحسـنها　　فمد يمينا نحوها وشــــمالا
وقوله: تزاحم في جانبيه الغصـــــون　　كخيل فوارسهن الحـــمام
وقوله: كان خالا لاح من خـــــده　　للعين في سلسلة من عــــذرا
أسيود يخدم في جـــــــنه　　قيده مولاه خوف الفـــــرار

وله في فرس أغر أكحل :

عجبت له وهو الأصيل بعــــرفه　　ظلام وبين الناظرين صــــباح

عرض ابن خلدون للبلاغة والأسلوب حينما جعل من مقدمة كتابه ديوان العبر مقدمة فى العلوم التى عرفت حتى عصره ونشهد لابن خلدون أنه كان ذا ذوق جمالى فى الأدب كإبداعه الفكرى فى علوم الاجتماع ولعل الصفحات التالية تؤكد هذا الذى نذهب إليه إضافة إلى أنه يطرق مجالات جديدةٍ فى الأدب كحديثه عن الذوق والأسلوب ورأيه فى البديع.

مقدمة ابن خلدون ص ٥٧٤:

... ذكر ذلك ابن رشيق فى كتاب العمدة وهو الكتاب الذى انفرد بهذه الصناعة وإعطاء حقها ولم نكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله.

مقدمة ابن خلدون ص ٥٦٢

الفصل الثانى والأربعون

فى تفسير الذوق فى مصطلح أهل البيان وتحقيق معناه وبيان أنه لا يحصل للمستعربين من العجم اعلم أن لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان وقد مرّ تفسير البلاغة وأنها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للتراكيب فى إفادة ذلك فالمتكلم بلسان العرب والبليغ فيه يتحرّى الهيئة المفيدة لذلك على أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده فإذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة فى نظم الكلام على ذلك الوجه وسهل عليه أمر التركيب حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التى للعرب وإن سمع تركيباً غير جار على ذلك المنحى مجّه ونبا عنه سمعه بأدنى فكر بل وبغير فكر إلا بما استفاد من حصول هذه الملكة فإنّ الملكات إذا استقرت ورسخت فى محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك يظن كثير من

المتفلين ممن لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم إعرابا وبلاغة أمر طبيعي ويقول كانت العرب تنطبق بالطبع وليس كذلك وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأى جبلة وطبع وهذه الملكة كما تقدم إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطين لخواص تراكيب وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التى استنبطها أهل صناعة اللسان فأن هذه القوانين إنما تفيد علما بذلك اللسان ولاتفيد حصول الملكية بالفعل فى محلها وقد مرّ ذلك وإذا تقررّ ذلك فملكة البلاغة فى اللسان تهدى البليغ إلى وجود النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب القرب فى لغتهم ونظم كلامهم...

ص ٥٦٣..... واستعير لهذه الملكة عندما ما ترسخ وتستقر اسم الذوق الذى اصطلح عليه أهل صناعة البيان وإنما هو موضوع لإدراك الطعوم لكن لما كان محل هذه الملكية فى اللسان من حيث النطق كما هو محل لإدراك الطعوم استعير لها اسمه وأيضا فهو وجدانى اللسان كما أن الطعوم محسوسة له فقيل له ذوق واذا تبين لك ذلك علمت فيه أن الأعاجم الداخلين فى اللسان العربى الطارئين عليه المضطرين إلى النطق به لمخالطة أهله كالفرس والروم والترك بالمشرق وكالبرر بالمغرب فإنه لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حظهم فى هذه الملكة التى قررنا أمرها لأن قصاراهم بعد طائفة من العمر وسبق ملكة أخرى إلى اللسان وهى لغاتهم أن يعتنوا بما يتداولة أهل مصر بينهم وفى المحاورة من مفرد ومركب لما يضطرون إليه من ذلك وهذه الملكة قد ذهبت لأهل الأمصار وبعدوا عنها كما تقدم وإنما لهم فى ذلك ملكة أخرى وليست هى ملكة اللسان المطلوبة ومن عرف تلك الملكة من القوانين المسطرة فى الكتب فليس من تحصيل الملكة فى شئ إنما حصل أحكامها كما عرفت وإنما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتياد والتكرر لكلام العرب.

مقدمة ابن خلدون ص ٥٥١.

وأطلق على الأصناف الثلاثة (أى البلاغة والبيان البديع) عند المحدثين اسم ص ٥٥٢ البيان وهم اسم الصنف الثانى لأن الأقدمين أول من تكلموا فيه ثم تلاحقت مسائل الفن واحدة بعد أخرى وكتب فيها جعفر بن يحيى والجاحظ وقدامة وأمثالهم إملاءات غير وافية فيها ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئا فشيئا إلى أن محص السكاكى أبدتة وهذب مسائلة ورتب بوابة على نحو ماذكرناه آنفا من الترتيب وألفه كتابه المسمى بالمفتاح فى النحو والتصريف والبيان فجعل هذا الفن من بعض أجزائه وأخذه المتأخرون من كتابه ولخصوا منه أمهات هي

المتداولة لهذا العهد كما فعله السكاكى فى كتاب البيان وابن مالك فى كتاب المصباح وجلال الدين القزوينى فى كتاب الإيضاح والتلخيص وهو أصغر حجماً من الإيضاح والعناية به لهذا العهد عن أهل المشرق فى الشرح والتعليم منه أكثر من غيره وبالجملة فالمشارقة على هذا الفن أقوم من المغاربة وسببه والله أعلم أنه كمالى فى العلوم اللسانية والصنائع الكمالية توجد فى العمران والمشرق أوفر عمرانا من المغرب كما ذكرناه أو نقول لعناية العجم وهو منظم أهل المشرق لتفسير الزمخشرى وهو كله مبنى على هذا الفن وهو أصله وإنما اختص بأهل المغرب من أصنافة علم البديع خاصة وجعلوه من جملة علوم الأدب الشعرية وفرعوا له ألقابا وعددوا أبوابا ونوعوا أنواعا وزعموا أنهم أحصوها من لسان العرب وإنما حملهم على ذلك الولوع بتزيين الألفاظ وأن علم البديع سهل المأخذ وصعبت عليهم مآخذ البلاغة والبيان لدقة أنظارهما وغموض معانيها فتجافوا عنهما وممن ألف في البديع من أهل إفريقية ابن رشيق وكتاب العمدة له مشهور وجرى كثير من أهل إفريقية والأندلس على منحاه وأعلم أن ثمرة هذا الفن انما هى في فهم الإعجاز من القرآن لأن إعجازه فى وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقه ومفهومة وهى أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالألفاظ فى انتقائها وجودة وضعها وتركيبها وهذا هو الإعجاز الذى تقصر الأفهام عن ادراكه وإنما يدرك بعض الشئ منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربى وحصول ملكتة فيدرك من إعجازه على قدر ذوقة فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغة أعلى مقاما في ذلك لأنهم فرسان الكلام وجهابذته والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحه وأحوج ما يكون الى هذا ص ٥٥٣ الفن المفسرون وأكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه حتى ظهر جار الله الزمخشرى ووضع كتابته فى التفسير وتتبع آى القرآن بأحكام هذا الفن بما يبدى البعض من إعجازه فانفرد بهذا الفضل عن جميع التفاسير... الخ...

مقدمة ابن خلدون ص ٤٧٩ .

...... وأعلم أن أكثر من عنى بها (أى العلوم العقلية) فى الأجيال الذين عرفنا أخبارهم الأمتان العظيمتان في الدولة قبل الإسلام وهما فارس والروم...

ص ٤٨١ .... ويبلغنا عن أهل المشرق أن بضائع هذه العلم لم تزل عندهم موفورة وخصوصاً فى عراق العجم ومابعده فيما وراء النهر وأنهم على بح من العلوم العقلية لتوفر عمرانهم واستحكام الحضارة فيهم ولقد وقفت بمصر على تآليف متعددة لرجل من عظماء هراه من بلاد خراسان يشهر بسعد الدين التفتازانى منها فى علم الكلام وأصول الفقه والبيان تشهد بأن له ملكة راسخة

في هذه العلوم وفى أثنائها ما يدل على أن له اطلاعا على العلوم الحكمية وقدما عالية في سائر الفنون العقلية.....

مقدمة ابن خلدون ص ٤٥٢

الفصل التاسع

في أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافيات

إعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدراً وأكثرها فائدة وهو النظر فى الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتآليف وأصول الأدلة الشرعية هى الكتاب الذى هو القرآن ثم السنة المبينة له فعلى عهد النبى ﷺ كانت الأحكام تتلقى بما يوحى إليه من القرآن ويبينه بقوله وفعله ص ٤٥٣ بخطاب شفاهي لايحتاج إلى نقل ولا إلى نظر وقياس ومن بعده صلوات الله وسلامه عليه تعذر الخطاب الشفاهى وانحفظ القرآن بالتواتر وأما السنة فأجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على وجوب العمل بما يصل إلينا منها قولاً أو فعلاً بالنقل الصحيح الذى يغلب على الظن صدقه وتعينت دلالة الشرع فى الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ثم ينزل الإجماع منزلهما لاجماع الصحابة على النكير على مخاليفهم ولايكون ذلك الا عن مبتند لأن مثلهم لا يتفقون من غير دليل ثابت مع شهادة الألة بعصمة الجماعة فصار الاجماع دليلاً ثابتاً فى الشرعيات. ثم نظرنا فى طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة فاذا هم يقيبسون الأشباه بالأشباه منهما ويناظرون الأمثال بالأمثال باجماع منهم وتسليم بعضهم لبعض فى ذلك فإن كثير من الواقعات بعده صلوات الله وسلامة عليه لن تندرج فى النصوص الثابتة فقاسوها بما ثبت وألحقوها بما نص عليه بشروط فى ذلك الإلحاق تصحح تلك المساواة بين الشبيهين أو المثلين حتى يغلب على الظن أم حكم الله تعالى فيهما واحد وصار ذلك دليلا شرعياً باجماعهم عليه وهو القياس وهو رابع الأدلة. واتفق جمهور العلماء على أن هذه هى أصول الأدلة وأن خالف بعضهم فى الإجماع والقياس إلا أنه شذوذ وألحق بعضهم بهذه الأربعة أدلة أخرى لا حاجة بنا إلى ذكرها لضعف مداركها وشذوذ القول فيها فكان أول مباحث هذا الفن النظر فى كون هذه أدلة فأما الكتاب فدليل المعجزة القاطعة فى متنه والتواتر فى نقله فلم يبق فيه مجال للاحتمال وأما السنة وما نقل إلينا منها فالإجماع على وجوب العمل بما يصح كما قلناه معتضا بما كان عليه العمل فى حياتة صلوات الله وسلامة

عليه من انفاذ الكتب والرسل إلى النواحى بالأحكام والشرائع أمراً وناهياً. وأما الإجماع فلاتفاقهم رضوان الله تعالى عليهم على إنكار مخالفتهم مع العصمة الثابتة للجماعة. وأما القياس فباجماع الصحابة رضى الله عنهم عليه كما قدمناه، هذه أصول الأدلة ثم أن المنقول من السنة محتاج إلى تصحيح الخبر بالنظر فى طرق النقل وعدالة الناقلين لتتميز الحالة المحصلة للظن بصدقة الذى هو مناط وجود العمل وهذه أيضا من قواعد الفن ويلحق بذلك عند التعارض بين الخبرين وطلب المتقدم فيهما ص ٤٥٤ معرفة الناسخ والمنسوخ وهى من فصوله أيضا وأبوابه. ثم بعد ذلك يتعين النظر فى دلالة الألفاظ وذلك أن استفادة المعانى على الأطلاق من تراكيب الكلام على الأطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة والقوانين اللسانية فى ذلك على علوم النحو والتصريف والبيان وحين كان الكلام ملكة لأهله لم تكن هذه علوما ولا قوانين ولم يكن الفقه حينئذ يحتاج اليها لأنها جبلة وملكة فلما فسدت الملكة فى لسان العرب قيدها الجهابذة المتجردين لذلك بنقل صحيح ومقاييس مستنبطة صحيحة وصارت علوما يحتاج وصارت علوما يحتاج إليها الفقية فى معرفة أحكام الله تعالى ثم أن هناك استفادات أخرى خاصة من تراكيب الكلام وهى استفادة الأحكام الشرعية بين المعانى من أدلتها الخاصة من تراكيب الكلام وهو الفقه ولا يكفى فيه معرفة الدلالة الوضعية على الإطلاق بل لابد من معرفة أمور أخرى تتوقف عليها تلك الدلالات الخاصة وبها تستفاد الأحكام بحسب ما أصل أهل الشرع وجهابذة العلم من ذلك وجعلوه قوانين لهذه الاستفادة مثل أن اللغة لا تثبت قياساً والمشترك لا يراد به معناه معاً والواو لا تقتضى الترتيب والعام إذا أخرجت أفراد الخاص منه هل يبقى حجة فيما عدا والأمر للوجوب أو الندب وللفور أو التراخى والنهى يقتضى الفساد أو الصحة والمطلق وهل يحمل على المقيد والنص على العلة كاف فى التعدد أم لا وأمثال هذه فكانت كلها من قواعد هذا الفن وبكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية ثم إن النظر فى القياس من أعظم قواعد هذا الفن لأن فيه تحقيق الأصل والفرع فيما يقاس ويماثل من الأحكام وينفتح الوصف الذى يغلب على الظن أن الحكم علق به فى الأصل من تبين أوصاف ذلك المثل أو وجود ذلك الوصف والرفع من معارض يمنع من ترتيب الحكم عليه فى مسائل أخرى من توابع ذلك كلها قواعد لهذا الفن. واعلم أن هذا الفن من الفنون المستحدثة فى الملة وكان السلف فى غنية عنه بما أن استفادة المعانى من الألفاظ لا يحتاج منها إلى أزيد مما عندهم من الملكة اللسانية وأما القوانين التى يحتاج إليها فى استفادة الأحكام

خصوصاً فمنهم أخذ معظمها وأما الأسانيد فلم يكونوا يحتاجون إلى النظر فيها لقرب العصر وممارسة النقلة وخبرتهم بهم فلما انقرض السلف وذهب ص ٤٥٥ الصدر الأول وانقلبت العلوم كلها صناعة كما قررناه من قبل احتاج الفقهاء والمجتهدون إلى تحصيل هذه القوانين والقواعد لاستفادة الأحكام من الأدلة فكتبوها فناً قائماً برأسه سموه أصول الفقه وكان أول من كتب فيه الشافعي رضي الله تعالى عنه أملى فيه رسالته المشهورة تكلم فيها فى الأوامر والنواهي والبياني والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس. ثم كتب فقهاء الحنفية فيه وحققوا تلك القواعد وأوسعوا القول فيها. وكتب المتكلمون أيضاً كذلك إلا أن كتابة الفقهاء فيها أمس بالفقه وأليق بالفروع لكثرة الأمثلة منها والشواهد وبناء المسائل على النكت الفقهية. والمتكلمون يجردون صور تلك المسائل على الفقه ويميلون إلى الاستدلال العقلي ما أمكن لأنه غالب فنونهم ومقتضى طريقتهم فكان لفقهاء الحنفية فيها اليد الطولى من الغوص على النكت الفقهية والتقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما أمكن وجاء أبو زيد الدبوسي من أئمتهم فكتب فى القياس بأوسع من جميعهم وتمم الأبحاث والشروط التي يحتاج إليها فيه وكملت صناعة أصول الفقه بكماله وتهذيب مسائله وتمهدت قواعده وعنى الناس بطريقة المتكلمين فيه وكأن من أحسن ما كتب فيه المتكلمون كتاب «البرهان» لإمام الحرمين. و«المستصفى» للغزالي وهما من الأشعرية وكتاب «العهد» لعبد الجبار وشرحه المعتمد لابى الحسين البصري وهما من المعتزلة وكانت الأربعة قواعد هذا الفن وأركانه ثم لخص هذه الكتب الأربعة فحلان من المتكلمين المتأخرين وهما الإمام فخر الدين بن الخطيب فى كتاب «المحصول» وسيف الدين الآمدي فى كتاب «الأحكام» واختلفت طرائقهما فى الفن بين التحقيق والحجاج فابن الخطيب أميل إلى الاستكثار من الأدلة والاحتجاج والآمدي مولع بتحقيق المذاهب وتفريع المسائل وأما كتاب المحصول فاختصره تلميذ الإمام سراج الدين الأرموي فى كتاب التحصيل وتاج الدين الأرموي فى كتاب الحاصل واقتطف شهاب الدين القرافي منهما مقدمات وقواعد فى كتاب صغير سماه التنقيحات وكذلك فعل البيضاوي فى كتاب المنهاج وعنى المبتدئون بهذين الكتابين وشرحهما كثير من الناس وأما كتاب الأحكام للآمدي وهو أكثر تحقيقاً فى المسائل فلخصه أبو عمر بن الحاجب فى كتابه ص ٤٥٦ المعروف بالمختصر الكبير ثم اختصره فى كتاب آخر تداوله طلبة العلم وعنى أهل المشرق والمغرب به وبمطالعته وشرحه وحصلت زبدة طريقة المتكلمين فى هذا الفن فى هذه المختصرات. وأما طريقة

الحنفية فكتبوا فيها كثيراً وكان من أحسن كتابة فيها للمتقدمين تأليف أبي زيد الدبوسي وأحسن كتابته المتأخرين منها تأليف سيف الإسلام البزودى من أئمتهم وهو مستوجب وجاء ابن الساعاتي من فقهاء الحنفية فجمع بين كتاب الأحكام وكتاب البزودى فى الطريقتين وسمى كتابه بالبدائع فجاء من أحسن الأوضاع وأبدعها وائمة العلماء لهذا العهد يتداولونه قراءة وبحثاً وأولع كثير من علماء العجم بشرحه والحال على ذلك لهذا العهد.

علم الأدب

هذا العلم لا موضوع له ينظر فى إثبات عوارضه أو نفيها وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهى الإجادة فى فنى المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة (لعلها : الملكة) من شعر عالي الطبقة وسجع متساو فى الإجادة ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة يستقرى منها الناظرفي الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من أيام العرب فيهم به ما يقع فى أشعارهم منها وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة والمقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحى بلاغتهم إذا تصفحه لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه ثم إنهم إذا أرادوا حدّ هذا الفن قالوا الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرق يريدون من علم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهى القرآن والحديث إذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم فى كلام العرب إلا ما ذهب إليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة البديع من التورية فى أشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ إلى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائماً على فهمها وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهى أدب الكتاب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ص ٥٥٤ وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها وكتب المحدثين فى ذلك كثيرة وكان الغناء فى الصدر الأول من أجزاء هذا الفن لما هو تابع للشعر إذ الغناء إنما هو تلحينه وكان الكتاب والفضلاء من الخواص فى الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصاً على تحصيل أساليب الشعر وفنونه فلم يكن انتحاله مادحاً فى العدالة والمروءة وقد ألف القاضى أبو الفرج الأصبهانى كتابه فى الأغانى جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم وجعل مبناه على الغناء فى المائة صوتاً

التى اختارها المغنون للرشيد فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه ولعمرى أنه ديوان العرب وجامع أشتات المحاسن التى سلفت لهم فى كل فن من فنون الشعر والتأريخ والغناء وسائر الأحوال ولا يعدل به كتاب فى ذلك فيما نعلمه وهو الغاية التى يسمو إليها الأديب ويقف عندها وأنى له بها.

مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٦.

... وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد ولا تلتفتن فى ذلك إلى خرفشة النحاة أهل صناعة الإعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت وأنّ اللسان العربى فسد اعتبار بما وقع فى أواخر الكلم من فساد الإعراب الذى يتدارسون قوانينه وهى مقالة دسها التشيع فى طباعهم وألقاها القصور فى أفئدتهم وإلا فنحن نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب لم تزل فى موضوعاتها الأولى والتعبير عن المقاصد والتعاون فيه بتفاوت الإبانة موجود فى كلامهم لهذا العهد وأساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة فى مخاطباتهم وفهم الخطيب المصقع فى محافلهم ومجامعهم والشاعر المفلق على أساليب لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك ولم يفقد من أحوال اللسان المدون إلا حركات الإعراب فى أواخر الكلم فقط الذى لزم فى لسان مضر طريقة واحدة ومهيعاً معروفاً وهو الإعراب وهو بعض من أحكام اللسان وإنما وقعت العناية بلسان مضر لما فسد بمخالطتهم الأعاجم حين استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب وصارت ملكته على غير الصورة التى كانت أولا فانقلب لغة أخرى...

مقدمة ابن خلدون ص ٥٦٧

... واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهله ولا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه مثل النسيب المختص بالشعر والحمد والدعاء المختص بالخطب والدعاء المختص بالمخاطبات وأمثال ذلك وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه فى المنثورة من كثرة الأسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدى الأغراض وصار هذا المنثور إذا تأملته من باب للشعر وفنه ولم يفترقا إلا فى الوزن واستمر المتأخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها فى المخاطبات السلطانية وقصروا الاستعمال فى المنثور كله على هذا الفن الذى ارتضوه وخلطوا الأساليب فيه وهجروا المرسل وتناسوه وخصوصاً أهل المشرق وصارت المخاطبات السلطانية لهذا العهد عند الكتاب الغفل جارية على هذا الأسلوب الذى أشرنا إليه وهو غير صواب من جهة البلاغة لما يلاحظ فى تطبيق الكلام على مقتضى الحال من أحوال المخاطب والمخاطب وهذا الفن المنثور

المقفى أدخل المتأخرون فيه أساليب الشعر فيجب أن تنزه المخاطبات السلطانية عنه إذ أساليب الشعر تنافيها اللوزعيةو وخلط الجد بالهزل والإطناب فى ص ٥٦٨ الأوصاف وضرب الأمثال وكثرة التشبيهات والاستعارات حيث لا تدعو ضرورة إلى ذلك فى الخطاب والتزام التقفية أيضاً من اللوزعية والتزيين وجلال الملك والسلطان وخطاب الجمهور عن الملوك بالترغيب والترهيب ينافى ذلك ويباينه والمحمود فى المخاطبات السلطانية الترسل وهو إطلاق الكلام وإرساله من غير تسجيع إلا فى الأقل النادر وحيث ترسله الملكة إرسالا من غير تكلف له ثم إعطاء الكلام حقه فى مطابقته لمقتضى الحال فإن المقامات مختلفة ولكل مقام أسلوب يخصه من إطناب أو إيجاز أو حذف أو إثبات أو تصريح أو إشارة أو كناية واستعارة وأما إجراء المخاطبات السلطانية على هذا النحو الذى هو على أساليب الشعر فمذموم وما حمل عليه أهل العصر إلا استيلاء العجمة على ألسنتهم وقصورهم لذلك عن إعطاء الكلام حقه فى مطابقته لمقتضى الحال فعجزوا عن الكلام المرسل لبعد آمده فى البلاغة وانفساح خطوبه وولعوا بهذا السجع يلفقون به ما نقصهم من تطبيق الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه ويجبرونه بذلك القدر من التزيين بالأسجاع والألقاب البديعة ويغفلون عما سوى ذلك وأكثر من أخذ بهذا الفن وبالغ فيه فى سائر أنحاء كلامهم المشرق وشعراؤه لهذا العهد حتى أنهم ليخلون بالإعراب فى الكلامات والتصريف إذا دخلت لهم تجنيس أو مطابقة لا يجتمعان معها فيرجحون ذلك الصنف من التجنيس ويدعون الإعراب ويفسدون بنية الكلمة عساها تصادف التجنيس فتأمل ذلك بما قدمناه لك تقف على صحة ما ذكرناه.

مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٥ فى علوم اللسان العربى

أركانه أربعة وهى اللغة والنحو والبيان والأدب ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهى بلغة العرب ونقلتها من الصحابةوالتابعين عرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة وتتفاوت فى التأكيد بتفاوت مراتبها فى التوعية بمقصود الكلام حسبما يتبين فى الكلام عليها فناً فناً والذى يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الإفادة وكان من حق علم اللغة التقدم لولا أن أكثر الأوضاع باقية فى موضوعاتها لم تتغير بخلاف الإعراب الدال على الإسناد والمسند إليه فإنه تغير بالجملة ولم يبق له أثر فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة إذ فى جهله الإخلال بالتفاهم

جملة وليست كذلك ص ٥٤٦ اللغة.

مقدمة ابن خلدون ص ٥٧٧ :

الفصل السابع والأربعون

في أن صناعة النظم والنثر إنما هي في الألفاظ لا في المعاني

اعلم أن صناعة الكلام نظماً ونثراً إنما هي في الألفاظ لا في المعاني وإنما المعاني تبع لها وهي أصل فالصايغ الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر إنما يحاولها في الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب ليكثر استعماله وجريه على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مضر ويتخلص من العجمة التي ربى عليها في جيله ويفرض نفسه مثل وليد نشأ في جيل العرب ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم وذلك أنا قدمنا أن للسان ملكة من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل والذي في اللسان والنطق إنما هو الألفاظ وأما المعاني فهي في الضمائر وأيضاً فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا يحتاج إلى صناعة وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القوالب للمعاني فكما أن الأواني التي يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد في نفسه وتختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليف باعتبار تطبيقه على المقاصد والمعاني واحدة في نفسها وإنما الجاهل بتأليف الكلام وأساليبه على مقتضى ملكة اللسان إذا حاول العبارة عن مقصودة ولم يحسن بمثابة المقصد الذي يروم النهوض ص ٥٧٨ ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه والله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

رسالة في مقدمات العلوم

للشيخ محمود بن عمر الجوكسي الفارسي البلنسي

الطبعة الأولى بالمطبعة العلمية سنة ١٣١١هـ

ص ٢٢ : (فصل في مقدمات علم المعاني)

والمعاني هي الصور الذهنية من حيث أنه وضع بإزائها الألفاظ والصورة الحاصلة في العقل من حيث أنها تقصد باللفظ سميت معنى ومن حيث أنها تحصل من اللفظ في العقل سميت مفهوماً ومن حيث أنها معقول في جواب ما هو سميت ماهية ومن حيث ثبوتها في الخارج سميت حقيقة ومن حيث

امتيازها عن الماهية سميت هوية ١٠هـ سيد الجرجاني

... عرفه صاحب التلخيص بقوله هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال ١٠هـ.

... (وواضعه) الشيخ عبد القاهر وقيل أول من عقد المعاني اللطيفة واستخرجها مسلم بن الوليد مولى الأنصار (واسمه) علم المعاني وإنما سمي به بأنه في الحقيقة عبارة عن معرفة المعاني المفادة من الألفاظ. (واستمداده) أي مأخذه من كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ وكلام العرب... (ونسبته إلى غيره أنه من العلوم الأدبية. (وفائدته) معرفة كون القرآن المجيد في أعلى طبقات البلاغة المؤدية لتصديق من أتى به.

وقال السيوطي: فائدته فهم الخطأ وإنشاء الجواب بحسب المقاصد والأغراض جارية على قوانين اللغة في التراكيب (وغايته) الفوز بسعادة الدارين (وأما فضله) فإنه أفضل العلم الأدبية لأنه به يعلم إعجاز القرآن العظيم الموصل للفوز بسعادة الدارين.

(خاتمة)

اعلم أن المقصود بالذات من علم المعاني فيحصر في ثمانية أبواب انحصر الكل في أجزائه ووجه الانحصار أن الكلام إما خبر أو إنشاء الأول لا بدله من إسناد ومسند إليه ومسند فهذه ثلاثة أبواب والمسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلا أو ما في معناه وهو الباب الرابع وكل من التعلق والإسناد قد يكون بقصر وقد لا يكون وهو الباب الخامس والثاني هو الباب السادس والجملة أن قرنت بأخرى فالثانية إما معطوفة على الأولى أولا وهما الفصل والوصل وهو الباب السابع والكلام البليغ إما ناقص عن أصل المراد أو زائد أو مساو والأول الايجاز والثاني الإطناب والثالث المساواة.

(فصل في مقدمات علم البيان)

ص ٢٤ : البيان يطلق بمعنى الظهور وبمعنى الفصاحة وبمعنى المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير أي المنطوق به...

ص ٢٥ : وأما في الاصطلاح فحده علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة... ص ٢٦ : (وواضعه) الشيخ عبد القاهر الجرجاني (واسمه) علم البيان من إضافة المسمى للاسم وإنما سمي به لأنه عبارة عن معرفة بيان المفاد (واستمداداه) أي مأخذه من الكتاب والسنة وكلام العرب... (ونسبته إلى غيره) أنه من العلوم الأدبية (وفائدته) التمكن من مخاطبة أهل اللسان بطرق مختلفة ومعرفة مجاز القرآن (وغايته) الفوز بسعادة الدارين

(وأما فضله) فإنه فيه فضل جزيل لأنه به يعرف إعجاز كتاب الله العزيز ومجازات كلام رسول الله اللذيذ... (فائدة) إنما قدم البيانُ على علم البديع للاحتياج إليه فى نفس البلاغة وتعلق البديع بالتوابع وما كان محتاجاً إليه فى نفس البلاغة أولى بالتقديم.

(خاتمة)

اعلم أن طرق أداء المراد ثلاثة حقيقة ومجاز وكناية لأن اللفظ مطلقاً إما مستعمل فى معناه الموضوع له أو فى غيره والأول حقيقة والثانى إما أن يكون مع جواز إرادة الموضوع له وهو الكناية أولا وهو المجاز فالحقيقة إما لغوية وهى لفظ مستعمل فيما وضع له وهى عرفى عام كالدابة أو خاص كالصلاة وإما عقلية وهى نسبة الشىء إلى ما هو له فى ظاهر حال المتكلم نحو أنبت الله البقل والكناية لفظ مستعمل فى لازم ما وضع له بلا قرينة مانعة عنه نحو فلان ص ٢٧ : طويل

النجاد والمجاز إما مجاز عقلى وهو نسبة الشىء إلى غير ما هو له فى ظاهر حال المتكلم نحو أنبت الربيع البقل وإما مجاز بالزيادة وهو ما تغير إعرابه بشىء زائد على المراد نحو ﴿ ليس كمثله شىء ﴾ وإما مجاز بالنقصان وهو ما تغير إعرابه بنقصان فى اللفظ نحو ﴿ وَاسْئلِ القرية ﴾ وإما مجاز لغوى وهو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة عن إرادته والعلاقة اتصال مناسبة بينهما فإن كانت مشابهة فاستعارة وإلا فمجاز مرسل والعلاقة ترتقى إلى ثلاثين كما ذكر فى المطولات والمجاز مفعل وبمعنىً فاعل من جاز إذا تعدى كالمولى بمعنى الوالى سمى به لأنه متعد من محل الحقيقة إلى المجاز.

(فصل فى مقدمات علم البديع)

البديع في اللغة الغريب من بدع الشىء بضم الدال إذا كان غاية فيما هو فيه من علم أو غيره حتى صار غريباً ومنه أبدع أتى بشىء لم يتقدم له مثال ومنه اسمه تعالى البديع بمعنى المبدع أى الموجد للأشياء بلا مثال تقدم ولا تختص مادته بالله تعالى كما قيل إفادة البنانى وإما فى الاصطلاح فهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة بمقتضى الحال ووضوح الدلالة كما فى التخليص....

(وموضوعه) الكلام العربى من حيث التحسين المذكور وينحصر علم البديع ص ٢٨ : فى قسمين.

معنوى راجع إلى تحسين المعنى بالأصالة وإن كان بعضها لا يخلو عن تحسين اللفظ ولفظى راجع إلى تحسين اللفظ وإن كان بعضها قد يفيد تحسين

المعنى أيضاً ولكل واحد منهما أقسام فمن المعنوى الطباق ويسمى التضاد والتطبيق والتكافؤ وهو الجمع بين معنيين متقابليين كقول الله تعالى ﴿ خلق الموت والحياة ﴾ ومراعاة النظير وهو جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد نحو قوله تعالى ﴿ الشمس والقمر بحسبان ﴾ وتشابه الأطراف وهو أن يختم الكلام بما يناسب ابتداءه في المعنى كقوله تعالى ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ فإن اللطيف يناسب كونه غير مدرك للأبصار والخبير يناسب كونه مدركاً للأشياء لأن المدرك لشيء يكون خبيراً به والمشاكلة وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً فالأول نحو قوله :

قالوا اقترح شيئاً نجد له طبخة قلت اطبخوا لى جبة وقميصاً

والثاني نحو ﴿ صبغة الله ﴾ وهو مصدر مؤكد لآمنا بالله أى تطهيراً لله لأن الايمان يطهر النفوس والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر ويسمونه المعمودية ويقولون أنه تطهير لهم فعبر عن الإيمان بالله صبغة الله للمشاكلة بهذه القرينة ومن اللفظى الجناس بين اللفظين وهو تشابههما في اللفظ والمقام منه أن يتفقا في أنواع الحروف وفى أعدادها وهيائتها وترتيبها فإنه كانا من نوع واحد كاسمين تسمي متماثلا نحو ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ أى القيامة يقسم المجرمون ما لبثو غير ساعة أى من ساعات الأيام وإن كانا من نوعين يسمى مستوفى كقوله :

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عبد الله

ومنه الموازنة وهي تساوى الكلمتين في الوزن دون التقفية نحو: ﴿ ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة ﴾ فإن مصفوفة ومبثوثة متساويتان في الوزن لا في التقفية. إذ الأولى على الفاء والثانية على الثاء ولا عبرة بتاء التأنيث في القافية على ما بين في علم لاقوافى ومنه الجناس القلب وهو أن يكون حروف الكلم على ترتيب بحيث لو افتتح من آخره إلى أوله لخرج النظم الأول بعينه نحو ﴿كل فى فلك ﴾ و ﴿ وربك فكبر ﴾ فإنه يقرأ من آخره كما يقرأ من أوله ومنه التوشيع ويسمى التوشيح وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما كقوله :

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة الأكدار

فإن وقفت على الردى فالبيت من الضرب الثامن من الكامل وإن وقفت على الأكدار فهو من الثانى منه (وواضعه) عبد الله الملقن وهو أول من سماه بهذا الاسم (واسمه) علم البديع. قال السيد الشريف في حاشيته على المطول إنما سمى البديع بديعاً لكونه باحثاً عن الأمور المستغربة ١ هـ (واستمداده) من

الكتاب والسنة وكلام العرب...

(ومسائلة) قضايا التى نسب محمولاتها إلى

ص ٢٩ : موضوعاتها على قول كقولنا وجوه تحسين الكلام ضربان لفظى ومعنوى (ونسبته إلى غيره) أنه من العلوم الأدبية (وفائته) معرفة وجوه تحسين الكلام (وغايته) الفوز بسعادة الدارين (وأما فضله) فإنه فيه فضل جزيل لأنه به يعرف إعجاز القرآن وبلاغة الشعراء كما قاله السيوطى (فائدة)... إن فى البديع ليس جزءاً من البلاغة بل هو تابع لها فالنظر فيه فرع النظر فيها فلذلك أخر فن البديع عن المعانى والبيان وأما الفصاحة فى اللغة فهى تنبىء عن الظهور والإبانة يقال فصح الأعجمى إذا انطلق لسانه وخلصت لغته من اللكنة ومعناها اصطلاحاً يختلف باختلاف موصوفها الكلمة والكلام والمتكلم يقال كلمة فصيحة وكلام فصيح فى النثر وقصيدة فصيحة فى النظم ومتكلم فصيح وأما البلاغة فيوصف بها المتكلم والكلام فقط فيقال كلام بليغ ومتكلم بليغ ولا يقال كلمة بليغة ١هـ.

(خاتمة)

اعلم أن ما يحترز به عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد يسمى علم المعانى وما يحترز به عن التعقيد المعنوى يسمى علم البيان وما يحترز به وجوه تحسين الكلام يسمى علم البديع وبعضهم يسمي الأول علم المعانى والأخيرين علم البيان وبعضهم يسمى الثلاثة علم البديع أما وجه تسميته الأولى بالمعانى فلأنه يبحث عن كيفية تطبيق الكلام لمقتضى الحال وهو متعلق بالمعانى لأن مرجعه الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد والثانى بالبيان فلتعلقه بإيراد المعنى الواحد وبيانه بطرق مختلفة فى الوضوح والثالث بالبديع فللبحث فيه عن المحسنات والإخفاء فى تعلق الفنون به تصحيحاً وتحسيناً وأما تسمية الأخيرين بالبيان فلتعلقهما بالبيان أى المنطق الخ أو لتغليب الفن الثانى على الثالث وأما تسمية الثلاثة بالبديع فلبداعة مباحثها وحسنها ١هـ ملخصاً من سم ويس وغيرهما.

المحتويات